أنا زلاتان

عرض وترجمة: محمد عامر



دار اكتب للنشر والتوزيع



أنا زلاتان

قرأت لك

(1)

أنا زلاتان

عرض وترجمة : محمد عامر

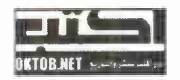
الطبعة الأولى ، القاهرة 201 م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 7516 /2017

I.S.B.N: 978-977-488-524-2



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

(1)

أقبلَ عليَّ بيب جوارديولا، مدير برشلونة الفني، ببدلته الرمادية ووجهه المضطرب، يبدو قلقًا من شيءٍ ما. ظننت به خيرًا حينها. صحيح أنه ليس ككابيلو أو مورينيو، إلا أنه بدا لا بأس به.. هذا قبل أن تبدأ حربنا! كنت منشغلًا في شتاء عام 2009 بتحقيق حلم طفولتي. كنت ألعبُ في أفضل نادٍ في العالم، ورحّب بي 70.000 مشجّع في ملعب الكامب نو. غمرتني السعادة؛ لكن ليس كليًّا، فبعض الصحف تنشر هراءً عنّي. يقولون إني الفتى الشقي تارة وإني صعب المراس تارةً أخرى. لا يهمني، فأنا هنا الآن! كما أن هيلينا والأولاد بخير حال. حصلنا على منزلٍ جميل في بلدة "إيسبلوغاس دي يوبريغات".. كنتُ متحمسًا للغاية، فماذا قد يحدث؟

– أنت! هنا في برشلونة كلنا متواضعون.

هكذا بدأ جوارديولا حديثه معي.. قلت له:

– بالتأكيد! حسنًا!

– هنا لا يأتي أحدٌ إلى التدريب بسيارته الفيراري أو البورش.

أومأت وفضّلت ألا أتعالى عليه وأقولُ له:"وما دخلُك بماركة سيارتي؟" بل فكّرتُ: "ماذا يريد؟ أي رسالة يبعث بها إليّ؟" صدقني لا أريد أي سيارات فاخرة أو مكان لركن سيارتي بجوار ممر المشاة. ولكن الأمر ليس كذلك، فأنا رجل يعشق سياراته. لطالما

كانت سياراتي تُمثّل شغفًا بالنسبة لي. ولكني شعرت أن شيئًا آخر يكمن في كلماته، وكأنه يقول لي:

"لا تظن أنك مميز للغاية".

فهمت حينها أن نادي برشلونة يُشبه المدرسة. جميع اللاعبين طيبون، لا يختلقون المشكلات، ومن بينهم ماكسويل، صديقي القديم من أيام أياكس والإنتر. ولكن بحق، ليس من بين اللاعبين هنا من يتعامل وكأنه سوبر ستار رأيت هذا غريبًا. كان ميسي وتشافي وإنيستا والفرقة كلها مثل طلاب المدرسة. أفضل لاعبي العالم يقفون يُومئون برؤوسهم، ولم أفهم السبب. الأمر سخيف! في إيطاليا لو قال المدرب: "اقفزوا!" يرد اللاعبون: "لماذا تريدنا أن نقفز؟"

أما هنا، فالكل يقفز حسب الأوامر. لم أندمج معهم على الإطلاق، ولكني فكّرت: "تقبّل الأمر ولا تؤكد رأيهم فيك" لذا ابدأ في الاندماج فعلًا. كان الأمر جنونيًا. قال صديقي ووكيل أعمالي مينو رايولا:

– ماذا بك يا زلاتان؟ بصعوبةٍ أتعرّفُ إليك!

لم يتعرّف إليّ أحد، لا أصدقائي ولا غيرهم. أصبحتُ مملًا غير جذاب. أريدك أن تعلم أنه منذ وجودي في نادي مالمو السويدي وأنا لديّ فلسفة ثابتة؛ أنا من يسيّر أموري! لا أكترث إطلاقًا بما يظنه الناس بي، ولا أطيق القانون والسلطة .. لطالما أعجبني من يكسر القواعد.

ولكن الآن، لا أقول ما أريده، بل أقول ما يتوقعه الناس مني. كان الأمر مزعجًا! كنت أقود سيارة النادي الأودي لأقف بين اللاعبين أومئ برأسي وكأني عدتُ لأيام المدرسة .. أو كما كان يجب أن أفعل أيام المدرسة. لم أكترث إطلاقًا بزملائي في الفريق، فالأمر مملٌ. زلاتان لم يكن هو زلاتان، ولم يحدث هذا الأمر منذ أيام المدرسة حينما كنتُ أشاهد الحسناوات يرتدين قمصان ماركة "رالف لورين" لأول مرة، وأطلب من

إحداهن الخروج معي والعرق يتصبب من جبيني. على كل حال بدأت الموسم بشكل رائع، وأحرزت الهدف تلو الآخر. فزنا أولًا بكأس السوبر الأوروبي. كنت متوهجًا لامعًا، ولكني شعرتُ بأني شخص آخر. شيء ما حدث، ولكنه ليس بالشيء الجلل. ألْجِمَ فمي، وهذا أمر خطير .. صدقني. يجب أن أكون مجنونًا كي ألعب جيدًا. يجب أن أصرخ وأملأ الدنيا صياحًا. والآن، صار كل ذلك بداخلي فقط. يبدو أني وقعتُ تحت ضغطٍ كبير، لا أعلم!

كنتُ الصفقة الثانية الأغلى في التاريخ، وما زالت الجرائد تقول إني الولد الشقي الذي يعاني مشكلات في شخصيته وكل هذا الهراء، وللأسف شعرتُ بتأثير هذا عليّ. في برشلونة لا يصدر اللاعبون التصريحات كثيرًا، وأظنُّ أني أردتُ أن أندمج معهم. سرعان ما اكتشفتُ أن هذا كان أغبى قرار في حياتي. كنت أقاتلُ على أرضية الملعب، ولكن الأمر غير ممتعٍ على الإطلاق.

حتى أنني فكّرتُ في اعتزال كرة القدم. لم أكن أنتوي فسخ تعاقدي مع برشلونة، فأنا لاعب محترف قبل كل شيء. ولكني فقدتُ الشعور بالمتعة، حتى جاءت عطلة الكريسماس. ذهبنا إلى منطقة "آري" في السويد واستأجرتُ زلاجة. كلما توقفت الحياة أردتُ الحركة. لطالما قدتُ سيارتي كالمجنون. كنتُ أقود بسرعة 325كم/ساعة بسيارتي البورش تاركًا الشرطة تلهث خلفي. فعلتُ الكثير من الأمور المجنونة، ولا أفكر فيها إلا قليلًا جدًا. والآن بين جبال السويد أعيشُ حياتي على زلاجتي وأُصاب بالحروق وأستمتعُ بوقتي.

وأخيرًا جرى الدم في عروقي، عاد زلاتان القديم، ثم سألتُ نفسي: "لِمَ أفعل هذا ولديَّ كل هذا المال؟" ليس عليّ أن أشعر بالسوء بسبب هؤلاء المدربين الأغبياء، فبإمكاني الاستمتاع بحياتي والاعتناء بأسرتي. كان وقتًا رائعًا، ولكن لم يدم طويلًا. فعندما عدتُ إلى برشلونة وقعتْ كارثةٌ. لم تقع فجأة، ولكن ببطء شديدٍ، وكأنها تحضّر نفسها.

تساقطت الثلوج قليلًا، لم يرَ الإسبان شيئًا كهذا من قبل. وفي استراحتنا في التلال أعلى مدينة برشلونة كانت السيارات تتحطم يمينًا ويسارًا. كان مينو مدير أعمالي الأحمق السمين – الرائع كذلك كيلا يفهمني أحدٌ بشكل خاطئ – يتجمد كالكلب في حذائه الصيفي ومعطفه الخفيف، وأقنعني أن أستقلّ سيارتي الأودي. كاد الأمر ينتهي بكارثة. فقدنا السيطرة على السيارة في منحدر التل واصطدمنا بجدارٍ صخري. تحطم جانب السيارة بالكامل. الكثير من السيارات تحطمت بفعل الطقس السيئ، ولكن لم يتضرَّر أحدٌ مثلما تضررتُ أنا. تفوقتُ عليهم حتى في الحُطام، ضحكت كثيرًا على سخرية القدر، فلوهلةٍ شعرت بعودة زلاتان القديم مجددًا. كان الأمر جيدًا، حتى بدأ ميسي بالحديث. ميسي شخص رائع، لا يصدقه عقل. لم أعرفه جيدًا، فلكلٍّ منا شخصيته. جاء ميسي إلى برشلونة في الثالثة عشرة من عمره وتربى على هذه الثقافة. لم تكن لديه أي مشكلة مع أسلوب المدرسة في برشلونة. تدور الأمور كلها حول ميسي داخل الفريق، وهو أمر طبيعي جدًّا. فهو مذهل، ولكني هنا الآن وأسجّل أكثر منه. ذهب ميسي إلى جوارديولا وقال له:

– لا أريد أن ألعب جناحًا أيمن مجددًا .. أريد أن أكون في المنتصف.

كان هذا مركزي أنا، ولكن جوارديولا لم يكترث مطلقًا. فقد غيّر طريقة لعب الفريق من 4-3-3 إلى 4-5-1 تاركًا إيايَ في المقدمة وحدي وميسي خلفي مباشرةً، وكأنني ألعب في الظّلّ. كل الكرات كانت تذهب إلى ميسي ولم ألعبْ دوري.

يجب أن أكون حُرًّا في الملعب. أنا الرجل الذي يريد صُنْعَ الفارق على كل المستويات. ولكن جوارديولا ضحّى بي. هذه هي الحقيقة! حبسني هناك في المقدمة.. الآن أفهم الوضع، ميسي هو النجم هنا!

كان واجبًا على جوارديولا أن يسمع كلامه، ولكن على حساب مَن؟ فقد أحرزتُ الهدف تلو الآخر لصالح برشلونة، أنا نجم أيضًا! لم يقدر على قيادة الفريق تحت مظلة

لاعب واحد فقط. أعني "لِمَ تعاقد معي إذًا؟" لا أحد يدفع هذا المبلغ الخرافي في لاعب ليخنقه في الملعب. كان واجبًا على جوارديولا أن يفكر بكلينا، حتى توترت الأمور داخل النادي. كنت أكبر استثمارٍ لديهم، ولم أرَ خيرًا في التشكيل الجديد. كيف يشعر لاعب بهذا المبلغ الخرافي بالاختناق؟ دفعني تكسيكي بيجريستان، مدير النادي الرياضي، إلى الحديث مع جوارديولا، قائلًا "افعل شيئًا ما!"

لم يعجبني الأمر، صرت لاعبًا يتقبل الوضع، وبالفعل هذا ما فعلته! قال لي صديق: "يبدو أن برشلونة اشترت الفيراري وتقودها كالفيات يا زلاتان"، وحينما فكّرتُ قلت: "أجل، هذا ما حدث!" .. لقد حوّلني جوارديولا إلى لاعبٍ أبسط وأسوأ، والفريق هو الخاسر الأكبر من هذا الموقف.

حسنًا، ذهبتُ إلى المدرب واقتربتُ منه على أرضية الملعب في أثناء التدريب. كنت حريصًا حينها بشأن أمرٍ واحد؛ لا أريد شجارًا، فقلت له:

– لا أريد شجارًا.. لا أريد حربًا.. أريد فقط مناقشة بعض الأمور.

أومأ وبدا خائفًا رغم ذلك، فقلت:

– إذا رأيتَ أني أريد شجارًا سأغادر.. أريد أن أتحدث فقط.

– جيد، أحبُّ التحدث مع اللاعبين.

قلت:

– اسمع! أنت لا تستفيد من قدراتي. لو كنتَ تريد هدافًا فكان من الأولى أن تشتري إنزاجي أو لاعبًا آخر، أما أنا فأريد مساحة، أريد أن أكون حرًّا. لم يعد بمقدوري الجري طول الوقت، فأنا وزني 98 كيلوجرامًا، ولم تعد لديَّ القدرة البدنية على فعل ذلك.

فكّر بعض الشيء، لطالما كان يفعل هذا، ثم قال:

– أظنُّ أن بإمكانك فعل هذا!

– لا، فالأفضل أن تضعني على المقعد. ومع كامل احترامي لك، أنا أفهمك جيدًا، ولكنك تضحي بي من أجل لاعبين آخرين. هذا لا يصحُّ، فأنت بذلك تشتري الفيراري وتقودها كالفيات.

انغمس في تفكيره مجددًا ثم قال:

– حسنًا، قد يكون خطئًا مني .. هذه مشكلتي وسوف أحلُّها!

شعرت بالسعادة لأنه سيجد حلًّا لها.

ولكن بعد ذلك هبّت الرياح الباردة، كان لا يكاد ينظر إليّ، وأنا لا أهتمُّ بمثل هذه الأشياء، وبرغم مركزي الجديد، فإني ما زلتُ زلاتان. أحرزتُ المزيد من الأهداف، ولكنها لم تكن مجنونة مثل التي أحرزتُها في إيطاليا. صحيح أن جذوة إحراز الأهداف كانت في أوجها، إلا أني لم أعد إبرا كدابرا كما كنت في الماضي. وبرغم ذلك لعبنا أمام الأرسنال في ملعب الإمارات واكتسحناهم تمامًا. كان الملعب يغلي، الدقائق العشرون الأولى كانت رائعة، وأحرزتُ هدفًا .. هدفين. أحرزت هدفين وقلتُ لنفسي: "اللعنة على جوارديولا! أنا من يقود الأمور هنا"، ولكن سرعان ما أخرجني جوارديولا، حتى عاد الأرسنال وأحرز هدفين. ساءت الأمور أكثر وشعرت بوخزة في فخذي. من الطبيعي أن يهتم المدرب بمثل هذه الأمور لأنه إذا أُصيب زلاتان فهذا أمرٌ جلل لأي فريق. ولكن جوارديولا كان باردًا كالثلج. لم يقل كلمة واحدة، وبقيتُ حبيس الإصابة لثلاثة أسابيع، لم يقل لي ولو مرة: "كيف تشعر الآن يا زلاتان؟ أأنتَ مستعدٌّ للمباراة القادمة؟"

لم يقل "مرحبًا" ولا أي كلمة، تجنّب النظر إليّ. لو دخلتُ غرفة غادرها، ما الذي يحدث؟ هل ارتكبتُ خطأً؟ هل أبدو غريبًا؟ هل أتكلم بطريقة غريبة؟ دار عقلي وحار. لم يعد بإمكاني النوم، كنتُ أفكر في الأمر مرارًا وتكرارًا. ليس لأني أحتاجُ حبٌّ

جوارديولا أو أي شيء من هذا القبيل، فليكرهني بقدر ما يريد، فأنا تدفعني الكراهية وحب الانتقام. ولكني فقدتُ تركيزي الآن، حتى أني تحدثت مع بقية اللاعبين. لم يفهم أحد ما يحدث. سألت تيري هنري الذي كان جليس مقاعد البدلاء تلك الفترة. تيري هنري الهداف التاريخي للمنتخب الفرنسي. إنه رائع، وما زال مبدعًا، وله الكثير من المشكلات مع جوارديولا. سألت هنري وقلت له:

– إنه لا يحييني، ولا ينظر إليّ، تُرى ما حدث؟

فرد وقال:

– لا أعلمُ.

تبادلنا النكات حول هذا الأمر، فكان هنري يقول "هل نظر إليك اليوم يا زلاتان؟" فأقول له "لا، ولكني رأيت ظهره" فيقول "مبروك، الوضع يتحسن!" هراء مثل هذا كان يجعلني أشعر بالتحسن. ولكن الأمر أثار حفيظتي حقًا، وكنت أسأل نفسي كل ساعة "ماذا حدث؟"

ساءت الأمور أكثر عندما هبّت على إسبانيا سحابة رماد آتية من نشاطٍ بركاني في أيسلندا. توقفت الرحلات الجوية في عموم أوروبا، وكان من المفترض أن نطير إلى السان سيرو لمواجهة الإنتر. أخذنا الحافلة بناءً على توصية أحد المغفلين الأغبياء في برشلونة. كنتُ قد شُفيت من إصابتي حينها، ولكن جاءت هذه الرحلة ككارثة عليّ. استغرقت الرحلة 16 ساعة، وكلنا كنا مرهقين عندما وصلنا إلى ميلانو أخيرًا. كانت أهم مباراة لنا في هذا الموسم. إنه نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، وكنت مستعدًّا للاستقبال المهين بالصافرات والاستهجانات، ولكن لا مشكلة لديَّ. المشكلة كانت عند جوارديولا الذي كان على خلاف مع مورينيو حينها.

جوزيه مورينيو نجم كبير فاز بدوري الأبطال مع بورتو. كان مدربي في الإنتر. لا بأس به! عندما قابل هيلينا أول مرة همس لها وقال: "كل ما عليكِ يا هيلينا أن تطعمي

هذا الرجل، وتدعيه ينام، وتبقيه سعيدًا!" الرجل يقول ما يريده بالفعل. أحب هذا الرجل، إنه كقائد عسكري. ولكنه يهتم بالآخرين، كان يبعث إليَّ بالرسائل طوال الوقت عندما كنت في الإنتر يطمئن فيها على أحوالي. إنه عكس جوارديولا تمامًا. لو أضاء مورينيو النور في غرفةٍ ما، لأغلق جوارديولا الستائر. أظنُّ أن جوارديولا يحاول أن يصبح مثل مورينيو.

قال جوارديولا حينها:

– إننا لا نواجه مورينيو، بل الإنتر.

وكأنه يظننا سنلعب الكرة مع مدربهم، ثم أخذ يتحدث عن فلسفته الخرقاء.

لم أستمع لكلمات جوارديولا، ولِم أفعل؟ كل ما يقوله هو هراء عن الدم والعرق والدموع، كل هذا هراء! لم أسمع في حياتي مدربًا يقول هذا .. كلام فارغ. وأخيرًا جاءني جوارديولا في أثناء حصتنا التدريبية على السان سيرو. كان الناس يشاهدون ويقولون: "وأخيرًا عاد إبرا!"

سألني جوارديولا:

– أأنت مستعدٌ للعب منذ البداية؟

– بالتأكيد!

– بل، أأنتَ مستعدٌ فعلًا؟!

– بالتأكيد! حالتي جيدة.

– بل أأنت مستعدٌ؟

كان مثل الببغاء، لم أطق الرد عليه حينها، ولكن قلتُ له:

– اسمع! صحيح أنها رحلة مرهقة، ولكني بخير! لقد شُفيت من الإصابة تمامًا .. سأقاتلُ في المباراة.

نظر إليّ وكأنه يشكُّ في كلامي. لم أفهمه، ولكن سرعان ما اتصلت بمينو رايولا. اعتدتُ الاتصال بمينو طوال الوقت، يقول الصحفيون السويديون إن مينو صورة سيئة لزلاتان، مينو كذا وكذا. ولكن الحق يُقال إن مينو عبقري. على العموم اتصلت به وسألته:

- ماذا يقصد هذا الرجل؟

لم يفدني بإجابةٍ، ولكني بدأتُ المباراة، وكنا متقدمين بهدف للاشيء. سرعان ما انقلبت المباراة بعد خروجي في الدقيقة الستين، وخسرنا **3-1**. كان أمرًا سيئًا. تملّكني الغضب. عندما كنتُ في أياكس كانت الخسارة تؤثر فيّ أيامًا وليالي، ولكن الآن معي هيلينا والأولاد. فهم يساعدونني على نسيان ما يحدث.

كان يجب علينا الفوز بأي شكل في مباراة العودة، ورغم سخونة الأجواء فُزنا بهدف وحيد، وهو ما لم يكن كافيًا لوصولنا للنهائي. خرجنا من دوري الأبطال، ومن بعدها كان جوارديولا ينظر إليّ وكأني السبب. شعرت حينها أني لم أعد محبوبًا في النادي.. حتى سيارتهم الأودي لم أعُدْ أطيقها.

لم أعد جزءًا من الفريق، وحتى عندما لعبنا أمام فياريال لعبت مدة خمس دقائق فقط. خمس دقائق! كنتُ أشتعل نارًا ليس لأني أجلس على مقاعد البدلاء، ولكن لأن جواردیولا لم يمتلك الشجاعة ليقول لي: "أنت لم تعد مناسبًا للفريق". سأقول لك ما حدث بعدها، ذهبتُ إلى غرفة تبديل الملابس مستعدًا لمواجهة المدرب الأصلع الذي وجدته يحكّ رأسه الحليق ومعه يايا توريه وآخرون. ركلتُ عبوة على الأرض، ثم صرختُ في وجهه:

- أنت تفتقدُ الرجولة!

أتذكّر أني قلتُ بعض الكلمات السيئة الأخرى، ثم أردفت:

- أنتَ من خسر المعركة أمام مورينيو، لذا فاذهبْ إلى الجحيم!

شعرتُ بالجنون! قد تتوقع ردَّ فعل من جوارديولا بعد هذا مثل: "لا يجب أن تتحدث إلى مدربك بهذا الشكل"، ولكنه كان جبانًا ضعيفًا. كل ما فعله هو التقاط العبوة وكأنه عامل نظافة، ثم غادر ولم يعد.

كل ما كان يجول ببالي هو أني في الثامنة والعشرين من عمري وأحرزتُ 22 هدفًا وصنعتُ 15 آخر، وما زال الرجل يعاملني وكأني غير موجود. هل يمرُّ هذا مَرَّ السحاب؟ مستحيل!

بعدها علمتُ أنه أجلسني على مقاعد البدلاء في مباراة ألميريا، وحينها تذكرت عبارته الساذجة: "هنا لا يأتي أحدٌ إلى التدريب بسيارته الفيراري أو البورش"، وفكّرتُ: "ما دخل هذا الغبي بما أقود؟" وإمعانًا في إغاظته أخذت سيارتي الإنزو وركنتها أمام باب صالة التدريب. سبب الأمر مشكلة كبيرة! قالت الصحف إن ثمن سيارتي يعادل المرتب الشهري للاعبي ألميريا مجتمعين، ولكني لا أهتمُّ بمثل هذا الهراء.

شرحت الوضع لهيلينا فقالت: "إذا لم يكن النادي مناسبًا لك، فاعتبرني أنا وأولادنا فريقك".

حينها فقط أدركتُ أنه لم يعد هناك مجال للرجوع إلى ما كنتُ عليه في برشلونة. حان الوقت لزلاتان القديم أن يعود!

***

(2)

أهداني أخي دراجة بي إم إكس عندما كنتُ صغيرًا، أطلقتُ عليها اسم "فيدو ديدو".

أخذتُ اسم "فيدو ديدو" من لقيطٍ صغيرٍ خَشِن الطباع، وهو بطل أحد أفلام الكارتون يتميز بشعرٍ شائك. كنت أرى أنها الأفضل على الإطلاق، ولكن سرعان من سُرقت الدراجة خارج حمّام روزنجارد. ذهبَ أبي إلى هناك بقميصه المفتوح وكُمَّيه المرفوعين. أبي من الناس الذين يقولون: "لا أحد يلمس أطفالي! ولا أحد يسرق أشياءهم!" ولكن فيدو ديدو ضاعت، شعرتُ بالأسى.

بعدها بدأتُ في سرقة الدراجات الأخرى، كنتُ أحطم أقفالها، صرتُ بارعًا في هذا. مجرد طرقاتٍ بسيطة على القفل وتصبح الدراجة ملكي. كنتُ سارق دراجات خبيرًا، وتلك أولى "سيئاتي". صحيح أن الأمر يبدو بريئًا بعض الشيء، إلا أنه خرج عن نطاق السيطرة تمامًا. وفي ليلةٍ ما ارتديتُ ملابسًا سوداء وخرجت إلى الشارع وكأني "رامبو" وسرقتُ دراجة عسكرية مستخدمًا قاطع ترابيس ضخمًا. أحببتُ هذا جدًّا، ولكن الحق يُقال إن الإثارة هي ما كانت تروقني لا الدراجات نفسها. أحببتُ التسلُّل في أثناء الليل وإلقاء البيض على نوافذ الجيران، ولم يمسكني أحدٌ إلا مراتٍ قليلة.

وقعتُ حادثةٌ محرجة في أحد متاجر جاجيرسرو يُدعى "ويسلز"، ولكني أستحقُّ ما حدث لي حينها حقًّا. كنتُ أرتدي أنا وصديقي معطفًا شتائيًّا ضخمًا في عز الصيف. تحت المعطف كنا نخبئ أربعة مضارب تنس وأشياءَ أخرى. قال أحد حرّاس المتجر:

– مهلًا، ألن تدفعا ثمن هذه الأشياء؟

أخرجتُ بعض العملات الفضية من جيبي وقلتُ له:

– ما رأيك في هذه؟

من الواضح أنه لم يفهم المُزحة!

كنتُ طفلًا صغيرًا بأنفٍ كبير ولعثمة واضحة، حتى أني ذهبت إلى اختصاصي تخاطُب. كانت امرأة تأتي إلى المدرسة وتعلمني كيف أنطقُ حرف الــ(S)، كان الأمر مهينًا. إلا أنني أردتُ إثبات نفسي. كنتُ أغلي بالداخل، فلم أجلس هادئًا أكثر من ثانية، وأظلُّ أركضُ طوال الوقت. لم يحدث مكروه إذا ركضت أسرع. كنّا نعيش في منطقة روزنجارد خارج مدينة مالمو، وكانت مليئة بالصوماليين، والأتراك، واليوغسلافيين، والبولنديين، وكل أصناف المهاجرين، وكذلك السويديين. كنا نتعالى عليهم جميعًا.

شقتنا كانت في الطابق الرابع من إحدى بنايات شارع كرونمانس. لم يسألني أحدٌ: "كيف حالك اليوم يا زلاتان؟" ولم يكن لديَّ أشقاء يكبرونني ويساعدونني على أداء واجباتي المدرسية، ولا حتى تقديم النصيحة. كنتُ وحدي تمامًا، ولا يمكنني التذمُّر. كل ما رأيتُه كان العِراك واللُّكمات طوال الوقت. ولكن الحق يُقال إني كنتُ أريدُ بعض التعاطف لا أكثر ولا أقل. في يومٍ ما سقطتُ على الأرض في رياض الأطفال، اسودَّت عيناي وركضتُ متوقعًا أن يُهدِّئَ أحدٌ رَوعي، إلا أني تلقيتُ صفعةً على وجهي وسؤال مريب: "ماذا كنتَ تفعل على السطح؟"

لم يقل لي أحدٌ: "حبيبي يا زلاتان"، بل قيل لي: "أيها الغبي، لم تتسلق السطح؟ خذ هذه على وجهك!" لم تكن أمي منشغلةً بتربيتي، بل بالتنظيف وتوفير المال، كانت مقاتلة فعلًا! ولكن لا شيء آخر بيدها. لم يكن الجو حنونًا في المنزل مثل: "هلا ناولتني الزبد يا جميلي؟" بل "أحضر اللبن أيها الغبي!" الجوُّ كان معبئًا بضرب الأبواب وبكاء أمي طوال

الوقت. كانت تبكي كثيرًا وأنا أحبها، عانت كثيرًا. تظل تنظف البيت أربع عشرة ساعة يوميًا، ثم تُخرِج القمامة وتحصل على المال، وفي بعض الأحيان كانت تضيعه.

كانت تلقي بالملاعق الخشبية علينا فتنكسر، وعليّ أن أشتري ملعقة أخرى، وكأنه خطئي أنا. أتذكر يومًا أني ألقيتُ قالبًا من الحجارة على نافذة أحد فصول رياض الأطفال. ارتعبت أمي كثيرًا، وأيُّ شيء يتعلق بالمال كان يرعبها، ثم ضربتني بالملعقة التي انكسرت هي الأخرى، ثم أحضرت نشّابة وجرت ورائي.. حكيتُ لسانيلا ما حدث.

سانيلا شقيقتي الوحيدة، أكبر مني بعامين، فتاة قوية، وأقنعتني يومًا أن أُدبِّر مقلبًا ضد أمي. اللعنة! الآن أمي تجري ورائي لتضربني على رأسي. الأمر جنوني! اضطررنا في النهاية إلى شراء بعض ملاعق المطبخ الرخيصة كهدية في أعياد الكريسماس.

لم تفهم أمي المقلب، فحياتها كلها مُنصبَّة على خدمتنا، وكل ما يهمها هو أن توجد الطعام على الطاولة. كنا كثيرين في منزلٍ واحد؛ الكثير من أخواتي غير الشقيقات كنّ معنا حتى غادرن، وأخي الصغير ألكساندر الذي نلقبه "كيكي"، ولم يكن المال كافيًا. الوجبة المعتادة هي المكرونة الجاهزة وأكياس الكاتشاب، وأحيانًا كثيرة كنا نأكل في بيت أحد أصدقائنا أو جيراننا أو حتى عند عمتي حنيفة التي كانت تسكن نفس البناية، سبقتنا جميعًا إلى السويد.

انفصل أبي عن أمي قبل أن أتمّ عامين، وبالطبع لا أذكر شيئًا عن هذا الأمر. يبدو جيدًا، فالزواج بينهما لم يكن مستقرًا، أو هكذا سمعتُ. كانا يتشاجران كثيرًا، ومن الواضح أنهما تزوجا حتى يحصل والدي على تصريح الإقامة. من الطبيعي أن ينتهي الأمر بنا جميعًا في حضانة أمنا، ولكني أفتقدُ والدي، لطالما شعرتُ بشيءٍ ما لطيف حياله. أقابل والدي مع سانيلا كل نهاية أسبوع، حيث كان يأتي دومًا في سيارته الأوبل

الزرقاء ثم نذهب إلى بيلدامسباركن أو خارجًا إلى جزيرة ليهام لتناول الهامبرجر والبوظة. كان الأمر ممتعًا في البداية، ولكن سرعان ما تبدّلت الحياة.

سانيلا كانت تركض جيدًا، هي الأسرع في سباق الستين مترًا، ولطالما كان والدي فخورًا بها ويقول لها: "عظيم! ولكن ما زال لديك أفضل من هذا" حتى تغير الوضع فجأة. هدأت سانيلا دون سابق إنذار، وكأنها تقاوم دموعها.

– ماذا حدث؟

قال أبي، فترد:

– لا شيء.

لا داعي للدخول في التفاصيل، ولكن اعلم أن أبي كالأسد، ولو حدث مكروه لأطفاله يُجنُّ جُنونه، وخصوصًا لو كان الأمر متعلقًا بسانيلا، ابنته الوحيدة. صار الأمر مرعبًا؛ تحقيقات واستجوابات ومعارك وهراء كبير طوال الوقت، لم أفهم ما يحدث، كنتُ في التاسعة من عمري.

كان هذا في شتاء عام 1990، وأرادوا أن يبعدوني عن كل ما يحدث. إلا أن الفضول كان يقتلني. لم تكن تلك المشكلة الوحيدة في البيت، فإحدى أخواتي كانت تتعاطى المخدرات وتخزنها بالمنزل أيضًا. صار الأمر غريبًا وكأن شيئًا سيئًا على وشك الحدوث. ألقت الشرطة القبض على أمي فيما بعد بتهمة سرقة بعض البضائع، قالت لها إحدى صديقاتها: "خذي هذه القلادة." ففعلت ولم تفهم السبب، إلا أن القلادة كانت مسروقة فوجدتها الشرطة بين أغراضها وألقت القبض عليها. حينها تساءلتُ كثيرًا: "أين أمي؟ لماذا رحلت؟"

عادت سانيلا للبكاء مجددًا، وكنتُ منشغلًا في لعب الكرة التي لم أكن جيدًا فيها منذ البداية. كنت أصنع الكثير من المشكلات مع الحمقى من جيراننا. صرتُ متمكنًا في لعب كرة القدم بعد ذلك، فصارت شغفي، وكنتُ ألعبها طوال الوقت. كانت سانيلا في الصفِّ الخامس بينما أنا في الثالث. كان مقدرًا لسانيلا أن تصبح امرأة وأمًّا إضافية لكيكي في وقتٍ مبكر لتعتني بالأسرة وخصوصًا بعد رحيل بقية أخواتي. تحمَّلت مسؤولياتٍ كبيرة. لم تكن من نوعية الطلاب الذين يحصلون على استدعاءٍ لمكتب الناظر، إلا أن الاستدعاء وصل، وهو ما أثار تعجبي حقًّا.

كان أبي جالسًا في مكتب الناظر، ففرحت، ولكن الأمر لم يكن بسيطًا. الأجواء كانت ملبدة بالغيوم، ولكني فهمت ما يحدث من حولي لاحقًا .. وأخيرًا فهمت!

انتهت الخدمة المدنية من تحقيقاها في نوفمبر 1990، فضمني أبي إلى حضانته مع سانيلا. أكدت التقارير على أن الأجواء ليست مناسبة لنا في المترل، ليس بسبب أمي أنا متأكد من هذا. كانت هناك مشكلات أخرى، ولكنها مشكلات كبرى. الوضع كارثي! بكت أمي كثيرًا ولكنها حافظت على عادها في ضربنا بالملاعق ولم تعد تسمعنا، تضربنا فقط. لم يعد لدينا مال، ولكنها أحبتنا كثيرًا.

ولكن أبي كان يريد للوضع أن يتحسن، وهو رجل لا يتساهل في مثل هذه الأمور. قال لأمي كلمات قاسية مثل: "لو لم يتغير الوضع لن تري الأولاد مرة أخرى". لا أعلم ما حدث وقتها لكن سانيلا انتقلت للعيش مع أبي لعدة أسابيع وبقيتُ أنا مع أمي رغم كل شيء. لم يكن الوضع مريحًا، سانيلا لم يعجبها الأمر عند أبي. كان ينام على الأرض والطاولات ملآنة بزجاجات البيرة والخمر، وعندنا نقول له: "استيقظ يا أبي" لم يكن ليستيقظ قط. كان الأمر غريبًا بالنسبة لي كذلك، لماذا يفعل ما يفعله؟ خِفنا عليه من البرد، فغطيناهُ ببعض الملاءات والبطانيات كيلا يتعرض للبرد، ولكني ما زلتُ لا أفهم شيئًا. ربما كانت سانيلا تفهم أكثر مني، فهي تعلم جيدًا أنه ذو مزاجٍ متقلب وقد ينفجر فينا في أي وقت، وهذا أخافها كثيرًا. كما أها افتقدتُ أخاها الصغير. كانت

تريدُ العودة إلى أمها وأنا أردتُ العكس. افتقدتُ أبي كثيرًا، إلا أني افتقدتُ سانيلا أكثر.

حصلتْ أمي على حق حضانة سانيلا في مارس **1991**، فحصل أبي في المقابل على حق حضانتي. انفصلتُ عن أختي، إلا أننا ظللنا مرتبطين. صارت سانيلا مُصفِّفة شعر الآن، والبعض يذهبون إلى صالونها ويقولون: "يا إلهي! كم تشبهين زلاتان كثيرًا!" وترد هي "كفاك هراءً، هو مَن يشبهني!" إنسانة قوية، ولكن مشوارها في الحياة صعب كمشواري. انتقل أبي من هادرس إلى ميدان فارهيمز في مدينة مالمو عام **1991**. يعجبني كفاحه الشديد من أجلنا، وأتذكر أنه كان يحضر لنا شطائر الهامبرجر وعبوات البوظة كل نهاية أسبوع.

إلا أنني كلما نظرتُ في وجهه وجدت شيئًا ينقصه؛ ربما امرأة! البيت كان كاملًا؛ تلفاز، وكنبة، ومكتبة، ولكن هناك شيء ينقصه؛ الراحة، والسعادة، والنظام. الكثير من عبوات البيرة والخمر في كل مكان. لم يستقر كثيرًا في مكان واحد، كان كثير التنقل والترحال.

كان أبي نائبًا لمديره، ولكن ساعات عمله كانت الأسوأ. فكان يعود وجيوبه ممتلئة بالمفكات والمسامير، وفور عودته لم يرد أن يزعجه أحدٌ. وفي أحيانٍ أخرى كنت أرى أنه مجنون بالموسيقى اليوغسلافية، حتى أنه كان يسـجل بعض الشرائطَ بصوته. أبي رجلٌ مميز حقًا! حتى في مشيته كان مميزًا، بعض الناس كانوا يقولون: "من هذا الرجل بحقٍّ الجحيم؟" ولكنه لم يلقِ لهم بالًا. لي أخ اسمه باكو كان يعيش معنا في البداية حتى بلغ السابعة عشرة من عمره. لا أتذكر أني تحدثتُ معه كثيرًا، حتى أخرجه أبي من البيت في النهاية. اشتعلت بينهما الكثير من الخناقات حتى تركنا وحدنا. الملاحظ أن لا أحد كان يأتي لزيارتنا، فأبي اعتاد الجلوس وحيدًا يحتسي الجعة ولا يسأل أصدقاؤه عنه. الملاحظ أيضًا أن البيت كان خاويًا من الطعام أغلب الوقت.

قضيتُ وقتي خارج البيت بين لعب كرة القدم وركوب الدراجات المسروقة، وحينما كنتُ أعودُ إلى المترل أمسك باب الثلاجة وأقول "أرجوكِ، كوني مملوءة بالطعام!" ولكن لا شيء هناك غير الحليب والزبد وبعض الخبز. وفي بعض الأيام السعيدة كنت أجد عصيرًا وفيتامينات وبيرة بكل تأكيد. البيرة دائمًا في بيتنا! كنتُ أصرخ من الجوع أحيانًا والألم يعتصر معدتي الفارغة. أحد أصدقائي اسمه "فينسنت" كان يبكي لأن وجبة الباستا تأخرت على النار، كان يبكي لأنه لم يحصل على طعامه بسرعة، وأنا أبكي لعدم وجود طعامٍ أصلًا .. آهٍ لو تعلم كم أنتَ محظوظ أيها الفتى!

بحثتُ في كل درج وكل مخبأ عن بعض المكرونة أو قطعة من اللحم. ملأت معدتي بالخبز يومًا وجريتُ ناحية أمي، وبدلًا من أن تأخذني بين ذراعيها قالت: "اللعنة! أنت جئتَ أيضًا؟ ألا يغذيك أبوك؟" وأحيانًا كانت تصرخ: "أترانا نطبع المال هنا؟ هل سيأتي يوم لتلتهمنا جميعًا؟" وبرغم المشكلات كان بعضنا يساعد بعضًا. كرهتُ إدمان أبي للبيرة، وفي يومٍ ما أخذتُ بعضًا من زجاجاته وسكبتُها في البالوعة.

إلا أن الرجل لم يلحظ شيئًا، فالبيتُ كان مليئًا بزجاجات البيرة؛ على الأرفف والمناضد، لدرجة أني كنتُ أجمع الزجاجات الفارغة وأذهبُ لإعادة تصنيعها. كنتُ أحصل على نصف كورونا للزجاجة الواحدة، وبرغم ذلك كنتُ أخرج بحصيلة 50 أو 100 كورونا، أي أني جمعت حوالي 100 أو 200 زجاجة بيرة. وجدتُ أن تحت يدي الكثير من الزجاجات التي تجعلني أحصل على مالٍ إضافي. وبرغم ذلك كان الأمر حزينًا بالنسبة لي، ففي اليوم التالي كان أبي يستشيط غضبًا. كان متقلب المزاج؛ يومًا يعصف بنا جميعًا، ويومًا ينفق علينا ببزخ. وفي الوقت نفسه كنتُ أجمع ملصقات لاعبي كرة القدم العالميين التي كانت تأتي مع قطع اللبان. وعندما اكتمل لديَّ أول ملصق كنت أتوقعه لمارادونا، إلا أني وجدته لأحد اللاعبين السويديين الذين لا أعرفهم. وفي يومٍ لاحق جاء أبي بعبوة كبيرة من اللبان حصلت منها على أفضل لاعبي البرازيل. وفي أحيانٍ أخرى كنا نشاهد التلفاز معًا ونتحدث.. كان وقتًا عظيمًا.

عندما كبرتُ صارت لديَّ القدرة على مواجهته، فقلتُ له كما كان أخي يقول دائمًا: "لماذا تسكر كثيرًا يا أبي؟"، اندلعت بيننا الكثير من الشجار المجنون، أغلبه للاشيء كي أكون صريحًا معك، ولكني أردتُ أن أثبت وجودي في البيت.

وبرغم ذلك لم يضربني أبي قط، إلا في مرة واحدة حملني في الهواء وألقاني على الفراش لأني أغضبتُ سانيلا؛ جوهرته الثمينة. كان أفضل أبٍ في العالم – ولو من داخله فقط. كان يشرب كي ينسى همومه، هكذا كان يقول أخي دائمًا. البعض يقول إن الحرب أثرت في أبي كثيرًا، ولكني لم أفهم معنى ذلك. جدتيّ هي من مات بسبب قنبلة سقطت على بيتها في كرواتيا. كلهم كانوا ينوحون بسبب رحيلها إلا أنا، لم يهمني ما يحدث بين الصرب والبوسنيين، ولكن أبي تضرر كثيرًا.

جاء أبي من مدينة بيلينيا في البوسنة، كان لديه بيت هناك قبل أن تبدأ الحرب التي ابتلعت المدينة وكل أصدقائه. اغتصب الصرب المدينة، دخلوها وأعدموا مئات المسلمين، أبي كان يعرف الكثير منهم، هربت أسرته بالكامل. رحل سكان المدينة كلهم واحتل الصرب بيوتهم، حتى بيت أبي القديم. أناسٌ آخرون دخلوا البيت وأخذوه، ولذا أفهم جيدًا لِمَ وصل أبي إلى هذه الحالة، ولِمَ كان ينتظر ليلًا أي هاتفٍ تليفوني من هناك يحمل له الأخبار. لقد أنهكته الحرب تمامًا، حتى صار مهووسًا بمتابعة نشرات الأخبار. كان يجلس وحيدًا يسكر ويندب حظه، يستمع إلى موسيقاه اليوغسلافية، فأغادر البيت وألهو بالخارج أو أذهب إلى بيت أمي .. عشتُ في عالمٍ مختلفٍ عنه.

لم يكن في البيت أحد سواه وسواي، أما في بيت أمي فالأمر أشبه بالسيرك. أولاد وبنات يذهبون ويجيئون، صراخ أطفال، وأبوابٌ تغلق وتُضرب بمنتهى العنف. انتقلت أمي إلى مكانٍ آخر في الشارع نفسه أعلى عمتي حنيفة أو "هانا" كما أطلق عليها. جمعتني علاقة قوية بكيكي وسانيلا، كنا أشبه بالعصابة في بيت أمي. غرقت أختي أكثر وأكثر في عالم المخدرات، وكانت أمي ترتعب كلما طَرَقَ أحدٌ على الباب أو رنَّ جرس الهاتف. وفي يومٍ ما جاءتني أمي تصرخ وتقول: "هناك مخدرات في ثلاجتي! يا إلهي"،

فجريت إلى كيكي وقلت له: "ما الذي يحدث؟ هل هناك مخدرات في الثلاجة بالفعل؟" وعندما بحثنا عن المخدرات وجدنا بعض التبغ الرطب في الثلاجة، فقلت: "اهدئي يا أمي، إنه تبغ رطب" فقالت: "نفس القاذورات".

انضمت أختي إلى مركزٍ لإعادة التأهيل، ولكنها خرجت وعادت إلى المخدرات من جديد، فقطعت عنها أمي المصروف وقالت: "لا تريني وجهك مجددًا" .. الكثير من الدراما في هذا البيت!

أتذكر يومًا ذهبت فيه إلى أختي وبيتها تملؤه المخدرات، ربما في عيد ميلادي أو شيء من هذا القبيل. أحضرت لها بعض الهدايا وكانت طيبة جدًّا معي. ولكن عندما توجهتُ إلى المرحاض ارتعبتُ وصرخت: "لا! لا تدخل!" عرفت أن أمرًا ما خطأً يحدث، وكأنها تخفي سِرًّا. كانت لديَّ الكثير من الأسرار أيضًا، دراجاتي المسروقة ولعب كرة القدم وأحلامي التي سيطر عليها بروس لي ومحمد علي كلاي. أردتُ أن أصبح مثلهما.

كان لي عمٌّ أكبر في يوغسلافيا يُدعى صباح الدين. كانوا يسمونه "سباكو"، وهو نفس الاسم الذي حصل عليه أخي الأكبر. صباح الدين كان ملاكمًا موهوبًا. صار فيما بعد بطلًا يوغسلافيًّا مع ناديه، ثم بطلًا يمثل بلاده في المحافل الدولية. ذهب عمي للاستحمام في نهر نيريتفا، ومن الواضح أنه كان يعاني أزمةً ما في قلبه أو رئتيه، لا أعلم. كان في الثالثة والعشرين من عمره، تزوج حديثًا، سحبه التيار ثم غرق. كانت مصيبة بالنسبة للعائلة. بعدها صار أبي متعصبًا نوعًا ما. جلس يشاهد جميع مباريات الملاكمة على شرائط الفيديو، ليست شرائط لعمي فقط، بل لمحمد علي كلاي، وفرمان، وتايسون، وكذلك أفلام لبروس لي وجاكي تشان.

تلك هي الأمور التي كنا نشاهدها في التلفاز السويدي السخيف. كنا نعيش في عالمٍ مختلف. كنتُ في العشرين من عمري عندما شاهدتُ أول فيلم على التلفاز، ولم تكن لديَّ أي فكرة عن مشاهير السينما ولا أبطال الرياضة. أعرف فقط محمد علي كلاي!

يا له من أسطورة! بطل مميز بعيدًا عمّا يقوله الناس. لم يعتذر قط، وهو شيء لن أنساه أبدًا. ظننتُ أني بنيتُ شخصيتي مثل كلاي، اعتدتُ أن أقول: "أنا الأعظم!" مثلما كان يقول. يجب على المرء أن يكون قويًا في روزنجارد، أسوأ شيء أن يقول لك أحدٌ: "أيها المخنث!" حينها لا يمكنك التسامُح معه!

إلا أننا لم نتشاجر معًا في روزنجارد، كنا مثل اليد الواحدة. رأيت هؤلاء الملاعين المنحطين الذين خرجوا في مظاهراتٍ عنصرية في 30 نوفمبر، ورأيت أيضًا مجموعة كبيرة من الرجال في حفل روزنجارد يطاردون رجلًا وحيدًا. في العادة لا أكترث لما يحدث حولي، ولكن هؤلاء الرجال كانوا من منطقتي، فانضممتُ إليهم، وعندما أمسكنا بالرجل أظنُّ أنه كان نادمًا. كنا مغرورين ومتوحشين، إلا أن هذا الأمر ليس بالسهل على الإطلاق.

عندما كنتُ أعيشُ مع أبي بالقرب من مدرسة ستينكولا كنت أقضي وقتًا أطول عند أمي، وفي وقتٍ متأخر من الليل أعودُ إلى بيت أبي عبر نفقٍ مظلم. وفي يومٍ ما تعرض أبي للسرقة وتلقى ضربًا مبرحًا، وانتهى به الأمر في المستشفى بثقبٍ في الرئة. لم أصدق ما حدث، ومهما أحاول أن أنسى الأمر لا أنسَه. كنتُ أخرج ليلًا متوجهًا إلى المكان نفسه الذي تعرض فيه أبي للضرب. مكان مقرف ومظلم يملؤه الدخان، باستثناء بعض أعمدة الإنارة التي أضاءت طريقي. كنتُ أركض بين كل عمودٍ وآخر كالمجنون وقلبي يقفز داخل صدري. كنتُ أعلم أن هذا المكان يسكنه الناس الذين برحّوا أبي ضربًا. ظللتُ أركض حتى وصلتُ إلى البيت وأنفاسي تتقطع.

ظَلّ أبي كما هو، يسكر ويفرغ ثلاجته من زجاجاتها، وعندما تفرغ يشتاط غضبًا. كان يرفعني عاليًا ثم يلقيني على الأرض. كان قويًا ومجنونًا كالأسد الهائج. في مرة من المرات صرخ في وجه سائقة التاكسي قائلًا: "هذا ابني، هو كل دنياي، فليذهب المرور إلى الجحيم، مستعدٌّ أن أدفع جميع الغرامات وأتعامل مع الشرطة من أجله"، وبالفعل سمعت المرأة كلامه. كنتُ مصابًا في ظهري وبالفعل أسرعت السائقة تنفيذًا لتعليمات

أبي. وصلنا إلى المستشفى وتلقيتُ العلاج، وعندما استيقظتُ في اليوم التالي لم أعرف أين أنا أو ما حدثَ لي.

لم أكن أتغذى جيدًا، جسمي كان صغير الحجم وضعيفًا في الوقت نفسه، إلا أني كنت قويًا في أشياء أخرى. كنت أركضُ طوال الوقت وكأن نارًا تشتعل بداخلي، ثم صرت كوالدي يستفزُّني أي شيء فأقول: "من أنت بحق الجحيم"، والآن صرتُ أفهم ما كان يشتعل في صدر أبي.

تعلمت كيف أتحمَّل الصعاب وأكمل طريقي، وأيضًا تعلمت كيف أُضحِّي بنفسي. عندما اشترينا سريرًا لي من أيكيا لم يكن مع أبي المال الكافي لمصاريف النقل، حوالي 500 كورونا إضافية. ماذا فعل أبي حينها؟ حمل السرير على ظهره من أيكيا! شيء جنوني! ظل يسير ميلًا تلو الآخر وأنا خلفه أحمل ألواح السرير الأمامية، كانت خفيفة جدًا، وبرغم ذلك لم أسبق أبي في السير. قلت له: "توقف يا أبي واسترح قليلًا"، ولكنه أكملَ سيرَه.

يسألني الناس: ماذا كنت لتصبح إن لم تكن لاعب كرة قدم؟ حسنًا ليس لديَّ أي إجابة عن هذا السؤال. ولكن من المحتمل أن أصبح مجرمًا. الكثير من الجرائم كانت ترتكب في ذلك الوقت، أعني بالتأكيد أني لم أكن أنتوي السرقة أو النهب، ولكني فعلت الكثير من الأمور السيئة مثل سرقة الدراجات والمتاجر. من الجيد أن أبي لم يعلم بذلك. صحيح أنه كان سكيرًا وعربيدًا إلا أنه كان يلتزم بمجموعة من القواعد. يقول لي دومًا: "افعل الصواب"، لم يحثني يومًا على السرقة والنهب.

وفي مرة أُلقيَ القبض عليّ وأنا أسرق من متجر ويسلز، سرقت أشياء بقيمة 1400 كورونًا، لم يكن الأمر هينًا، إلا أن صديق والدي جاء وشاهدني على هذه الحالة. وأخيرًا وصلت الأخبار إلى البيت؛ زلاتان إبراهيموفيتش يسرق ويفعل كذا وكذا. لحسن الحظ

أنا من تسلّم الخطاب الموجه لأبي، فقطعته إربًا. كنتُ حظوظًا حينها، ولكني عدتُ للسرقة مجددًا.. كان من المتوقع أن ينتهي الأمر بطريقةٍ أندم عليها.

الحق يُقال إن المخدرات كانت بعيدة كل البعد عني، كنت ضدها تمامًا. حتى أني لم أحتسِ من بيرة أبي، وابتعدتُ كذلك عن سجائر أمي. كرهت جميع أنواع المخدرات والسموم. كنتُ في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمري عندنا سكرت لأول مرة، وبعدها تقيأت كل ما كان في معدتِي على السُّلم كأي مراهق. وبعدها لم أشرب كثيرًا إلا أني ما زلتُ أتذكر تلك المرة التي نزلت في المغطس بعدما حصلت على أول دوري إيطالي مع اليوفنتوس. كان دافيد تريزيجيه التعبان هو من دفعني لهذا.

لم يكن مسموحًا لكيكي أن يدخن أو يشرب لأنني وسانيلا كنا نتابعه ونراقبه. كان الأمر ممتعًا! اعتنينا به كثيرًا، وكنت أقف له بالمرصاد، شعرت بالمسؤولية. ولكن الحق يُقال أيضًا إني لم أكن قديسًا في المقابل، ولم أكن جيدًا مع أصدقائي وزملائي طوال الوقت.

كنت ملتزمًا، ولكن مفترسًا في الوقت نفسه. كنت أخترع أفكارًا فلسفية في هذا الشأن. لم أتصرف تصرفات بذيئة ولم أقل أشياء تافهة مثلما يفعل النجوم السويديون. صحيحٌ أني كنت مغرورًا، ولكني أردتُ أن أصبح الأفضل بالفعل. كنت أفتعلُ المشكلات، ولكن لديَّ شخصيتي الفريدة التي تميزني. لم أكن الطالب الذي تتوقع له أداءً مبهرًا في الدراسة، ولكن الطالب الذي تتوقع فصله من المدرسة.

***

(3)

تضم مدينة روزنجارد أكثر من منطقة، وكل منطقة لا تختلف عن الأخرى في شيء، إلا منطقة جيبسي التي كانت الأفقر بينها. لم يكن الألبانيون والأتراك موجودين في كل مكان كما هو حال المناطق الأخرى. سكّان المناطق يرجعون أصولهم إلى مناطقهم لا البلدان التي أتوا منها في الحقيقة. لكن يجب أن تكون قديمًا ومخضرمًا في منطقتك حتى تثبت نفسك، والمنطقة التي كانت أمي تسكن فيها اسمها تورنورسن. منطقة مزودة بملعب كرة قدم وميدان في وسطه علم وسارية، والأهم من ذلك ساحة للعب كرة القدم كنّا نلعب فيها يوميًّا. في بعض الأحيان لم يسمحوا لي باللعب لأني كنت صغير الحجم.

كرهتُ الجلوس خارج الساحة. إن الفوز ليس أهم شيء في رأيي، بل المهارات والحركات البديعة. كنت أحبُّ أن أسمع عبارة: "واو! انظر إلى هذا" كي تبهر أصدقاءك وزملاءك بمهاراتك، ولن يتحقق هذا إلا بالتدريب اليومي، وفي الوقت نفس كانت أمي تصيح من النافذة: "لقد تأخر الوقت يا زلاتان، تعالَ الآن لتتناول طعامك" وكنت أقول لها: "بعد قليل، بعد قليل"، إلا أني لم أُطِع أمرها قط حتى تمطر السماء ويصبح الأمر فوضويًّا. لم نتعب قط، وكنت سريعًا جدًّا لصغر حجمي، ولكني كنت ضعيف البنية أيضًا، لذا فإن عرقلتي من الخلف كانت أمرًا سهلًا. تعلمت الكثير من الأمور الجيدة في هذا الوقت. أول نادٍ لعبت له هو (نادي مالمو الرياضي). كنتُ في السادسة، ولعبت

فوق الحصى خلف ثكنتين خضراوين، كنت أركب دراجتي يوميًا من البيت إلى التدريب .. دراجتي المسروقة طبعًا! لم أكن على خلقٍ قويم حينها على ما أظنُّ. أرسلني المدربون إلى منزلي أكثر من مرة، حتى أني صرخت في وجههم وشتمتهم كذلك. كنت أسمعُ عبارة: "مرر الكرة يا زلاتان". كان أمرًا محرجًا ومزعجًا. في النادي كان هناك لاعبون أجانب وسويديون كذلك. الكثير من أولياء الأمور كانوا منزعجين من مهارتي، وكنت أقولُ لهم: "اذهبوا إلى الجحيم"، وفي النهاية انتقلت من مالمو إلى نادٍ آخر يُدعى (بالكان).

كان أولياء الأمور في نادي مالمو يقولون للاعبين: "هيا يا رفاق، أحسنتم!"، ولكن في بالكان كانوا يقولون: "سننكح أمهاتكم بعنف". هؤلاء كانوا اليوغسلافيين الهمج، يدخنون بشراهة ويلقون بالأحذية في كل مكان، وكنت أقول: "رائع، وكأنني في البيت تمامًا". مدربي كان بوسنيًا، لاعب كرة قدم سابق في يوغسلافيا، اعتبرناه أبًا لنا جميعًا. حتى أنه كان يوصلنا إلى منازلنا ويعطينا بعض المال لشراء البوظة.

لعبت حارس مرمى فترةً من الزمن دون معرفة السبب، ربما لأني صرختُ في وجه الحارس القديم وقلت له: "أنت فاشل ويمكنني حراسة المرمى أفضل منك" وفي إحدى المباريات دخل مرماي أهداف كثيرة، غضبتُ بشدة. قلت إن الجميع فاشلون، كرة القدم فاشلة، والعالم كله فاشل، وإني سأتوجه للعب الهوكي أفضل .. "الهوكي أفضل أيها الملاعين، سأصبح أفضل لاعب هوكي في العالم، اذهبوا إلى الجحيم!"

تأخرتُ عن إحدى المباريات وأخذ الجميع يصرخ: "أين زلاتان؟" ولم تتبقَّ إلا دقيقة واحدة على المباراة. المدرب كان يريد قتلي، قال: "أين ذهب بحق الجحيم؟ أيُعقل أن يغيب عن مباراة مهمة كهذه؟" ولكني أتيت كالمجنون على دراجة مسروقة كالعادة حتى توقفت أمام المدرب تمامًا، ظنَّ البعض أني سأصدمه عمدًا. لم أسلّم عليه، بل توجهت إلى الملعب مباشرةً، استشاط الرجل غضبًا.

دخل بعض التراب في عينيه من أثر توقف الدراجة فجأة أمامه، ولكنه سمح لي باللعب رغم ذلك. فزنا في هذه المباراة، فقد كنا لاعبين ممتازين. ولكن في مباراةٍ أخرى عوقبت على أمر آخر، فأجلسني المدرب على مقاعد البدلاء. فريقي كان خاسرًا **4–0** أمام فريق "فيلين" المكون من لاعبين جيدين فعلًا ليس من بينهم مهاجرون مثلنا. ولكن كيف يجلسني هذا المدرب الأبله على المقعد؟ سألته:

– هل أنت غبي؟!

– تمهّل، تمهّل، ستلعب قريبًا!

سمح لي باللعب في الشوط الثاني وأحرزت ثمانية أهداف، ففزنا **8–4** وانهالت الشتائم والإهانات على الفريق الآخر. عدتُ إلى أمي وأنا سعيد تمامًا، ولكن يستفزني هؤلاء الأغبياء الذين يقولون: "لطالما توقعنا لزلاتان شأنًا عظيمًا" وكأنهم أرضعوني من أثدائهم، بل يقول آخر: "إنه أقرب أصدقائي" .. هراء!

إلا أني لم أتلقَّ أي عروض قوية، ولم يطرق باب بيتي مدرب نادٍ كبير. كنتُ مغرورًا وأسمع طوال الوقت عبارات مثل: "من سمح لهذا المهاجر بالوصول إلى السويد؟" في بعض المباريات كنتُ أُحرزُ ثمانية أهداف، ولكن في مباريات أخرى لم أقترب من المرمى حتى.

تعرّفت إلى شابٍّ اسمه توني فلايجر، كان زميلي عند مدرس اللغة نفسه. كما أن والديه جاءا من بالكان وهو شابٌّ قوي مثلي. لم يسكن في روزينجار، بل في مكانٍ آخر يُدعى فيتيموليجاتان. وُلدنا في العام نفس، هو في يناير وأنا في أكتوبر. كان أكبر مني وأقوى، والبعض رأى أنه أكثر مهارة مني أيضًا. كان يتلقى عبارات مثل: "انظروا إلى توني، يا له من لاعبٍ ماهر!" اضطررتُ أن أتحمل كل، هذا ولكن الحق يُقال إني لم أكن ماهرًا فعلًا في هذا الوقت. كنتُ مجنونًا معتوهًا لا أضع حدًّا لعصبيتي. صرختُ في

اللاعبين والحكام طوال الوقت، وانتقلتُ من فرقٍ لآخر. لعبتُ في بالكان، ثم انتقلتُ إلى فريقي الحالي، ثم تركته عودةً إلى بالكان، ثم تركت بالكان إلى فلاج.

لم يصحبني أحدٌ إلى التمرين قط، وكنت أحيانًا أنظر إلى أولياء أمور زملائي يقفون خارج الملعب.لم يصحبني أبي إلى هناك قط، فهناك الكثير من اليوغسلافيين والسويديين. إلا أني وفي قرارة نفسي لم أحتج إلى أحدٍ. إلا أن الأمر كان يُؤرِّق منامي. أبي كان لا أمل فيه ولا رجاء منه، ولكنه أبٌ رائع. اعتمدت عليه كما اعتمد هؤلاء الشباب على آبائهم.

في الحي الذي أعيشُ فيه لا أحد يتخرج ليصبح محاميًا، بل يجب أن تكون شابًا قويًا لتتحمل ما يحدث حولك. ما زال أبي يحتسي البيرة ويسكر ويقول لي: "هل أحكي لك قصة سويدية؟" ولكنه عندنا ينتقل بالحديث إلى كرة القدم أشعر بسعادةٍ غامرة. وفجأة قال:

– زلاتان! أظنُّ أنه قد جاء الوقت كي تلعب لنادٍ كبير .. مثل مالمو.

لم أفهم حينها، هل مالمو نادٍ كبير حقًّا؟ لم أجد إجابة، إلا أني أعرف النادي جيدًا، فقد لعبت ضده في بالكان، وقلت لنفسي: "ولِمَ لا؟" ولكن أين يقع ملعب مالمو؟ بالفعل كان الملعب قريبًا، ولكنه عالم آخر بالنسبة لي. تلك هي المرة الأولى التي أذهبُ فيها إلى وسط المدينة، لم أكن أفهم شيئًا عن الحياة حينها. الطريق من البيت إلى التدريب كان يستغرق نصف ساعة على دراجتي. الأمر كان جادًا جدًا في مالمو. كانوا يقولون: "هيا العب يا فتى وأرِنا نفسك"، لاحظت أني لم أكن مثل البقية، فأخذت أشيائي وقررتُ الرحيل، ولكن في اليوم التالي قال لي المدرب نيلز:

– مرحبًا بك في الفريق!

– حقًّا؟!

بلغت الثالثة عشرة من عمري. وجدت أجنبيين بين لاعبي الفريق، وتوبي أحدهما، أما باقي اللاعبين فكلهم من السويد، وأغلبهم من الأثرياء. شعرتُ كأني من المريخ، ليس فقط لأني لا أسكنُ في فيلا ولا أحضر التدريبات أبدًا، ولكني كنتُ أتحدثُ بطريقة غريبة. حتى في الملعب صرتُ كالقنبلة، أراوغ وأسدد وأحرز الأهداف بكل حماسةٍ. وفي مرة حصلت على بطاقةٍ صفراء لأني صرختُ في وجه زملائي. قال الحكم: "لا يمكنك فعل هذا"، فصرخت في وجهه قائلًا: "فلتحترق في الجحيم أيها المخنث!" فأشهر البطاقة الحمراء في وجهي.

بدأ السويديون يتبادلون الكلمات، يريدونني خارج النادي، ولكني لا أكترثُ ألبتة. سأنتقل من هذا النادي مثلما انتقلتُ من الأندية السابقة، أو سأشتغل في التجارة. هذا أفضل، كرة القدم شيء مقيت. جاء أحد أولياء الأمور وقال: "زلاتان يجب أن يرحل عن الفريق"، ثم أحضر قائمة بالموافقين على الاقتراح، ووقَّع عليها الكثيرون. كانوا يقولون: "هذا الولد لا ينتمي إلى هذا المكان، يجب أن يخرج" وكل هذا الهراء.

استشطتُ غضبًا فتشاجرتُ مع ابن هذا الرجل، عرقلني في الملعب فانفجرت فيه. ندمتُ على ذلك فعلًا، فأخذتُ دراجتي وزرته في المستشفى واعتذرتُ له. ولكن ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ أي قائمة تلك؟ أمسك المدرب أكي كالينبرج بالقائمة وقال: "ما هذا الهراء؟"

قطّعها إربًا، إنه رجل حسن الطِّباع! ولكن حُسن الطباع لا يروق لي. وضعني على مقاعد البدلاء في الفريق الرديف، وكأي شخص آخر كان يظن أني أعرقل اللاعبين وأصرخ في زملائي كثيرًا. حينها تعلمت شيئًا مُهمًّا، لو احترم الناس شابًّا مثلي لأصبحت أفضل خمس مرات من ليفي بيرسون (اسم سويدي) وكل هؤلاء المشاهير.

صار من الواجب أن أتأدَّب بعض الشيء. أردتُ هذا بالفعل! لم أكن حالةً ميؤوسًا منها، ولكن النادي كان على بعد سبعة كيلومترات، وكنت أذهبُ إلى هناك يوميًّا على

قدمي. ولكن المغريات كانت أكبر مني أحيانًا، وخصوصًا عندما أرى دراجة جديدة. وفي مرة وجدتُ نفسي أحلق في دراجةٍ جديدة صفراء مزودة بصندوقين جميلين، حينها فهمتُ أنها دراجة ساعي البريد. سرقتُ الدراجة وقُدتُها قليلًا ثم أعدتُها من جديد بكل ما فيها من رسائل .. لن أسرق رسائل الناس أيضًا!

وفي مرة وجدتُ إحدى الدراجات التي سرقتها قد سُرقت مني. وقفت في جانب وكنتُ جائعًا جدًّا وبعيدًا عن البيت. كسرتُ قُفل دراجة أخرى وأخذتها وذهبتُ إلى البيت. ولكن بعد فترة اضطررتُ للتوقف عن هذا السلوك، خصوصًا بعد استدعائي إلى اجتماع، واجتماع يعني وعظًا ونصحًا وإرشادًا دينيًّا. كنت أقول:

– لم أسرق شيئًا! إنه أخي، إنه أخي!

الاجتماع كان بخصوص دراجة المدرب المساعد، ولكن يا ترى مَن سرقها؟

قلت لم أرَ شيئًا، ففي موقفٍ كهذا يُستحسن أن تنكر كل شيء وتقول: "أوه! يا إلهي! كم أنا حزين من أجلك، فقد تعرضت دراجتي للسرقة مثلك!"

إلا أني شعرتُ بالسوء، ليس من الجيد أبدًا أن تسرق دراجة المدرب المساعد .. الواجب أن تستمع إليهم، وإلى تكتيكاتهم، وإلى خططهم على أرض الملعب. ذهبتُ إلى الرجل المسكين وقلت له:

– للعلم فقط، استعرتُ دراجتك لبعض الوقت، ولا تقلق ستكون لديك غدًا!

رسمتُ ابتسامةً عريضة على شفتيّ. لم يكن الأمر سهلًا، كنتُ مضطهدًا طول الوقت. لو ضاع شيء فإن زلاتان هو من سرقه. كنت فقيرًا أيضًا، وبينما كان أغلب اللاعبين يحضرون أحذية من جلد الكنغر الطبيعي أحضرتُ أنا حذاءً من "إيكوهالين" بما يعادل 6 يورو. كان حذائي من النوع الذي لا يختلف شيئًا عن القمامة، ولكن الأمر سار بشكل طبيعي، لم أمتلك شيئًا ثمينًا من قبل.

عندما كنا نسافر إلى الخارج كان كل شابّ يحصل على ما يعادل 200 يورو، أما أنا فأحصل على 20 يورو بصعوبة. في إحدى المباريات كنا نلعب أمام جوتبورج، وعندما انتهت المباراة أراد لاعبو فريقي التقاط الصور مع نجوم نادي جوتبورج، وخصوصًا لاعب اسمه توماس رافيللي. لم أعرفه، ولم أرد أن أبدو كالمعتوه. لم أحب اللاعبين السويديين قط، فكل عشقي كان للبرازيليين مثل روماريو وبيبيتو والآخرين. كل ما أعجبني في رافيللي هذا هو سرواله، تُرى من أين أسرق سروالًا كهذا؟

اضطر النادي لبيع بعض تذاكر اليانصيب لكسب المال، لم أفهم حينها ما هو اليانصيب أصلًا. وعندما فهمتُ الموضوع، قررتُ بيع تذاكر اليانصيب.

– مرحبًا، اسمي زلاتان، آسف على الإزعاج، هل تريد تذكرة يانصيب؟

هكذا كنتُ أحومُ في الشوارع، ولم أبعِ إلى تذكرة واحدة. اضطر أبي لشراء بقية التذاكر، يا له من ظلمٍ فاحش! لم يكن معنا المال الكافي، والبيت خاوٍ من كل شيء تقريبًا.

لعبنا من جديد، فريقي كان مُكوّنًا من لاعبين جيدين أمثال توني فلايجر، وجودموندور ميتي، وماتياس كونتشا، وجيمي تاماندي، وماركوس روزنبرج، وأنا. تحسّن مستواي كثيرًا، ولكن استمر إزعاج أولياء الأمور، كانوا يقولون: "ها هو مرة أخرى.. العرقلة نفسها المراوغة نفسها، هذا اللاعب ليس مناسبًا للفريق"، ولكن مَن هؤلاء بحق الجحيم ليحكموا عليّ؟ إلا أني فكّرت في الانتقال من الفريق. لم يكن أبي بجانبي لينفق المال أو ليشتري لي حذاءً جديدًا. اعتمدتُ على نفسي، وما زال هؤلاء الصبية السويديون وأولياء أمورهم الأغبياء يقولون إني مخطئ. ولكن مثلي لا يرتاح أبدًا، ويبقى في حالة حركة ونشاط دائمين.

وفي يوم جاءني جوني جايلنسو، مدرب الفريق الرديف، وقال: "لا يمكن أن يخسر الفريق مهارة كمهارتك" وقّع أبي على عقد جديد لأحصل على **1500** كورونا في الشهر، ضربة كبيرة طبعًا، فصرتُ أقاتلُ أكثر وأكثر. تدربت أكثر على اختطاف الكرة بأقل مجهود ممكن، ولكن لم يتحسن مستواي كثيرًا، وظَلّ توني الأفضل في الفريق. لطالما كنتُ معجبًا بالمهارات البرازيلية،وعندما حصلتُ على كمبيوتر نزّلتُ بعض الفيديوهات الخاصة بمهارات لاعبين مثل رونالدو وروماريو، ثم تدربنا عليها وبدأنا نطبقها على أرض الملعب. كثيرون كانوا يفعلون مثلما نفعل، ولكنها خطوة إلى الأمام. اهتممتُ كثيرًا بتفاصيل المهارات وتدربتُ عليها كثيرًا لأستعرض أمام اللاعبين، ولم يهمني كم يترعج أولياء الأمور مما أفعله. الحق يُقال إني أردتُ أن أصبح مختلفًا عن الآخرين، ولم يكن الأمر سهلًا.

أتوا لي بمعلمٍ إضافي في مدرسة سورجنفري، فاستشطت غضبًا! لَمَ يحضرون معلمًا جديدًا بحق الجحيم؟ ارتكبت الكثير من الأخطاء، إلا أني حصلتُ على درجات جيدة في اللغة الإنجليزية، والكيمياء، والفيزياء. لم أكن شابًّا مدخنًا، لم أدخن سيجارة واحدة، بل كنت مشاكسًا لا أكثر ولا أقل. البعض كان يتحدث عن نقلي إلى مدرسة خاصة. هل يصح أن أقول إني كنتُ جيدًا في الرياضة فقط؟ كنت أكرهُ المدرسة وأجد صعوبةً كبيرة في الجلوس بين الكتب والاستذكار، ولكن عندما يتعلق الأمر بركل الكرة أو البيض أصبحُ أنا الأفضل.

أرادت المعلمة أن ترى مهاراتي في فصل اللياقة البدنية، غضبتُ كثيرًا فركلتُ الكرة في وجهها. جُنَّ جُنونها واستدعت أبي وطلبت منه عرضي على طبيب نفسي، وهو الأمر الذي دفع أبي للجنون، فلا أحد بإمكانه الحديث عن أولاده بهذا الشكل، قال: "من أنتِ بحق الجحيم لتقرري مسألة الطبيب النفسي؟ أنتِ من تحتاجين إلى طبيبٍ نفسي. ابني سليم مائة في المائة، لذا فلتحترقي في الجحيم!"

تم إيقاف تلك المعلمة لاحقًا. استعدتُ ثقتي بنفسي. وفي يوم كنتُ أواعِدُ فتاةً، ولم أجد لتلك الثقة أي وجود. كنت أخاف من مجرد سؤالها عن رقم هاتفها. رأيتها جميلة جدًّا، فقلت لها: "هل تخرجين معي بعد المدرسة؟" فردت "بالتأكيد". اقترحتُ عليها الذهاب إلى ميدان جوستاف في وسط مدينة مالمو. أعجبتها الفكرة، ولكني انتظرتها ولم تأتِ. لماذا لم تأتِ؟ هل لم تعد معجبةً بي؟ انتظرت قليلًا، شعرتُ بإذلالٍ رهيب. لا أكترثُ لأمر تلك الفتاة التافهة، فأنا زلاتان سأصبح نجم كرة القدم. ولكني شخص غبي، فالحافلة التي تُقلُّ الفتاة تأخرت قليلًا، ووصلت إلى الميدان بعدما غادرتُ.. ثم غادرت حزينة مثلما غادرتُ قبلها.

***

(4)

دخلت الثانوية العامة في مدرسة بورجار التي تقدم تدريبًا لكرة القدم كذلك، كانت لديّ توقعات هائلة. والآن صار بالإمكان تغيير كل شيء، صرت شخصًا أفضل. هناك شابات وشبّان في المدرسة، ولكن هذه المرة الوضع مختلف. الشبّان رائعون يرتدون ملابس أنيقة ويدخنون السجائر. كما أننا نتدرب بملابس ماركة أديداس أو نايك. كنتُ أسير بين الناس مرتديًا هذه الماركات بكل فخر. إلا أن أصولي في روزنجارد ظلت تطاردني حيثما ذهبت.

رأيت قمصان ماركة رالف لورين وتمبرلاند في مدرسة بورجار. كما أن هناك الكثير من الفتيات الجميلات، ولا يمكنني التحدث إلى إحداهن وأنا بهذه الحالة. تحدثت مع أبي في الأمر، وتشاجرنا كثيرًا، درسنا الأمر معًا؛ يحصل كل طالب خلال أعوام الدراسة الثلاثة على مبلغٍ من المال من الحكومة. المبلغ 795 كورونا شهريًّا، فرأى أبي أنه من الطبيعي أن يحصل على هذا المبلغ لأنه ظل ينفق عليّ طوال حياتي، فقلت له:

– لا يمكنني أن أصبح أقل من زملائي في المدرسة!

بنهاية المطاف أصبحت طالبًا في المدرسة، وحصلت على المبلغ، وفتحت حسابًا بنكيًا لإيداع المبلغ. ميعاد صرف المبلغ كان يوم 20 من كل شهر، وزملائي كانوا ينتظرون أمام ماكينات الصراف الآلي منذ الساعة 23:59 من يوم 19 في الشهر. على العموم كنت أحصل على المبلغ وفي صباح اليوم التالي أذهب لشراء بنطال ماركة (دافيد جير).

كانت أرخص ماركة حينها، كما أني اشتريتُ بعض القمصان كذلك، ثلاثة قمصان بسعر واحد. جربت أكثر من ستايل، ولكن لم يعجبني شيء. إلا أن أصولي في روزنجارد ظلت تطاردني حيثما ذهبت. شعرت بالضآلة! العجيب أن طولي ازداد **13**سم في شهرين فقط، فأردتُ أن أثبتُ نفسي أكثر. صرتُ أتمشى في شوارع وسط المدينة، وأتناول الطعام في برجر كينج، وأزور الميادين.

أردتُ أن أصبح مثل هؤلاء الأثرياء، فسرقتُ جهاز **MP3** من خزنة أحد زملائي. كان لكلٍ منا خزنة يضع فيها أشياءه في المدرسة مزودة بقفلٍ صغير يُفتح بواسطة كود. أخبرني أحد زملائي بكود زميلٍ آخر، وعندما لم يكن موجودًا فتحت خزنته وأخذت الجهاز وركضتُ بعيدًا لأستمع لموسيقاه الرائعة. إلا أن الوضع لم يتحسن بعد. ما زلتُ فتى روزنجارد الفقير. صديقي كان أذكى مني، فحصل على فتاة جميلة من عائلة ثرية وصار صديقًا لأخيها وأخذ الكثير من ملابسه. خُدعة رائعة لكنها لم تدم طويلًا، فنحن الفقراء مختلفون، يبدو علينا الاختلاف. ولكن على الأقل ظَلّ صديقي يمشي بين الناس يرتدي أفضل الماركات. ومن ناحيةٍ أخرى لم أكن غبيًّا، ولكني كنت مخطئًا في النظر للعديد من الأمور.

قال آخرون أني لا أساهم بالكثير من الفريق، قالوا: "مراوغاتك لا تحسم المباريات" سمعتُ هذا الهراء مئات المرات وسمعتهم يقولون أيضًا: "أليس هذا زلاتان الشاب الموتور؟" إلا أني بقيت على الحال نفسه، أصرخُ في زملائي وأشتمُ وأسبُّ كل من يضايقني، كنت مختلفًا عن الجميع. أتذكر في إحدى المباريات التأهيلية تأهل فريقي ولكن المدرب لم يشركني، وقال: "زلاتان مصاب" قلت له: "ماذا تعني؟ ماذا تريد؟" فقال: "أنت مصاب" ولا أعلم سبب استبعادي من مباراة تأهيلية مهمةٍ كهذه فقلت له غاضبًا: "أنت تفعل ذلك لإغضابي".

ولكنه بدا مقتنعًا بأني مصاب، بدا الأمر غريبًا والجميع لا يفهم ما يحدث. في تلك الفترة تأهّل مالمو بدوني. كنتُ مغرورًا في تلك الفترة، أتذكر أن معلم اللغة الإيطالية

طردني من الفصل لأني قلت له: "اذهب إلى الجحيم، سأتعلم الإيطالية وحدي عندما أصبح أحد نجوم الدوري الإيطالي".

في تلك الفترة كان الفريق الأول لمالمو يعاني مشكلاتٍ كبيرة، وهو أفضل فريق في السويد. هذا الفريق وصل إلى نهائي دوري أبطال أوروبا في أثناء السبعينيات، والفريق لم يستفد من ناشئيه، بل اشتروا لاعبين من الفرق الأخرى. ولكن بدون أي مقدمات سقط الفريق ولم يعد لديه مال يكفي لشراء لاعبين. كنا نسأل أنفسنا: "من سيتأهل للفريق الأول، أنت أم أنت؟"

تأهل توني فلايجر وجودموندور ميتيوجيمي تاماندي بالطبع، ولم يفكروا فيّ. أظنُّ أن الإدارة وضعتني في ذيل القائمة. لم يكن هناك أي أمل، حتى مدرب الفريق الرديف وضعني على مقاعد البدلاء. البعض كان يرى أن لاعبًا جاء من بلدٍ آخر لا يجب أن يؤدي تلك الحركات والمهارات البرازيلية. مالمو كان أفضل الفِرق وأحسنها، كل اللاعبين مهذبون ومحترمون، ولذا فإنهم لم يرحبوا بأي لاعب من مكانٍ حقير. لن يكون لي مكان في الفريق الأول، وما زال لديَّ عقد مع الفريق الرديف يجب أن ألتزم به، كما أن المال الذي أحصل عليه بموجب العقد ينفعني كثيرًا.

صحيح أن الكثير من لاعبي الفريق الرديف لم يتأهلوا للفريق الأول، ولكن ليس لسوء مستواهم، ولكن لأن الإدارة أرادت الاحتفاظ بهم. لعبنا مباريات سخيفة مع فرقٍ أسخف، ولكنها كانت فرصة لأُظهِرَ مهاراتي. في بعض الأحيان كنا نتدرب مع الفريق الأول، ولم أندمج معهم بتاتًا. لا يُفترض أن يستعرض لاعب الفريق الرديف مهاراته أمام لاعبي الفريق الأول، ولكني قلتُ في قرارة نفسي: "ولِمَ لا؟ ليس لديَّ ما أخسره" انطلقتُ وأظهرتُ إبداعاتي وسمعتُ الكثيرين يقولون: "ماذا يظن هذا الشاب نفسه؟" وكنت أقول بداخلي: "اذهبوا جميعًا إلى الجحيم!" وأكملت ما بدأته. راوغتُ ولعبت بقوة وجذبتُ أنظار مدرب الفريق الأول، رولاند أندرسون.

أسئلة كثيرة طرحت نفسها داخل عقلي أهمها: "هل يراني المدرب لاعبًا جيدًا؟" ولكن كل شيء تغير بسبب الغباء الذي كان يحدث حولي، كنتُ أراه وأقولُ "هل قال له أحد شيء عني؟" لو فشلت في كرة القدم فإني فاشل بالتخصص في المجالات الأخرى، وخصوصًا الدراسة. كنتُ خجولًا بعض الشيء، لم أتناول طعامي إلا في المدرسة. لم أذاكر كثيرًا حتى انتهى بي الأمر خارج أسوار المدرسة الثانوية، وتخيل كمَّ المشكلات التي وقعت في البيت لهذا السبب.

جدران غرفتي كانت مغطاة بصور كبار اللاعبين مثل رونالدو؛ لاعبي المفضل. رونالدو هو أفضل لاعب على الإطلاق في رأيي. ولكن ماذا عن المنتخب الأول للسويد؟ لا يوجد فيه نجم واحد، لا أحد يتكلم عن نجم سويدي. رونالدو هو بطلي، درستُ كل مهاراته وأهدافه، حتى صرتُ جيدًا وأُراوِغُ بالكرة مثله.

ولكن ماذا كسبت؟ لا شيء. لن أصبح نجمًا مهما تكن مهاراتي. قررتُ إيجاد طرقٍ أخرى، وكلها فشلت. لعبت كثيرًا حتى شاهدني رولاند أندرسون ألعب في فريق مالمو للشباب. سمعتُ حينها أن المدرب يريد الحديث معي. ارتعدت فرائصي وفكّرت قليلًا: "هل سُرقت دراجته؟ هل ضربتُ أحدًا؟" فكرت في كل المصائب التي أرتكبُها يوميًّا! كان رولاند يتميز بصوتٍ عميق. رجل مهذب لكن صارم، يسيطر على غرفة الملابس بيدٍ من حديد، يصيبني الرعب كلما فكرتُ فيه.

لعب رولاند أندرسون في الدوري الأرجنتيني من قبل، وكان لاعبًا للمنتخب القومي. رجل محترم فعلًا! ذهبت إليه فوجدته يجلس على مكتبه مُقطّبًا جبينه، يبدو صارمًا .. قلت له:

- أهلًا رولاند، أتريد شيئًا؟

لطالما أردتُ أن أبدو مغرورًا، شيء اعتدته من طفولتي التي علمتني أن أكون قويًّا دومًا.

- اجلس!

- حسنًا، لكن اهدأ .. لم يمت أحدهم، أعدُك!

- زلاتان، لم يعد بالإمكان أن تلعب مثل الصغار.

تُرى ماذا يقصد؟ ومَن الصغار؟

- لماذا؟ أتعني أحدًا بعينه؟

- حان الوقت لتلعب مع الكبار.

لم أفهم ماذا يعني ..

- ماذا؟!

- مرحبًا بك في الفريق الأول يا زلاتان!

لم أشعر بقدميّ، وكأني ارتفعت عن الأرض بعشرة أمتار .. خرجتُ من عنده لأسرق دراجة أخرى وقُدتُها في شوارع المدينة وكأني أفضل شابٍّ فيها.

***

(5)

في مالمو كان لدينا شيء اسمه (الميل) وهي مسافة للجري تمتدُّ حتى عشرة كيلومترات. كنا نجري من خارج الملعب إلى البرج المائي جنوب شارع ليمام، نمرُّ على كل تلك البيوت والفيلات الفارهة المطلة على المحيط، ولكن جذبَ انتباهي بيتٌ بالخصوص، مطليٌّ باللون الوردي، وكنتُ أقول في قرارة نفسي: "أي نوعٍ من البشر يعيشون هنا؟ من أين لهم بكل هذا المال؟!"

نُكمل الجري حتى مدرسة بورجار، وكنتُ أشعر بالنشوة عندما تشاهدني الفتيات الحسناوات والشباب المرفّه وكأني أنتقم منهم وأقول: "هأنذا، الشاب الفقير من حواري روزنجارد الذي بصعوبةٍ كان يتمالك نفسه حينما يكلم فتاة، والآن أنا ضمن هؤلاء الكبار أمثال ماتس ليلنبرج وآخرين. ركضتُ في البداية بسرعة شديدة، كنت الشاب المُستجَدّ في الفريق وأردتُ الاستعراض قليلًا، ولكني فهمت بعد ذلك أن الأمر الأهم هو أن تثير إعجاب هؤلاء الحسناوات.

ولذا ابتكرت أنا وتوني وميتي الكثير من الخدع. كنا نركض أول أربعة كيلومترات ثم نأخذ حافلة، لم يرنا أحد، فكنا الأخيرين في الصف ولم يلحظ أحد غيابنا. كنا نضحك بشدة كالمجانين، فالأمر جنوني حقًّا! ولكن علينا الاختباء داخل الحافلة حتى لا يرانا الزملاء عندما تمرُّ الحافلة بجوارهم. وعندما تصل الحافلة بالقرب من المدرسة نترل من الحافلة ونجري كالمجانين بكل قوة فترانا الفتيات ويقلن: "يا لهؤلاء الشباب! إنهم أقوياء حقًّا!"

وفي يوم آخر قلت لتوني وميتي: "دعونا نسرق دراجة أخرى!" لم يرحبوا بالفكرة في البداية، فلم تكن لديهم خبرتي نفسها، إلا أني سرقتُ دراجة بالفعل وركبوا خلفي وجرينا بها. لم أكن أكثر الشباب تعقلًا بالتأكيد، وتوني نفسه كان مغفلًا، بدأ حياته بالأفلام الإباحية، وكان يحضر لنا الشيكولاتة لنأكلها بدلًا من الجري مع زملائنا الكادحين.

أظنُّ أنه لمن حسن الحظ أن رولاند أندرسون كان يقبل اعتذاراتي، أو لا يقبل، فهو رجلٌ حسن الطباع. ولكنه أحيانًا كان يقول: "ما لهذا الشاب زلاتان؟ لماذا يُظهِر كل هذا الغرور؟" وفي مرات أخرى يقول: "إنه يراوغ كثيرًا بالكرة، ولا يفكر بزملائه في الفريق"، أظنُّ أنه كان محقًّا في بعض ما يقوله، ولكن بقية كلامه كان نابعًا من غيرته. اللاعبون كانوا يشعرون بالغيرة أيضًا، ولكني كنتُ أبذلُ مجهودًا كبيرًا، كما أن التدريب لم يكن كافيًا، فكنتُ ألعبُ خلف بيتي الساعة تلو الأخرى. كنتُ أذهبُ إلى هؤلاء الأطفال في روزنجارد وأقول: "سأعطيكم ما لديَّ من مال إن حصلتم على الكرة مني"، ولم يأخذوا مالًا قط، لا لأني كنتُ أسرقهم، ولكن لأني كنتُ أحمي الكرة بجسمي كله.

ولكن حينما لم أكن في التدريب أو الملعب كنت أجلس وأقضي ساعات طويلة بين ألعاب الفيديو، كلها عن كرة القدم بالتأكيد. حتى أني أوجدت حلولًا في اللعبة من واقع خبرتي الحقيقية. إلا أن الأمر لم يكن هينًا في النادي، فالكل يظنني من كوكب آخر، وما زلتُ أحتفظُ بروح روزنجارد بداخلي. كانت المهام مُقسَّمة بين الكبار والصغار، فالصغار يؤدون المهامَّ السيئة ويحضرون التدريبات باستمرار. كان الأمر سخيفًا ومملًّا في البداية. توقع تومي سودربرج، مدرب المنتخب القومي السويدي، حصول نادي مالمو على بطولة الدوري السويدي، ولكن منذ ذلك الحين والفريق يعاني، وكنا على وشك الهبوط للدرجة الثانية. لم يعانِ الفريق بهذا الشكل ستين عامًا. غضب المشجعون وحمل اللاعبون الكبار المسؤوليةَ على كواهلهم بالكامل. كانوا يعلمون أن

الأمر سيصبح كارثيًا إذا هبط الفريق. لم تعد هناك إمكانية لإبراز مهاراتي البرازيلية، ولكني سعيد باستدعائي للفريق الأول، وأردتُ إثبات نفسي .. ربما لم يكن الوقت مناسبًا.

ولكن الأمر يجري في عروقي، فأنا الشابُّ المستجد في الفريق ولا بد من بعض الاستعراض. وفي يوم وجدتُ جوني فيديل، حارس مرمى الفريق، يقول لي: "أحضر الكرات بحق الجحيم!" جفلت كثيرًا ووجدت بقية اللاعبين ينظرون إليّ وكأنهم يتوقعون مني أن أحضر الكرات،ولكن مستحيل.. مستحيل أن يتحدث إليّ أحدٌ بهذا الشكل.

قلت له: "إذا أردتَ الكرات فاذهب وأحضرها بنفسك"، ولم تكن هذه طريقة الكلام المعتادة في مالمو.

اعتزلني بقية اللاعبين، ولكني حصلت على دعم رولاند ومساعده توماس سيوربرج. إلا أنهم كانوا يؤمنون بتوني أكثر مني، فلعب في مباراته الأولى وأحرز هدفًا في أول ظهورٍ له. بقيت جليس المقاعد وحاولتُ بذل المزيد من الجهد. لم يَجِدَّ جديدٌ! لم يعجبني الأمر، أردتُ فعل شيء جديد يجعلني أحصل على فرصتي فورًا. وفي 19 سبتمبر 1999 كنا نواجه فريق هالمستاد على ملعبه.

كانت مباراة حاسمة، فإذا فزنا أو حصلنا على نقطة واحدة من المباراة سنبقى في الدوري الممتاز، وإذا لم يحدث فعلينا القتال فيما تبقى من مباريات. المباراة مغلقة تمامًا، أُصيب مهاجمنا الصريح نيكلاس جودمونسون في بداية الشوط الثاني، دبّ بداخلي الأمل في المشاركة. ولكن رولاند لم ينظر ناحيتي حتى. الوقت يمر والنتيجة 1-1 وهي نتيجة كافية لنا. ولكن بعد ربع ساعة أُصيب كابتن الفريق هاس ماتيسون، ثم أحرز فريق هالمستاد هدفًا ثانيًا .. تحوّلت وجوه الآخرين إلى لونٍ أصفر فاقع.

وأخيرًا أشركني رولاند، وعلى الرغم من تململ الآخرين من مشاركتي، فإن الدماء كانت تغلي في عروقي. قميصي كان مكتوبًا عليه (إبراهيموفيتش) في الخلف بخط عريض وكبير. ركلت كرة نحو المرمي ارتطمت بالقائم. حصلنا فيما بعد على ضربة

جزاء في الدقائق الأخيرة من المباراة، الأمر الآن حياة أو موت. إذا أحرزنا هدفًا سينقذ شرف الفريق هذا الموسم. تردد اللاعبون في اختيار من ينفذ الضربة، ثم جاء توني المغرور وقال: "أنا لها!"

أظنُ أنه كان يجب على أحد اللاعبين إيقافه، كان لاعبًا صغيرًا ولا يجب أن يتحمل مثل هذه المسؤولية. الكل الآن يحبس أنفاسه، ركل توني الكرة وصدّها الحارس. خسرنا المباراة! ومن بعدها لم يرَ توني الملعب ثانيةً. شعرت بالأسى تجاهه، إلا أني استفدت وصرتُ ألعبُ دقائق أكثر. دخلتُ لاعبًا احتياطيًا ست مرات، وفي مرة قال رولاند إني مثل الجوهرة غير المصقولة. لم تخرج هذه العبارة من عقلي، وبعد فترة قصيرة وجدتُ الأولاد الصغار يطلبون الحصول على أوتوجراف مني، لا لأني أصبحتُ نجمًا كبيرًا، ولكني صرتُ أفضل بالتأكيد، ولا أريد أن أخذل هؤلاء الأولاد.

مرة تلو الأخرى ظلّ الأولاد والشباب يأتون لمشاهدتي، وكنتُ أقفُ معهم وأنصحُهم، يبدو الأمر غريبًا نظرًا لتاريخي، ولكني أردتُ أن أنال إعجابهم. هؤلاء المتابعون هم من منحوني حق اللعب بهذا الشكل، وسيظلون يعجبون بي حتى لو صرتُ أكثر اللاعبين مللًا في الملعب. كثُرت الأوتوجرافات وذاع صيتي.

إلا أن الأمور ما زالت سيئة في النادي من خلفي، وضعنا سيئ وخسرنا مباراة في ملعبنا أمام تريلبورج. أخذ الجمهور يبكي ويطالب رولاند بالرحيل. قذفوه بالحجارة واضطرت الشرطة لتأمين خروجه من الملعب، وحتى عندما ركبنا حافلة الفريق انهالتْ علينا الحجارة، كان الوضع سيئًا للغاية، ولم يتحسن الوضع عندما خسرنا خسارة مُذلّة أمام فريق أيك.

تحققت الكارثة! هبط الفريق إلى الدرجة الثانية لأول مرة منذ أربعة وستين عامًا. اختفى الجميع واختبأ اللاعبون خلف دورات المياه وخزانات الملابس. ولكن الوضع كان مختلفًا بالنسبة لي، فأنا النجم الآن صاحب المهارات والمراوغات. لم أهتم كثيرًا، ولا يهمني فعلًا، فشيء كبير قد حدث!

إنه بالفعل شيء كبير أن أتأهل من الفريق الرديف إلى الفريق الأول، حتى لو ساءت الأمور نظل نحن فريق مالمو، فخر المدينة. جاءنا رجل عجوز ذو شعرٍ رمادي أدكن رأيته من بعيد ولم أعرفه، كان ينظر ناحيتنا من خلف الأشجار .. شيء غريب! مارست مهاراتي في التدريب، حتى فهمت!

إنه أبي! ذلك الرجل الغارق بين رجاجات البيرة والسُّكْر والعربدة، الرجل الذي لم يشجعني على الإطلاق، الآن جاء ليشاهدني، لا أكاد أصدق عينيّ، وكأنه حلم فعلًا. انفجرتُ في الملعب وقلت: "اللعنة! أبي هنا!" صرخت: "أبي! أنا هنا! أبي، ابنك أفضل لاعب في العالم!"

إنها بالفعل إحدى أفضل لحظات حياتي. لم أكن أفضل ابن على الإطلاق، ولكنه أبي وأنا هنا الآن. جريتُ ناحيته فقلت له:

- كيف الحال؟

- حسنًا فعلتَ يا زلاتان!

لا أصدق ما يحدث! أبي الآن معجبٌ بي! أخذ يتابع كل شيء أفعله، حضر كل تدريباتي، صار البيت متحفًا لأخباري، يقطع قُصاصات الأخبار من الجرائد ويلصقها على جدران البيت، احتفظ بكل قمصاني وأحذيتي وجوائزي، الآن أبي يمتلك ست كرات ذهبية فزت بها كأفضل لاعبٍ في السويد ستة أعوامٍ على التوالي. كان يضع الأشياء بترتيب ونظام، وإذا طلبت منه شيئًا يحضره في ثانية، ومنذ ذلك اليوم صار يعيش من أجلي ومن أجل كرة القدم التي ألعبها. لم تكن الحياة عطوفًا معه، كان وحيدًا، ابتعدت عنه سانيلا لكثرة سكره وعصبيته وكلامه السيئ عن أمنا. لطالما كانت سانيلا قُرة عينه، وستظل أبدًا. ولكنها انفصلت عن البيت، لم تعد هناك، واحدة من الأمور السيئة التي حدثت في هذا البيت، كان أبي بحاجة إلى شيء جديد في حياته، وقد كان. صرنا نتحدث يوميًا، الأمر مذهل بالفعل، وكأن كرة القدم تصنع المستحيل، صرتُ أقاتل أكثر وأكثر مع الفريق.

لم أعلم ماذا أفعل حينها، هل أستمر في اللعب في الدرجة الثانية؟ قيل إن فريق أيك يريد التعاقد معي، ولكن هل الأمر حقيقي فعلًا؟ لم أبدأ مباراة واحدة مع مالمو حتى، كنتُ في الثامنة عشرة من عمري ويجب أن أوقِّع عقدًا مع الفريق الأول، ولكني انتظرت. لم أشعر بالأمان، وخصوصًا بعد إقالة رولاند أندرسون وتوماس سيوربرج. هذان الاسمان آمنا بي في حين لم يؤمن بي أي شخص آخر. هل سأحصل على فرصة للعب إن بقيت مع الفريق؟ يا لها من حيرة سيطرت عليّ وعلى والدي أيضًا!

صحيح أني وقّعت بعض الأوتوجرافات للأولاد، ولكن هذا لا يعني شيئًا. تذبذبت ثقتي بنفسي. تعرفت إلى شخص من ترينيداد وتوباجو قبل بداية الموسم.

– مرحبًا أيها الشاب!

– ماذا؟

– إن لم تصبح لاعبًا محترفًا في غضون ثلاثة أعوام فلا تلومنّ إلا نفسك!

– ماذا تقصد؟

– ألم تسمع؟

– بل سمعتُ أيها الأخرق!

لم أصدق الأمر، هل يُعقل؟ وهل يعرف هذا الرجل شيئًا عني؟ هل بداخلي تلك المهارات الاحترافية بالفعل؟ صدّقته رغم كل شيء، فقاتلتُ في الملعب.

صار هاس بورج، مدافع المنتخب الوطني السابق، مديرًا رياضيًّا للفريق. أظنُّ أن الرجل كان يفهم مهاراتي، حتى أنه تحدث إلى الصحافة وقال لهم: "تابعوا هذا الشاب". وفي فبراير من العام التالي وصل إلى النادي مراسل صحفي اسمه روم سميث، كان رجلًا رائعًا، وكاد يكون صديقي، وبعدما تحدثنا معًا لم يَجِدّ جديدٌ على الإطلاق.

تحدثت عن الفريق والدرجة الثانية وعن حلمي بأن أصبح نجم الدوري الإيطالي مثل رونالدو. سجّل روم هذه الأشياء وابتسم، ولا أعلم ماذا كنت أتوقع حينها. لم تكن لديَّ أي خبرة مع الصحفيين حينها، ولكن روم كتب "تأملوا هذا الشاب الواعد .. لاعبٌ مذهل يقاتل في الخط الأمامي للفريق"، وقال إني جوهرة غير مصقولة أيضًا. ظل الأولاد يأتون إليّ بعد التدريب يقولون: "زلاتان! زلاتان!" صارت هذه حياتي الآن!

صدقوني إن قلتُ لكم إن هذا شيء رائع، وماذا تظنون؟ لطالما حاولت الظهور والوصول إلى الشهرة طوال حياتي، والآن الناس يأتون إليّ ويشاهدونني، بل يطلبون توقيعي كذلك. بالفعل الأمر رائع! الدم كان يغلي في عروقي من الحماسة. ورغم كل هذا لا أفهم لماذا يغار الناس مني؟ ولماذا يمارسون كل تلك الحيل النفسية كي يوقعوا بي، يقولون: "أنت مجرد شاب محظوظ لا أكثر ولا أقل، من تظن نفسك؟"

كنت أرد عليهم بمزيد من الغرور، فماذا أفعل؟ لم أعتدْ الاعتذار. لم يربني أبي على الاعتذار وأن أقول: "آسف، آسف" بل تعلمت أن أتشاجر طوال الوقت ولا أثق بالناس. لكلٍ منا مشكلته ولطالما كان أبي يقول: "لا تتسرع في الحكم على الأشياء، فالناس يريدون الصعود على كتفيك أنت"، لم يكن الأمر سهلًا. في تلك الفترة كان هاس بورج يسير بين الطرقات ببدلة جميلة وحاول نيل توقيعي على عقد جديد. كان يؤمن بي بشدة، أعجبني الأمر. وأخيرًا عينت الإدارة مدربًا جديدًا اسمه مايك أندرسون، لم أكن متأكدًا مما إذا كان هذا المدرب سيسمح لي باللعب كثيرًا. إلا أنه كان يفضل أن يلعب بنيكلاس كيندفال وماتس ليلنبرج في الهجوم ويجلسني على المقعد.

ناقشت الأمر مع هاس بورج. قل ما تشاء عن هذا الرجل، لكنه كان ناجحًا في عالم التجارة كذلك، كان له أسلوبه الخاص .. رجل مقنع بالدرجة الأولى، واستخدم مهاراته هذه في عمله، قال لي: "صدقني هذا الأفضل لك. ستشارك والدرجة الثانية ستكون جوًا مناسبًا لك كي تُنمّي مهاراتك، ستحصل على فرصتك بالتأكيد .. وقّع معنا فقط!"

علمت حينها أن الرجل أقنعني، كان يستدعيني ويعطيني نصائح، فقلت في قرارة نفسي: "ولِمَ لا؟ الرجل يعلم أكثر مني" لقد كان لاعبًا محترفًا في ألمانيا، ويبدو مهتمًا بي كثيرًا. قال لي: "الوكلاء لصوص!" وبالفعل صدقته.

كان هناك رجل يتتبعني اسمه روجر ليونج، وهو وكيل لاعبين أيضًا. كان يريدني، ولكن أبي ارتاب في الرجل، ولم أعلم شيئًا عن الوكلاء. تذكرت ما قاله هاس بورج عن الوكلاء "الوكلاء لصوص!". وقَّعتُ على عقد مع النادي وأخذتُ شقةً في لورنسبورج، شقة من غرفة واحدة ليست بعيدة عن النادي، وتسلّمتُ أيضًا هاتفًا محمولًا، وهذا أمرٌ جلل! فالهاتف الذي كان في البيت لم يكن ملكي، وحصلتُ أيضًا على راتب قيمته 16.000 كورونا في الشهر (ما يعادل 1600 يورو شهريًا).

قررتُ أنا أقاتل لأستحقَّ فرصتي، إلا أني لم أكن بالمستوى المطلوب. أولى مباريات الدرجة الثانية كانت ضد فريق صغير اسمه جانيلز، ومن المتوقع أن نفوز بنتيجة كبيرة في ملعبهم. إلا أن الفريق دافع بشراسة! حصلت على فرصتي وضربني أحدهم بكوعه في ظهري، فلكمته هو الآخر في ظهره، شاهدني الحكم فشتمته فأعطاني بطاقة صفراء. تحدث الجميع عمّا حدث، الصحافة وهاس ماتيسون، كابتن الفريق، الذي حدثني عن الطاقة السلبية التي أنشرها في الفريق .. أي طاقة سلبية هذه وقد ضربني أحدهم بكوعه؟ ما يهم هو أن أدائي لم يكن مبهرًا، حتى مهاراتي كان بإمكان أي لاعب تقليدها. لم تكن هناك رغبة في أن أراوغ وأتكبر مثل مارادونا، وهو ما أثار حنقي. نشرت الصحافة صورة لي وأنا خارج الحافلة أبدو غاضبًا.

إلا أني حاربتُ من جديد، وحصلتُ على فرص أكثر، وكان من المفترض أن أثبت نفسي لهاس بورج الذي آمن بي. تغير الوضع تمامًا، صار جنونيًا. الصحافة عادةً لا تولي أهمية كبرى للدرجة الثانية، ولكن جاءت العناوين تقول: "نجم جديد في الدرجة الثانية!" كل اللاعبين الكبار كانوا يقولون: "ماذا يحدث؟" لم يكن الأمر هينًا عليّ،

ولكن الناس كانوا يلوّحون بلافتات مكتوب عليها: "زلاتان الملك!" وكانوا يصرخون كلما راوغت أو أظهرت مهارة، ماذا يحدث؟ لا أعلم!

أغلب الظن أن الناس كانوا سعداء بمهاراتي ويطلقون أصواتًا مثل: "واو! رائع!". صرتُ مشهورًا في المدينة، الأولاد والفتيات يجرون ناحيتي يطلبون توقيع أوتوجراف، ولأول مرة في حياتي أحصل على قدر جيد من المال، ومع أول شيك أصرفه حصلت على دورة تدريبية مكثفة لتعليم قيادة السيارات. بالنسبة لفتى من حواري روزنجارد فإن امتلاك سيارة أمر استثنائي. إلا أني أردتُ بعض الإثارة في حياتي، فكنتُ أقودُ السيارة مع أحد الأصدقاء إلى الشوارع الخلفية حيث تعمل العاهرات وفتيات الليل. رميت بيضة على رأس إحداهن، تصرف غبي ولا أعرف سببه! ولكن في مرة كنتُ في سيارتي التويوتا مع صديقي هذا وشاهدنا فتاة ليل تنحني ناحية سيارة أخرى تتحدث مع عميلٍ لها، فقلت لصديقي: "دعنا نقُم بخدعة!" اقتربنا من السيارة وقلنا: "الشرطة! ارفعوا أيديكم!" ثم انطلقنا.

وفي مرة أخر كنتُ مسرعًا بالسيارة فسمعت الشرطة خلفنا ومعهم ذلك الرجل الذي أرعبناه، فنزلنا من السيارة وقلنا: "ماذا يحدث؟ هل من مكروه؟" أوقفتنا الشرطة فقلت: "نحن فقط نلهو ونلعب مع الشرطة، ليس بالأمر الجلل يا صديقي!" ثم قلت: "لا تحزن!" ضحك الشرطي وتركنا نذهب.

إلا أن أحد المصورين جاء والتقط صورة لي، وأنا كالغبي ابتسمت! كنت أظن أن الصورة ستعتلي صفحات الجرائد، ولذا ابتسمت كالأبله. ما يهم هو أن المصور نشر الصورة وقال إن الرجل الذي تصورت معه هو رجل محترم يساعد فتيات الليل! كانت فضيحة! الجدير بالذكر أن العديد من الأندية رفضت التعاقد معي بسبب تلك الحادثة.

هاجمتني الصحافة بشدة بعدها، حتى بعض زملائي قالوا: "آنَ لهذا الولد أن يتعلم!" كانوا يريدون تحطيم معنوياتي، إلا أني أردتُ أن أتعلم بالفعل. بعد فترة علمت أن بعض

الكشافة أتوا إلى النادي للبحث والتنقيب عن اللاعبين الماهرين. هل تذكر هذا الرجل من ترينداد وتوباجو؟ أجل هو، علمني كثيرًا، حتى أني تحدثت إلى هاس بورج بخصوص هذ الأمر، إلا أنه لم يبدُ مهتمًا.

– من هؤلاء يا كابتن؟

– لا تُعِرْهُم اهتمامك!

– ولكن من هم؟

– لا شيء! لن نبيعك أبدًا ..

– حسنًا! لا أستعجل الأمر. ولكني أريد عقدًا جديدًا!

– إذا لعبت خمس مباريات جيدة على التوالي ستحصل على عقد جديد.

وهو ما فعلته بالضبط وأكثر، سبع مباريات على التوالي بمنتهى التألق، ثم ذهبت إليه لمناقشة العقد الجديد.

زاد مرتبي حوالي 10.000 كورونا، ثم 10.000 أخرى لاحقًا. ذهبت إلى أبي وعندما قرأ العقد لم يبدُ منبهرًا. تغير الرجل تمامًا، الذي كان أكبر داعم لي، صار الآن يجلس بين الصحف يقرأ أخبار كرة القدم، وكلما قرأ سطرًا عن أخبار الانتقالات قفز من مكانه.

– ما هذا الهراء؟ هذا العقد لا يتضمن بندًا يضمن لك نسبة في حالة بيعك لنادٍ آخر؟

– نسبة ماذا؟

– لا بد أن تحصل على 10% من قيمة العقد في حالة بيعك.. هؤلاء القوم يستغلونك!

اقتنعت بكلامه، ولكن كيف أقنع هاس بورج به؟

على العموم ذهبت إلى الرجل وقلت:

– مرحبًا هاس! هل يمكنني الحصول على 10% من قيمة العقد في حالة بيعي لنادٍ آخر؟

– عذرًا يا فتى! الأمر لا يسير هنا بهذا الشكل.

أخبرت أبي بما قاله، وقال لي لن نستسلم. اتصل أبي برقم هاس بورج وبعد محاولات مضنية نجح في عقد لقاء معه في العاشرة صباح اليوم التالي. كنت قلقًا جدًّا، فأنا أعلم أبي جيدًا! صحيح أني مجنون، ولكن أبي أجنُّ بكثير! عندما قابلنا هاس قال أبي:

– هل تظنون أن ابني فرسًا؟ لماذا تعاملونه هكذا؟

– ولكن نحن ..

قاطعه أبي وأخبره أنهم لن يروني مجددًا قبل أن يتم تعديل عقدي. بدا أبي كالأسد في عرينه! اقتنع هاس وأضاف نسبة 10% إلى العقد. إلا أني ما زلتُ أحترم هاس بورج، وما زلتُ أصدق كلامه بأن الوكلاء لصوص.. إنه معلمي، أبي الثاني .. طلبت نصيحته وأنا أشتري سيارتي المرسيدس الكابورليه بالتقسيط.

أحرزت المزيد من الأهداف البرازيلية وذاع صيتي أكثر وأكثر، انتشرت صوري في المدينة، أصبحت أشهر وأشهر. أحرزتُ 12 هدفًا في الدرجة الثانية، كنت هداف فريقي الأول، ثم تأهلنا إلى الدرجة الأولى، وأنا لاعب مهمٌّ في النادي الآن.

لم تكن لديَّ أي مشكلة مع الإعلام، أخبرتهم بالسيارات التي أحبها والألعاب التي أعشقها، وقلت جملة مثل: "هناك زلاتان واحد فقط! زلاتان هو زلاتان!" تحدثت من القلب وإلى القلب. قال لي هاس بورج إن الكشّافة يراقبونني من بعيد، ولكن علينا

الانتظار والتعقل. علمتُ فيما بعد أن أحدهم كان يسأل عني يوميًّا، إلا أن النادي أخفى هذا الخبر، فأنا صرت مكسبًا بالنسبة لهم. جاءني هاس بورج في يوم وقال:

- هل تذهب معي في رحلة؟

- بالتأكيد!

كانت رحلة صغيرة إلى النوادي المختلفة التي أرادت التعاقد معي.. اللعنة! الأمر يحدث بالفعل!

***

(6)

جرت الأمور بسرعة لم أتخيلها، منذ دقيقة فقط كان ذلك الفتى المشاغب، والآن أي شيء قد يحدث. توجهت مع هار بورج إلى ملعب تدريب أرسنال الإنجليزي في سانت ألبانز شمال لندن، هل تتخيل هذا؟

مكانٌ كلاسيكي قابلت فيه باتريك فييرا، وتيري هنري، ودينيس بيركامب. ولكن الشيء الممتع فعلًا هو أنني سأقابل أرسِن فينجر. لم يكن فينجر قديم العهد في أرسنال حينها، وهو أول مدرب غير إنجليزي يتولى زمام الأمور في النادي. الصحافة الإنجليزية كان تقول: "أرسِن من؟" وكأنهم يقولون: "من هذا بحق الجحيم؟" ولكن في ثاني موسم حصل على الثنائية؛ الدوري الإنجليزي وكأس الاتحاد الإنجليزي. صار مدربًا كبيرًا، وأنا مجرد غِرٍّ صغير يدخل مكتبه.

كنتُ أنا وهاس بورج ووكيل لاعبين لا أذكر اسمه، نظرات فينجر ناحيتي أخافتني. وكأنه يتفحصني ويتخللني. إنه مدرب يحتفظ بالتقارير النفسية للاعبيه في ملفاتهم. هو رجل حريص جدًا كأي مدربٍ كبير.

لم أبدأ بالكلام، جلستُ على استحياء، إلا أني فقدتُ صبري بعد وهلة. هناك شيء ما في فينجر استفزني. قام الرجل من مقعده لينظر من بالخارج، ظل يخرج ويدخل وكأنه يسيطر على الأمور من حوله. قال أخيرًا:

– بإمكانك أداء الاختبار والتدرب معنا.. جرّب!

استفزتني كلماته، فأنا أقدر بالفعل.

– أعطني حذاءً وسأتدرب حالًا!

قاطعني بورج قائلًا:

– توقف يا زلاتان، هذه ليست بتجربة أداء على مسرح!

بالفعل كان معه كل الحق، إما أن فينجر يريدني أم لا.

– عفوًا سيد فينجر، لسنا مهتمين!

ذهبنا بعدها إلى مونت كارلو، حيث كان نادي موناكو مهتمًا بي. ولكننا رفضنا عرضهم كذلك، ثم انتقلنا إلى فيرونا بإيطاليا، ثم عُدنا أدراجنا مرة أخرى. رحلة جميلة، ولكن دون فائدة تُذكر. لا أظنُّ أنه كان من المفترض أن أستفيد من الرحلة سوى التعرف إلى طبيعة الأمور وكيف تجري موضوعات كتلك. الشتاء بارد في مالمو.. أصبت بالبرد.

استُدعيت للمنتخب السويدي للشباب، لكني اضطررتُ لإلغاء أول مباراة، عاد بعض الوكلاء والكشّافة أدراجهم خائبين. تبعني الكشّافة في كل مكان، لم أفهم شيء! لكني أتذكر رجلًا دنماركيًا اسمه جون ستين أولسن كان قادمًا من أياكس الهولندي ليتابعني.

ذهبت إلى منطقة لامانيا في إسبانيا مطلع مارس، لياقتي البدنية كانت عالية. لامانيا منتجع سياحي به الكثير من الشواطئ والحانات، المهم أنه قريب من مكان تدريبي تقضي فيه الفرق الكبيرة تدريباتها التأهيلية للموسم الجديد. كنتُ بعيدًا عن وطني، ورغم ذلك لاحظت وجود ذلك الرجل المدعو جون ستين أولسن. هل تبعني إلى هنا أيضًا؟ لم أجفل، فهؤلاء الكشّافة والوكلاء في كل مكان. في اليوم التالي وجدت رجلًا آخر، قيل لي إنه مدير كشّافي نادي أياكس الهولندي. شعر هاس بورج بالتوتر والضغط، فقال:

– ها هي الأمور تتحرك!

– عظيم!

لعبت، لكن الأمر ليس سهلًا. بعدها صاروا ثلاثة رجال من أياكس بوصول المدرب المساعد، أخبرني هاس بورج أن المزيد من الناس سيأتون. الأمر كان كالغزو! كان من المفترض أن نلعب أمام فريق موس النرويجي اليوم التالي، حضر المباراة أدريانس، المدرب المساعد، وليو بنهاكر، المدير الرياضي.

لم أكن أعرف من هو بنهاكر، ولم أعرف أي أسماء في أوروبا أصلًا. كل ما عرفته هو أن الرجل مهم. جلس في الشمس يضع قبعة ويدخن سيجارًا كبيرًا. شعره أبيض مجعد وعيناه لامعتان. كان يبدو كرجال المافيا؛ يشع قوة وذكاءً. لم أستغرب عندما علمت أن الرجل درّب ريال مدريد من قبل، بل فاز معه بالدوري والكأس معًا. الرجل يبحث دائمًا عن المواهب الشابة، حينها قلت "ها هي فرصتي!" حاول الرجل إقناع هاس بورج بتحديد سعري. رفض هاس أن يضع سعرًا محددًا لي وقال:

– زلاتان ليس للبيع!

– إذا لم تحدد السعر لن آتي إلى لامانيا!

– هذه مشكلتك أنت، لا تأتي!

إلا أن الرجل طار إلى إسبانيا، وشاهد مباراتنا مع موس النرويجي. لم أره مجددًا، بل رأيت جون ستين أولسن وأدريانس، واضح أن بنهاكر ذهب إلى مكان آخر للمشاهدة، لا أعرف ما إذا كان سيعجب بي أو سيُصاب بالخيبة، لا أحد يسافر كل هذه المسافة كي يُصدم في النهاية. إلا أن جماعة نادي أياكس ظلوا مهتمين.

وفي الشوط الثاني من المباراة استلمت تمريرة من ناحية اليمين خارج منطقة الجزاء، الجو كان حارًا مع نسمة عليلة بسيطة آتية من الساحل. ما زلتُ أتذكر هذا الموقف، من لمسة واحدة استلمت الكرة ومررت من فوق المدافع الأول، فجاء من خلفي

مدافعان، أسرعتُ بالكرة حتى وصلت قرب المرمى وصرتُ جاهزًا للتصويب. ترى ماذا حدث؟ أحرزت هدفًا؟ أضعت هدفًا؟ لا، بالطبع أسكنت الكرة الشباك، من أجمل الأشياء التي فعلتها. ركضت خارج المستطيل الأخير وصرخت قائلًا: "زلاتان! زلاتان!" أمام جموع الصحفيين، لكن انتظر! لماذا أقول "زلاتان!"؟ أتذكر أني قلت: "شاهدوا وتعلموا!"

كان بالفعل هدف يشاهده الناس ويتعلمون منه، أظنُّ أن بنهاكر يفكر الآن فيما حدث. بالتأكيد لم يرَ شيئًا كهذا من قبل. أخيرًا وجد الرجل ما يبحث عنه؛ لاعب كبير ماهر يحرز أهدافًا رائعة. إلا أنه يعرف الآن أني سعري صار أعلى بكثير بعد هذا الهدف. اتخذ الرجل قراره بسرعة، نزل من مكانه وتوجَّه سريعًا إلى هاس بورج.

– أريد مقابلة هذا الشاب الآن. كرة القدم ليست المهارات فقط، بل الشخصية أيضًا! لا يهم إذا ما كان اللاعب مذهلًا لكن أخلاقه سيئة، فأنت تحصل على اللاعب بالكامل، لا مهاراته فقط.

– لا أعرف إذا كان هذا ممكنًا.

– ماذا تعني؟

– ربما ليس هناك وقت لهذا .. لدينا الكثير من الأمور.

غضب بنهاكر كثيرًا. ولكن أي أمور هذه التي كانت لدينا؟ هاس بورج يخرف بالتأكيد .. يريد أن يبدو صعب المراس.

– أي أمور تلك؟ الشاب صغير وأنتم في معسكر تدريب .. بالتأكيد هناك وقت.

– ربما .. لكن الوقت يمضي بسرعة.

المهم أن هاس بورج وافق أخيرًا على مقابلة بنهاكر مجددًا في فندق رجال نادي أياكس الذي كان بعيدًا بعض الشيء. كان من الضروري أن أبدو مهذبًا، أمرٌ صعب لكني هدأتُ بالفعل. ربما يريد نادي أياكس التعاقد معي، وهذا أمرٌ جَللٌ بالتأكيد.

لم أكن معتادًا أهدافًا كهذه، لكن الهدف غيّر الكثير. وصلنا إلى الفندق، وسلّمنا على الجميع. تحدثنا في أمور عامة في البداية وقلتُ لهم إن كرة القدم كل حياتي. وبرغم أن الأمر بدا كمسرحيةٍ نوعًا ما وكل شخص يحاول إبراز جانبه الجيد، لكن بعض التوتر لاح بالأفق. الكلّ كان يقول: "من هذا؟" في قرارة نفسه، لكن بنهاكر مال ناحيتي وقال لي:

– لو أسأت الأدب سأرد لك الصاع صاعين!

أعجبني الرجل! يشبهني كثيرًا حتى في طريقة كلامه، ولكن الأكيد أن رجاله قاموا بالبحث عني وعرفوا كل شيء، عرفوا ماذا كنت أفعل أيام الفقر. هل كان الرجل يقصد ما قاله فعلًا؟ على كل حال عدت إلى الفندق بعد ربع ساعة، إلا أني لم أهدأ.

كرة القدم عالمٌ ينقسم إلى نصفين؛ نصف يُلعب في المستطيل الأخضر، ونصف يُلعب في سوق الانتقالات، أحببت الاثنين، وأصبحتُ ماهرًا في كليهما. عرفت متى أصمتُ ومتى أبدأ حربًا. إلا أني لم أسمع شيئًا من أياكس منذ تلك المقابلة.

عدتُ إلى السويد مجددًا، قُدتُ سيارتي المرسيدس الزرقاء التي استعرتها من أحدهم في انتظار وصول أي عرض. لم أهتم كثيرًا، فقط كنت أقود السيارة عبر شوارع المدينة كشابٍّ يعيش حياته.

لم يتبق الكثير على بداية الدوري السويدي، كما تم استدعائي إلى المنتخب القومي للشباب. لم يَجِدَّ جديد، فقط الخروج مع أصدقائي وألعاب الفيديو. ثم في يومٍ ما رنّ جرس الهاتف، كان هاس بورج. اعتدنا الاتصال ببعضنا البعض، ولكن هذه المرة بدا مختلفًا.

– مشغول؟

– لا ..

– أقصد هل أنت مستعد؟ جاهز؟

– جاهز لِمَ؟

– إنهم هنا!

– من؟

– أياكس! تعال فورًا إلى فندق سانت يورجن، نحن في انتظارك.

ذهبتُ بسرعة وركنت سيارتي بالخارج، قلبي كان يرقص. شيء جديد يحدث أخيرًا. أخبرت هاس بورج أني أريد رقمًا قياسيًا للصفقة، أتذكر لاعبًا سويديًا ذهب إلى أرسنال في مقابل 40 مليون، ولاعب نرويجي اسمه جون كرو ذهب إلى فالنسيا في مقابل 70 مليون. أرقام قياسية لا تراها في السويد كثيرًا. أردت أن أحصل على رقمٍ قياسي أنا الآخر، لكني حصلت على 19 مليون فقط.

ليس بالإمكان أن تفرض رأيك بينما الأمور تحدث أمامك بالفعل. فور وصولي إلى الفندق قابلت جون ستين أولسن، علمت أن الصفقة تتم في السر. أياكس اسم كبير في سوق الأوراق المالية (البورصة)، لذا فأي معلومة عن الصفقة تخرج من الصحافة تكون من فعل أحد الجالسين هنا. وفجأة قابلت سيسيليا بيرسون وقلت: "ماذا تفعل هنا؟" لم أتوقع أن أقابل أحدًا من روزنجارد في فندق كهذا. هذا عالمٌ مختلف بعيد عن الحارات، ولكنها هنا بالفعل. كبرنا معًا في البناية نفسها، هي ابنة إحدى أقرب صديقات أمي. ولكني تذكرت، إنها تمسح أرضية الفندق. إنها عاملة نظافة مثل أمي تمامًا، حملقتْ وقالت: "ماذا يفعل زلاتان مع هؤلاء الناس؟" أسكتُّها فورًا وقلتُ: "لا تقولي هذا!" أخذت المصعد ووصلت إلى قاعدة المؤتمرات، وهناك كان الرجال في انتظاري وعلى رأسهم بنهاكر وهاس بورج بالتأكيد.

لكن الأمور بدت غريبة، قلقٌ غريب يملأ الأجواء. بدا هاس بورج متوترًا، لكن استعاد رونقه وقال:

– أهلًا يا فتى! أأنت مستعدٌّ؟ أياكس يريدك!

– بالتأكيد! أياكس مدرسة كبيرة.

أومأ الجميع وابتسموا، إلا أن أمرًا غريبًا كان يحدث، لكني صافحتهم وقيل لي إنه قد حان الوقت لمناقشة بنود العقد. غادر بنهاكر ورجاله القاعة وتُركت وحيدًا مع هاس بورج. تُرى ما الذي يحدث؟ هاس بورج لا يبدو في حالته الطبيعية .. أخرج حزمة من الورق وقال:

– انظر! قمتُ بهذا من أجلك.

نظرت إلى الورق ووجدت الراتب مائة وستين ألفًا في الشهر.. مبلغ كبير طبعًا، قلت: "هل سأحصل على هذا المبلغ؟" لم يكن لديَّ علم إذا ما كان هذا المبلغ فعلًا جيدًا بالنسبة للسوق.

– هل المبلغ جيد؟

– بالطبع جيد .. إنه أربعة أضعاف ما تكسبه اليوم.

– إذًا أنا موافق!

– عظيم يا زلاتان! مبارك!

خرج هاس بورج وتحدث مع الناس ثم عاد وابتسامة الانتصار تعلو وجهه، وكأنه حصل على أفضل صفقةٍ في العالم.

– للعلم، سيدفعون لك ثمن سيارة المرسيدس الجديدة.

– واو! رائع!

إلا أني ما زلتُ لا أفهم تفاصيل الصفقة، هل أنا جاهز فعلًا لتغيير كبير كهذا؟ بالطبع لا، لا أعلم شيئًا عن مرتبات اللاعبين ولا عن الضرائب في هولندا، ولم أطلب النصيحة من أحد. أنا زلاتان، شابٌ في التاسعة عشر من عمري جئتُ من روزنجارد، لا أعلم شيئًا عن العالم أكثر مما تعلم سيسليا عاملة النظافة. ظننت أن هاس بورج صديقي، لم أتخيل قط أنه يعمل لمصلحة النادي وهدفه هو جلب المزيد من المال للنادي. مَرَّ وقت طويل قبل أن أفهم الإحساس الغريب الذي داهمني فور وصولي قاعة المؤتمرات.

لم يكن الرجال أصحاب البدلات قد حددوا سعرًا للصفقة، ولكنهم أحضروني لأنه من الأسهل أن تتفاوض على السعر بعد أن يوقع اللاعب على العقود. وإذا كان مندوب النادي ذكيًا بدرجة كافية كي يجعل اللاعب يحصل على أقل راتب، فإنه يحصل على مبلغ أكبر، هكذا استخدمني واستغلني هؤلاء الرجال.

كنت جاهلًا حينها، قفزتُ من فرحتي وأخذتُ أرقصُ في ردهة الفندق. أخبرت أبي بما وصل إليه ابنه، لكنه ارتاب. لم يكن يثق بالناس على عكسي أنا الشاب الصغير. على العموم ذهبت في اليوم التالي إلى بوراس للعب مباراة دولية مع منتخب الشباب أمام مقدونيا. كانت مباراة تأهيلية إلى اليورو، وهي أول مباراة لي مع المنتخب. كان يجب أن أظهر بشكلٍ جيد، ولكن عقلي كان في مكانٍ آخر.

أُعْلِن خبرُ الصفقة في هولندا في الثانية ظهرًا، فوجدت مجموعة من الوكلاء الأجانب يتصلون ويتواصلون معي. ولكن فات الأوان، أنا الآن لاعب في نادي أياكس. سألت هاس بورج:

– كم سعري؟

لن أنسى إجابته قط، لم أفهمها في البداية، ربما لأنه ذكر المبلغ بعملة الجلدِن (عملة هولندا) وهي عملة لا أعرفها. كنت أتوقع رقمًا قياسيًا، ربما أكبر من رقم جون كرو نفسه! سمعت الرقم مرة أخرى! خمسة وثمانون مليونًا!

جُن جُنون الصحافة في اليوم التالي .. زلاتان المذهل! زلاتان الملك! زلاتان الغني! الحق يُقال إني استمتعت كثيرًا. ذهبت إلى أحد مقاهي بوراس مع تشيين وكينيدي بكيرجولو زميليّ في منتخب الشباب. جاءت بعض الفتيات الجميلات في سننا وقالت إحداهن لي: "هل ستجني خمسة وثمانين مليونًا حقًّا؟" فقلت: "أجل، سأفعل!"

لم يتوقف رنين هاتفي، الكل يتصل لتهنئتي، الكل يحسدني إلا شخص واحد .. أمي. استشاطت غضبًا وقالت: "اللعنة يا زلاتان، ماذا فعلت؟ هل اختطفك أحدهم؟ هل مُت؟" علمت أنها شاهدت صوري تملأ شاشات التلفاز ولكن دون أن تعلم ما يجري حولها. قلت لها: "لا تقلقي يا أمي، تعاقد معي نادي أياكس الهولندي" فصرخت: "لماذا لم تخبرني؟ لماذا أعرف أخبارك من التلفاز فقط؟"

في اليوم التالي سافرت إلى هولندا مع جون ستين أولسن، ارتديت قميصًا ورديًّا وجاكتًا جلديًّا بنيًّا، هذا كان أفضل شيء في دولابي، وهكذا حضرت به مؤتمري في أمستردام. الوضع كان فوضويًّا، كاميرات وصحافة في كل مكان. أعجبتني الأجواء كثيرًا، شعرت بقيمتي الحقيقية، حتى أني جربت الشمبانيا لأول مرة في حياتيّ وقلت: "ما هذا القرف!" حصلت على قميص رقم 9 من بنهاكر، قميص ارتداه ماركو فان باستن.

لأول مرة يداهمني هذا الشعور، لم أجربه قط في حياتيّ. ذهبت إلى نادي أياكس ووضعت مصّاصة في فمي وجلستُ أفكر. أخذت الصحافة على عاتقها مهمة الحديث عن ذلك الفتى الذي قهر الفقر وصار الآن يلعب كرة قدمٍ احترافية. سيبدأ الدوري السويدي بعد أيام، والعقد ينص على أن أبقى في مالمو ستة أشهرٍ أخرى، لذا عدت أدراجي، كان يومًا باردًا.

حلقت شعري، وكنت سعيدًا لأني سأرى زملائي أخيرًا بعد فترة من الغياب، كلهم يجلسون في غرفة تبديل الملابس يطالعون الصحف التي تحكي قصص الفتى الذي صار يعيش حياةً رغدة بعد الفقر. كانوا حزانى، بالطبع من حسدهم. في المباراة التالية فاز

الفريق بهدفي أندرس سفينسون وكيم كالستروم، حينها قيل إن الفتى زلاتان أغرّته النجومية، وربما كان أقل من شهرته. كان عليّ العمل أكثر لإثبات العكس، أتذكر ملعب مالمو وهو يغلي، كان هذا في التاسع من أبريل عام 2001.

وصلتُ إلى النادي بسيارتي المرسيدس الزرقاء، ركنتها بعيدًا كيلا تصوّرني الصحافة مع السيارة. لم أرد أن أظهر كشابٍّ مغرور، فأنا ما زلت في التاسعة عشرة من عمري. المباراة كانت أمام فريق أيك، ليس بالفريق السهل على الإطلاق. آخر مرة لعبنا فيها أمام أيك تعرضنا للذل والإهانة وتسبب هذا النادي في هبوطنا إلى الدرجة الثانية. لم يعد الجميع معجبًا بمالمو، يقولون: "ما مالمو هذا؟" كان لديهم بعض الحق، فنحن تأهلنا للدوري الممتاز ولم نحصل على الدرجة الثانية حتى. ازداد الضغط، تُرى ماذا سيفعل الشاب ذو الخمسة والثمانين مليونًا؟ امتلأ الملعب بالجمهور، حوالي 20 مليون مشجع.

حمل المشجعون اللافتات وصرخوا: "نحن نحب مالمو!" البعض الآخر كان يحمل اسمي أيضًا ويقول: "حظًّا سعيدًا يا زلاتان!" طلبت المزيد من التشجيع، إلا أن هذا الكم من الضغط الرهيب أتى بنتيجة عكسية .. مباراة سيئة!

بدأت المباراة في التاسعة إلا ثلثًا، البداية كانت مُوفَّقة بعض الشيء، راوغتُ بعض المدافعين ومارستُ بعض المهارات، ولكني اختفيتُ فيما تلا من دقائق، سيطر أيك على المباراة تمامًا. ظهرتُ بعد نصف ساعة، حصلت على الكرة من بيتر سورنسن خارج الصندوق، لم تبدُ الفرصة سانحة في البداية، لكني ركلتُ الكرة بقوة حتى احتضنت الشباك، صرخ الجمهور: "زلاتان! زلاتان! زلاتان!"

وفي الدقيقة التاسعة من عمر الشوط الثاني حصلت على تمريرة حريرية من سورنسن وأنا على الجانب الأيمن من الملعب، زاوية صعبة جدًّا للتصويب. ظن الجميع أني سأمرّر الكرة للاعبٍ آخر، لكني فعلتُ العكس وركلتُ الكرة نحو المرمى، أحرزت هدفًا من زاوية مستحيلة. انقلب الملعب واشتعل بهتاف المشجعين. هأنا أيها الملاعين، أنا زلاتان!

وكأني أنتقمُ مما قيل في حقي ومن كل من قال إن خمسة وثمانين مليونًا مبلغ كبير لا أستحقُه. احتفلت الصحافة بالمباراة، قلتُ لأحدهم: "لقد ترقينا من جديد إلى الدوري الممتاز، أردتُ أن أثبت جدارتي" واستخدمت الصحافة هذا التصريح في أكثر من مناسبة. وبالفعل أثبتُ جدارتي، صار الملعب ملكي أنا أركض في كل شبر فيه. عندما أسير في الشارع أو أدخل حانة يناديني الناس: "ها هو زلاتان المرعب!" أو "كيف حالك يا زلاتان؟" البعض الآخر كتب أغنية ولحنها، كلماتها: "أوليه أوليه أوليه، زلاتان ابن بلدي!" هذه الأشياء كانت تشعل النار والحماسة بداخلي، ولكن كل منحة يجب أن تتبعها محنة؛ تلك كانت مباراتنا الثالثة في الدوري السويدي أمام ديورجاردن.

ديورجاردن هو الفريق الذي هبط معنا العام قبل الماضي، ثم ترقى معنا مجددًا هذا العام. تصدّر ديورجاردن الدرجة الثانية ونحن من خلفه في المركز الثاني. هذا الفريق أهاننا كثيرًا في الدرجة الثانية، هؤلاء اللاعبون هزمونا ذهابًا **2–0** وإيابًا **4–1**. موقفهم الآن أفضل منا، إلا أننا فزنا في أول مباراتين على أيك وإلفسبورج بهدفين للاشيء في كل مباراة. الأهم من ذلك أنا مالمو يمتلك لاعبًا اسمه زلاتان إبراهيموفيتش الآن، لاعب يمتلئ بالحماسة والرغبة في إحراز الأهداف.

يوم المباراة سمعت الشتائم وصافرات الاستهجان من مشجعي ديورجاردن، سمعتُ عبارات مثل "نكرهك يا زلاتان!" والكثير من الشتائم البذيئة في حقي وفي حق النادي. لم أقع من قبل تحت ضغطٍ كهذا، ولا أفهم السبب، الجمهور يهاجم مالمو بشراسة، ويهاجمون أفضل لاعب في الفريق كذلك. أقسمتُ على الانتقام منهم وكأني ألعب ضد الجماهير لا ناديها، ولكن مثل مباراة أيك فات بعض الوقت قبل أن أندمج في المباراة بالفعل.

سيطر ديورجاردن على أول عشرين دقيقة من المباراة. كان مالمو قد تعاقد مع شابٍّ من نيجيريا اسمه بيتر ليه، معروف عنه قدراته التهديفية العالية. كان هداف الدوري الموسم السابق، ولكن لم يلحظه أحد في وجودي، ومن لا يعاني مثله في ظل وجودي أنا؟

تلقى اللاعب النيجيري تمريرة في الدقيقة الحادية والعشرين من دانييل مايستروفيتش الذي صار صديقي فيما بعد. أحرز بيتر ليه الهدف الأول، وفي الدقيقة الثامنة والستين صنع هدفًا أحرزه جوزيف إيلانجا ببراعة. سمعت صافرات الاستهجان من الجماهير، لم أكن في حالتي الطبيعية، لم أحرز هدفًا، خسرت رهاني أمام نفسي.

مارستُ بعض المهارات والتمريرات، إلا أن صاحبيّ الهدفين كانا لهما كل الفضل في المباراة، وبعد دقيقتين تسلّمت تمريرة في منتصف الملعب، راوغتُ اللاعب الأول، ثم الثاني، يا إلهي! أنا أنطلق مثل النار في الهشيم! وكأني أرقص، وصلت قرب المرمى فأطلقت صاروخًا بقدمي اليسرى حطّم شباك الخصم. أي فرحة هذه؟ إنه انتقام! انتقام من كلماتهم وصافرات استهجانهم. انتهت المباراة بأربعة أهداف للاشيء. تذكّرت ذلك المشهد من فيلم The Gladiator الذي أعشقه كثيرًا، كان البطل يقول: "أنا ماكسيموس ديسيموس ميريديوس.. سأنتقم في هذه الحياة أو بعدها!" هكذا كنتُ أشعر، أو هكذا كنتُ أريد أن أشعر .. والآن، مَن يوقفني؟

***

(7)

تحوّل الأمر إلى سِرْكٍ كبير، أصبحت أكثر غرورًا، حتى أني قلتُ للصحافة "لو كنت لاعبًا في المنتخب الأول لفازت السويد ببطولة أمم أوروبا عام 2000." ما زلنا في شهر أبريل، أحرزتُ هدفًا في ديورجاردن، أصيبت الصحافة بالجنون. الآن اسمي يتصدر عناوين الأخبار، لم يعد الناس يرونني الشاب المتواضع الغلبان، وهذا ما أثار قلقي! تُرى هل يرى لاعبون كبار مثل باتريك أندرسون وستيفان شوارز أني مغرور؟

صحيح أني نجم نادي مالمو، ولكن المنتخب القومي شيء آخر، هناك لاعبون فازوا بميداليات برونزية في كأس العالم. صدق أو لا تصدق، كنت أعرف أنه في السويد يجب على اللاعب ألا يبدو مغرورًا هكذا، وخصوصًا أني انضممتُ حديثًا. على العموم حاولت الاندماج مع زملائي، لم يفلح الأمر. ذهبنا إلى معسكر التدريب في سويسرا، الصحفيون في كل مكان. كان الأمر محرجًا، قلت لأحدهم: "اتركوني لحالي واذهبوا لهانك لارسون!" ولكن الأمر كان أكبر مني، وفي مؤتمر سألني صحفي: "من نجم كرة القدم الذي ترى نفسك فيه؟" قلت له: "لا! هناك زلاتان واحد فقط!" كم كنت مغرورًا! حاولت إصلاح الأوضاع بعدها.

تعمدت الهدوء بعض الشيء في تصريحاتي، تواضعت أمام الكبار، باستثناء ماركوس ألباك، فهو زميل غرفتي. لم أتحدث كثيرًا للناس. قالت الصحافة: "شاب غريب! يريد أن يصبح وحديًا."

الحق يُقال إني شعرت بعدم الأمان، ولم أردْ إزعاج الناس بهذا، وخصوصًا هانك لارسون الذي كنت أراه قدوةً لي. كان محترفًا في نادي سيلتك حينها، وفي هذا العام حصل على جائزة الحذاء الذهبي كأفضل هدّاف في أوروبا. يا له من لاعبٍ رائع! فرحت كثيرًا عندما علمت أني سأبدأ المباراة إلى جواره أمام سويسرا.

لعب نصف المباراة الأول فقط، ولم يستدعني المدرب في المبارتين التاليتين أمام سلوفاكيا ومولدوفا، وهما مباراتان مهمتان. استدعى المدرب هانك وألباك في الهجوم. أتذكر أول مباراة لعبتها مع المنتخب القومي في ستوكهولم، كان أمام أذربيجان في قلب العاصمة. لطالما كانت العاصمة عالمًا آخر بالنسبة لي، وكأنها نيويورك. شعرت بالضياع والخوف، كما أن هناك فتيات جميلات في كل مكان، كنت أنظر إليهن فقط.

من المفترض أن أبدأ على مقاعد البدلاء، الملعب ممتلئ بالكامل، ثلاثة وثلاثون ألف مشجع، الجميع متحمس للمباراة. جلست على المقعد كطفل صغير، وبعد خمس عشرة دقيقة بدأ الجمهور ينادي باسمي، اقشعر جسمي بالكامل. في الملعب لاعبون أهم مني وأكثر مني خبرة، ولكن الجمهور ينادي باسمي أنا، ارتعبتُ! كل هذا وأنا لم ألعب بعد، لم أفهم حينها، ماذا فعلت؟

ربما لعبت بعض المباريات في الدوري، لكنها ليست كافية لكل هذا الضجيج. صرتُ أشهر من اللاعبين الكبار الحاصلين على الميداليات البرونزية. الفريق كله ينظر إليّ، لا أعرف ما إذا كانوا سعداء أم العكس؟ لكنهم بدوا غير مقتنعين بما يحدث مثلي تمامًا. بعد قليل بدأ الهتاف يتحول إلى "السويد! السويد!"

ولكن عندما انحنيت لربط رباط حذائي ظن الجمهور أني أستعدُّ للتدريبات الإحمائية، زأر الجمهور: "زلاتان! زلاتان!"، تركت الحذاء وجلست على المقعد من جديد كيلا يصرخ الناس أكثر. إلا أني شعرت بنشوةٍ خفية، كأني أطير فوق السحاب. نزلت إلى أرض الملعب ونتيجة المباراة 2–0 لصالحنا، راوغت بعض الشيء ومررت بين المدافعين

فأحرزت هدفًا، صرخ الجمهور واحتضنت المدينة السماء تلك الليلة .. شعرت أن ستوكهولم صارت عاصمتي أنا.

وفي ليلة من ليالي ستوكهولم ذهبتُ إلى أحد النوادي الليلية، شاهدني أحد جيراني القدامى في روزنجارد وقال:

– زلاتان! زلاتان! أعطني مفتاح غرفتك بالفندق.

– لماذا؟

– فقط أعطِنيه.

أعطيته المفتاح دون تفكير، وعندما عدتُ إلى غرفتي وجدته يغلق باب الخزانة، بدا متوترًا.

– ماذا هناك؟

– لا شيء .. لا تلمس هذا!

– ماذا؟

– بإمكاننا كسب المال من هذا يا زلاتان!

وجدت مجموعة من الجواكت سرقها من النادي الليلي. يبدو أن سمعتي القديمة ما زالت تطاردني.

ها نحن نلعب مباراة جديدة، المدرب يقف خارج المستطيل الأخضر، وكيم كالستروم زميلي في منتخب الشباب يلعب في الفريق الآخر، شتمته من الخلف، ثم ضربت لاعبًا آخر وحصلت على بطاقةٍ حمراء. أعصابي انهارت تمامًا، توجهت إلى غرفة تبديل الملابس، ركلت الميكروفون والسماعات، شاهد الفني المسؤول عن هذه الأشياء ما فعلته فاستشاط غضبًا وقال لي: "أيها الأحمق!" أسرعت ناحيته وصرخت: "مَن الأحمق؟"

جاء أحد اللاعبين يفضُ العراك أولًا بأول، ثم انهال الصحفيون بالتصوير والكتابة. قالت الصحافة حينها: "يجب على هذا الولد أن يحسّن طباعه وإلا ستسوء الأمور تمامًا في أياكس." صحيفة أخرى أجرت لقاءً مع طبيب نفسي قال إني يجب أن أخضع لعلاج نفسي، قلت حينها: "ومَن هذا اللعين؟ ماذا يعرف هذا الوغد؟"

الحق يُقال إن العلاج النفسي لم يكن ليناسبني، أردتُ بعض الهدوء والسلام فقط. لم يكن الأمر جيدًا عندما جلست أشاهد نادي جوتبورج يهيننا بستة أهدافٍ للاشيء، وأنا خارج الملعب ببطاقةٍ حمراء. انتهى اللمعان الذي بدأنا به الموسم، حتى مدربنا مايك أندرسون تلقى بعض الانتقادات. لم تكن لديَّ أي مشكلة مع الرجل، إلا أننا لم نكن مقربين، لو كانت لديَّ مشكلة أذهب إلى هاس بورج مباشرة.

مشكلتي مع مايك أندرسون أنه يحترم كبار اللاعبين في النادي، حتى أني خشيتُ أنه يخافهم. لم يكن الأمر جيدًا على الإطلاق عندما حصلت على بطاقة حمراء أخرى أمام نادي أوريبرو. وفي موقفٍ آخر وجدت مايك أندرسون يأخذ صف حارس مرمانا المخضرم جون فيديل، صرخت في وجه المدرب وقلت: "أنت تخاف من الكبار هنا .. تخاف من العفاريت أيضًا!" ركلت بعض الكرات على الأرض بعصبية، نظر الجميع ناحيتي يفكرون في الفتى القادم من حواري روزنجارد، أقبل المدرب نحوي ليهدئ من روعي قليلًا، فقلت له:

- هل تظن نفسك أمي أم ماذا؟

توجهت إلى غرفة تبديل الملابس، فتحت خزانتي وأخذت أشيائي، ثم نزعت اسمي وقررت عدم العودة إلى هذا النادي مجددًا. أخذت سيارتيَ التويوتا وعدتُ إلى المنزل لألعب البلايستيشن وأخرج مع زملائي ليلًا. اتصل بي هاس بورج وصرخ بجنون: "أين أنت؟! أين أنت؟! عد بسرعة!"

عدتُ بعد أربعة أيام إلى سابق عهدي بالنادي، الكل يعلم أن مثل تلك الأمور تحدث في عالم كرة القدم. لم يتبقَّ لي الكثير في النادي، ثم سأرحل إلى هولندا، لم أفكر في

العقوبات التي قد أتلقاها. شعرت أني صاحب فضلٍ على النادي، منذ فترة قصيرة كان النادي غارقًا في ديونه، والآن بعد صفقة أياكس صار النادي قادرًا على شراء لاعبين كثيرين. صار مالمو النادي الأغنى في السويد. قال بنجت مادسون رئيس نادي مالمو للصحافة "كرة القدم لا ترى لاعبًا مثل زلاتان إلا كل خمسين عامًا."

آخر مباراة لي مع مالمو كانت أمام هالمستاد خارج ملعبنا، أردتُ توديع الجمهور بصورةٍ لائقة. إلا أن عقلي وتفكيري كان هناك في أمستردام. توجهتُ لأقرأ قائمة تشكيل المباراة، لم أجد اسمي! اسمي غير موجود في قائمة البدلاء حتى! فهمتُ الآن، هذه هي عقوبتي. تلك كانت طريقة مايك أندرسون في فرض سيطرته، لم أغضب حينما قال أندرسون للصحافة: "زلاتان في فترة راحة الآن لتعرضه لضغط كبير في المباريات" لم أغضب لأنه رجل حَسن الطباع فعلًا.

استُدعيتُ لمكتب هاس بورج، لا أحبُّ هذا لأني أعرف النصائح والمواعظ التي سأسمعها منه. دخلت المكتب ووجدت هاس بورج وبنجت مادسون وكأنهما في عزاء.

– زلاتان، حان وقت الوداع!

– لا تقل ..

– نريد أن نقول لك ..

– هل ستودعانني هنا حقًا؟ ليس أمام الجماهير؟

– يُقال إن هذا يجلب سوء الحظ يا زلاتان.

– أي سوء حظ؟ لقد ودعتم نيكلاس كيندفال أمام ثلاثين ألف مشجع ولم يحدث شيء.

– أجل، ولكن ..

– ولكن ماذا؟

– نريد أن نعطيك هذه الهدية!

– ما هذا الهراء؟

كانت كرة مصنوعة من الزجاج البلوري.

– اعتبرْها ذِكْرَى!

– أهكذا تشكرونني بعدما جلبت للنادي خمسة وثمانين مليونًا؟

ماذا كان هذان الرجلان يتوقعان مني؟ أن أحمل الكرة إلى أمستردام وأبكي كلما أراها؟

– نريد أن نشكرك.

– لا أريدها .. احتفظا بها.

– لا يمكن!

وضعت الكرة على الطاولة ورحلت. هكذا كان وداعي في مالمو، لا شيء مميز. نسيت الأمر، أو قل تناسيته. ولكن ما مالمو هذا؟ حياتي الحقيقية ستبدأ الآن.

لم يكن الأمر متعلقًا بأياكس فقط، فأنا أغلى لاعب الآن، وصحيح أن أياكس ليس بحجم ريال مدريد أو مانشستر يونايتد، لكنه يبقى ناديًا كبيرًا. لعب أياكس منذ خمسة أعوامٍ فقط في نهائي دوري أبطال أوروبا، ومنذ ستة أعوام حصل على اللقب، هذا النادي كان بين صفوفه يوهان كرويف، وإيكار ريكارد، وباتريك كلايفرت، ودينيس بيركامب، وماركو فان باستن، خصوصًا فان باستن، هذا اللاعب المذهل. سأحصل على رقمه في أياكس، سأحرز الكثير من الأهداف، هذا النادي لم يدفع هذا المبلغ هباءً.

الآن لم يعد ممكنًا أن أقول: "أنا زلاتان!" فهذا عيب كبير هنا في هولندا، وخصوصًا في أياكس، أفضل الأندية هنا. سألعب وأتواضع وأتعرف إلى ثقافتهم جيدًا.

***

(8)

لستُ ممن يعانون وحدهم، منذ صغري اعتدتُ الوحدة والاعتماد على الذات، هذا بخلاف أني أفضل شابٌ في أوروبا الآن. أنا لاعب محترف الآن، تُقدر قيمتي بأرقام خرافية، إلا أن بيتي شاغر، وغرفي لا أثاث فيها، حتى ثلاجتي فقيرة، تذكرت الماضي. هي نفس ظروفي في مالمو، إلا أني لم أشعر بالجوع حينها، تحملت كثيرًا، بالإضافة إلى أن أبي وأمي كانا معي. لم أقلق حينها بشأن طعامي، ولكن الآن عدتُ إلى نقطة الصفر. صرتُ شخصًا مسؤولًا، ولكن لا أملك ما أسدّ به جوعي، كم أن محفظتي خاوية. استلقيتُ على فراشي واتصلتُ بمعارفي كلهم؛ أصدقائي، وأبي، وأمي، وأختي الصغيرة، وأخي، اتصلت بميا نفسها حتى بعد انفصالنا. بقيت وحيدًا، مُتعبًا، جائعًا.

تذكرت هاس بورج، كان بإمكانه عمل اتفاق مع أياكس كإعارة مثلًا أو أي طريقة أخرى تسمح بدفع المزيد من المال. ميدو فعل هذا مع ناديه السابق، ولكن ظروفي مختلفة، هاس بورج قال: "يجب أن تعتمد على نفسك الآن" ألن يساعدني هذا الرجل بعدما باعني؟

– أين نسبة 10% التي اتفقنا عليها؟

لم أجد منه إجابة شافية. ألوم نفسي، الآن فقط فهمتُ أنه يجب أن يمرّ شهر على الأقل قبل أن تتسلّم مستحقاتك. لم يُسمح لي بقيادة السيارة في هولندا، وأنا الذي كنتُ أظن أني سأجوب شوارع أمستردام بسيارتي. عرفت فيما بعد أن ذلك لأني سيارتي مكشوفة، لذا اشتريتُ سيارة مرسيدس جديدة جعلتني أبدو أكثر ثراءً.

لكني الآن أقبع في دايمن مفلسًا جائعًا، أخبرني الجميع أني أحمق لشرائي هذه السيارة الباهظة بينما لا أملك ما يكفيني من مال. ربما كان معهم حقٌ.

في أياكس تعرفت إلى ميدو المصري وماكسويل البرازيلي، كنتُ أخرج معهما كثيرًا، ليس فقط لأننا الثلاثة لاعبون جدد في الفريق، ولكني أحببت اللاعبين ذوي البشرة السمراء والقادمين من أمريكا اللاتينية. لم أر منهما غيرةً ولا حسدًا، كلاهما شخص لطيف. المعروف عن اللاعبين الهولنديين أنهم ينتظرون الفرصة السانحة كي يحترفوا في إيطاليا أو إنجلترا- لذا كنا نتبادل النظرات ونسأل: "تُرى من عليه الدور؟" إلا أن الأفارقة كانوا سعداء بهولندا كثيرًا. ماكسويل يشبه بقية اللاعبين البرازيليين، لذا كنتُ سعيدًا بالتعرف إليه. لكنه لا يحب الحفلات ولا الخروج، شخص حساس للغاية، لمحت هذا فيه من البداية، شخص عطوف وطيب القلب. كنت أتصل به وأقول:

- ماكسويل، لديَّ مشكلة، لا أجد أي كورن فليكس في ثلاجتي، هل تسمح لي بالمكوث عندك؟

- بالطبع، تعالَ الآن!

سكن ماكسويل في منطقة اسمها أودركيرك، ذهبتُ إليه لأسكن معه، نمتُ على فراشٍ على الأرض لثلاثة أسابيع حتى تم صرف راتبي، لم يكن وقتًا مؤلمًا. طهونا الطعام معًا، ثم تسامرنا حول التدريبات واللاعبين الآخرين وحياتنا في السويد والبرازيل. يتحدث ماكسويل الإنجليزية ببراعة، أخبرني عن أهله وأخويه المقربين له جدًّا، بعد فترة تُوفِّيَ أحد أخويه في حادث سيارة مؤلم، أحببت ماكسويل كثيرًا.

تأدبت كثيرًا في منزله، حتى أن مستواي تحسن أيضًا، أحرزتُ الكثير من الأهداف في مبارياتنا التجهيزية للموسم الجديد أمام بعض الفرق الصغيرة، راوغت وأظهرت مهاراتي. نادي أياكس معروف بمهاراته ولعبه المفتوح، الصحافة قالت: "يبدو أن هذا الشاب يستحق خمسة وثمانين مليونًا حقًّا." إلا أن أدريانس كان صعب المراس. كان

يضع تقديرًا لمستوى كل لاعبٍ فينا بعد كل مباراة، أعلى درجة هي 10. عندما أحرزتُ خمسة أهداف قال لي: "صحيح أنك أحرزتَ خمسة أهداف، لكنك تُضيِّع الكثير من التمريرات، سأعطيك 5 من 10" فهمت الأمر، هذا الرجل يطلب مني المزيد، سأفعل المزيد من أجله، لا شيء يوقفني الآن. وفي مرة قال لي:

– أأنتَ بخير؟

– لستُ أنا من يرد على هذا السؤال!

– هل تسمع صافرات استهجان الفريق الآخر؟

– بالتأكيد.

– عظيم!

الآن فقط فهمت، اللاعبون الكبار يتلقون صافرات الاستهجان طوال الوقت.

بدأت دورة أمستردام في يوليو، وهي دورة ودية تجهيزية للموسم الجديد يشارك فيها هذا العام ميلان وفالنسيا وليفربول وأياكس بالتأكيد. هذا رائع حقًّا! هذه أول فرصة كي أُثبِتَ لأوروبا وجودي. الوضع مختلف تمامًا عن مالمو والدوري السويدي.

مباراتنا الأولى أمام ميلان، هذا الفريق سيطر على أوروبا بالكامل في التسعينيات، خصوصًا بمدافعين مثل مالديني. لم أهتم بهذا، لعبت بقوة وراوغت بعض الشيء، لكن المباراة انتهت لصالح ميلان بهدف للاشيء.

مباراتنا الثانية أمام ليفربول الذي حصل على ثلاثة كؤوس هذا العام، وهو أقوى دفاع في الدوري الإنجليزي، خصوصًا بلاعب مثل سامي هيبيا وستيفان هينشوز. هينشوز لاعب مخضرم تسبب في إنقاذ مرمى ليفربول من هدف مُحقَّق في نهائي كأس الاتحاد الإنجليزي، أنقذ الكرة على خط مرمى فريقه مستخدمًا يده وحيلة صغيرة خَدَعَ بعد الحكم، ففاز ليفربول بالكأس. لم أسلم من هيبيا وهينشوز، إلا أني قاتلت لأحصل

على فرصة، حصلت عليها فعلًا عند الجانب الأيمن، انطلقت ناحية المرمى حتى وجدت هينشوز أمامي، الآن إما أني أمرُّ من خلاله بمهاراتي مثلما يفعل رونالدو وروماريو، وإما أمرِّر الكرة للاعبٍ آخر. لطالما كنت أتابع حركة الثعبان التي يتقنها لاعبو البرازيل، تُسمى الثعبان لأن اللاعب يمر بين اللاعبين بالكرة وكأنه ثعبان بالفعل. الكرة الآن تحت قدمي، راوغتُ ناحية اليمين، ثم فجأة ناحية اليسار، ثم ركلت الكرة بمنتهى القوة والتحكم. لطالما مارستُ هذه الخدعة أمام لاعبين متواضعين في الدوري السويدي، ولكن هذه المرة أنا أمام هينشوز، خدعتُه بهذه الحركة فذهب للناحية الأخرى ومررت منه، صرخ الملعب بأسره وخصوصًا فريق ميلان الذي حضر لمشاهدة المباراة.

انتهت المباراة، وجدت الصحفيين يقبلون عليّ وأقسم لك أني لم أعرف حينها ماذا أقول، قلتُ: "ذهبت ناحية اليسار، فذهب هينشوز معي، ثم عدت إلى اليمين وتركت هينشوز هناك يتناول شطائر الهوت دوج". اشتهرت بهذه الجملة وأصبح الكثير من الشباب يستخدمها. سمعت بعدها أن ميلان مهتم بي، يرون أني فان باستن الجديد. أنا لاعبٌ رائع، فتى من حواري روزنجارد يتمتع بمهارات برازيلية، يبدو أنه سيكون موسمًا رائعًا!

إلا أن سوء الطالع كان يلوح بالأفق، لم أتأدب كما كنتُ أُخطِّط، حتى أني فقدتُ الكثير من وزني، انتقدني أدريانس علنًا، وساءت الأمور عندما أقيل من منصبه. استرجعت ما كان يحدث في الماضي، مهاراتي الفردية لها صداها هنا أيضًا، حتى مراوغتي لهينشوز صارت حديث الجميع، لم يتغير الوضع كما كنتُ أتوقَّع.

بدا الأمر وكأنني أستعرض مهاراتي لنفسي فقط، لا من أجل الفريق. يلعب أياكس بثلاثة مهاجمين، وأنا كنت معتادًا مهاجمين اثنين. من المفترض أن ألعب في المنتصف، فرصة للمزيد من المهارات الفردية. من المفترض أن أكون آخر لاعبٍ في الملعب، يتسلَّم التمريرات ثم يحرز الأهداف. لم أفهم أسلوب اللعب في البداية، ولكن هذه هي هولندا.

كل ما حولي جديد عليّ، وخصوصًا اللغة والثقافة اللتين لم أفهمهما. المدرب لا يكلمني، لا يكلم أحدًا، وجهه حاد، عيناه مضطربتان. فقدتُ سحري، لم أعد أحرز الأهداف، لم أستفِد من الدورة التجهيزية، بل العكس. كل تلك المقارنات مع فان باتسن أصبحت في غير مصلحتي. استاء الناس مني وخاب أملهم. حل نيكوس ماكلاس مكاني في الهجوم. فقدت المزيد من الوزن، أصبحت خارج نطاق اللياقة البدنية، كيف أتخلص من هذا الكابوس؟

لم أعتد قبول الوضع الراهن أبدًا، فأنا زلاتان! أنا العكس تمامًا. تذكرت أخطائي الواحد تلو الآخر، حاسبتُ نفسي، لم أرضَ عن نفسي مطلقًا، وليس لديّ صديق حميم أشكو إليه.

قبعت داخل شقتي أكلّم الجدران، إلا أني لا ألوم إلا نفسي. بدا الأمر وكأني لا أتحمل العيش في هولندا. ذهبتُ إلى بنهاكر وسألته: "ماذا يقول المدرب عني؟ هل هو راضٍ عن أدائي؟" فقال: "نعم، الوضع مناسب، سنصبر عليك."

لم أتلق التقدير الكافي من المدرب ولا الصحافة ولا حتى الجماهير. جماعة أياكس هؤلاء لا أحد يعبث معهم، اعتادوا الفوز، وكأن أحدهم يقول: "هل أحرزتم ثلاثة أهداف فقط؟"

عندما تعادلنا أمام رودا ألقى الجمهور الزجاجات والحجارة علينا، اضطررتُ للبقاء داخل الملعب بحثًا عن ملجأ، وبدلًا من "زلاتان! زلاتان!" التي كنتُ أسمعُها في البداية بدأت الشتائم في الظهور، شتائم لا تأتي من جمهور الفريق الآخر. لو كانت جماهير الفريق الآخر لكان الأمر مفهومًا، ولكن هذه جماهيرنا نحن، ما الذي يحدث؟

ولكن لاعب كرة القدم يجب أن يفهم أن هذا شيءٌ طبيعي، وأنا فهمتُ هذا، أنا أكبر استثمار للنادي ولا يجب أن أجلس على مقاعد البدلاء. يجب أن أكون فان باستن الجديد وأُحرزُ الهدف تلو الآخر، حاولتُ كثيرًا، بذلت قصارى جهدي.

موسم الدوري طويل جدًّا، ولا شيء يظهر في مباراة واحدة، واضح أني تعرضت لضغط كبير، أكبر مني أنا شخصيًّا. الخمسة والثمانين مليونًا كانت حملًا ثقيلًا، جلستُ وحدي في شقتي في دايمن. لا أعلم كيف تراني الصحافة الآن؟ تُرى هل يظنون أني أخرج مع ميدو ونحتفل معًا؟ الحق يُقال إني كنت حبيس المترل بين ألعاب الفيديو ليل نهار، وفي أيام العطلات كنت أعود للسويد ليلة الأحد وأعود صباح الثلاثاء لتدريباتي في النادي. لا نوادي ليلية ولا شيء من هذا القبيل، إلا أن حياتي ليست احترافية كذلك. لم أصبح محترفًا بعد، لا أنام جيدًا، ولا آكل جيدًا، وأقوم بالكثير من الأمور المجنونة في السويد مثل الألعاب النارية والقيادة بسرعة جنونية، أردتُ بعض الإثارة في حياتي .. بعض الأدرينالين.

ما زلتُ أفقد وزني، وهناك في أياكس يجب أن أقاتل بقوة، خصوصًا في ظلِّ وجود من يترصدني. وصل وزني إلى 75 كيلوجرامًا أو حتى أقل. ربما كنت مرهقًا بعض الشيء، لم أحصل على عطلة كافية؛ شهرين فقط. حتى الطعام لم يكن مفيدًا، لا أجيد الطهي عمومًا؛ بعض الخبز والمكرونة لا أكثر. حتى الصحافة لم تعتد تحتفي بي. لم يعد هناك أي حديث عن زلاتان الناجح، الآن الكلام كله عن زلاتان الفاشل، زلاتان البعيد عن لياقته.

بدأ الأمر في مباراة جرونيجين عندنا ضربتُ مدافعًا بكوعي في رقبته. لم يرَ الحكم ما فعلته، لكن المدافع سقط أرضًا وحُمل خارج الملعب، قيل إنه أصيب بارتجاج. عاد المدافع إلى أرضية الملعب، لكنه عاد مترنحًا. لكن أسوأ شيء أن الفيفا حققت في الأمر وقررت إيقافي خمس مباريات.

الأمور تنتقل من سيئٍ إلى أسوأ، حتى عندما عدتُ ضربت مدافعًا آخر بكوعي في رقبته، ثم حُمل خارج الملعب، ورغم أني لم أحصل على إيقاف بعد هذه الواقعة، فإني لم ألعب كثيرًا بعدها. اتصلت بهاس بورج وقلت له:

– اللعنة يا هاس، هل بإمكانك شرائي مجددًا؟

– ماذا؟ هل أنت جادٌّ؟

– خذني من هنا، أنا لا أتحمل الوضع هنا!

– ليس معنا المال الكافي لهذا يا زلاتان، اصبر قليلًا.

سئمتُ الصبر، أردتُ أن ألعب أكثر، اشتقتُ إلى وطني، شعرت بالضياع، حتى أني اتصلت بميا رفيقتي السابقة من جديد، لا أعلم ما إذا كنتُ أفتقدُها هي أم شخصًا آخر. كل ما أعرفه أني وحيد وأريد حياتيَ أن تعود لطبيعتها، ولكن ماذا حدث؟ عدتُ إلى نقطة البداية.

بدأت الأمور تتأزم عندما علمتُ أني أحصل على أقل راتب، صحيح أن قيمة صفقتي مرتفعة، ولكن راتبي هو الأقل فعلًا. أحضرني أياكس لأصبح فان باستن الجديد، ولكني لا أحصل على المال الكافي، تُرى لماذا؟ لا أعلم.

تذكَّرت عندما قال هاس بورج: "الوكلاء لصوص"، حينها علمت أنه سرقني أنا شخصيًّا، ادّعى أنه إلى جانبي، ولكنه كان يعمل لمصلحة النادي. كان من المفترض أن أقف في ذلك الفندق أيام مالمو ولا أَدَعُ هؤلاء الناس أصحاب البدلات الباهظة والتعليم الراقي أن يسرقوني. اتصلت بهاس بورج فورًا وصرخت:

– ما هذا الغباء؟ أنا حصلت على أسوأ عقد في النادي كله!

– عمّا تتحدث؟

– وأين حقي في نسبة الـ 10% ؟

- وضعناها في حساب تأميني في إنجلترا.

- حساب تأميني! ما هذا الهراء؟ لم يخبرني أحد .. أريد مالي حالًا!

- لا أقدر.

الآن فقط فهمت، الوكلاء ليسوا بلصوص، بل يجنبوك الوقوع في مصيدة اللصوص، دون وكيل ستتعرض للسرقة بكل تأكيد. اختار لي صديق وكيلًا اسمه أندرس كارلسون كان يعمل سابقًا في ستوكهولم.

أندرس كارلسون رجل حسن الطباع، ساعدني في البداية كثيرًا، حصلت على أموال التأمين، ولكني صُعقت عندما علمت أن النسبة ليست 10% بل 8% فقط. قيل لي إن ضريبة مدفوعة مسبقًا خُصمت من نسبتي، لم أصدق الأمر، قلت لهم إنهم يسرقونني، تدخل أندرس كارلسون وبالفعل حصل على نسبة 2% المتبقية. علمت بعدها أن هاس بورج كان المسؤول عن هذا الاقتطاع، درسٌ لن أنساه أبدًا. استغلّ هاس بورج قِلة حيلتي، استغّل طيبة الشاب عديم الخبرة القادم من روزنجارد، تقمّص شخصية أبي الثاني، ادّعى أنه يعمل من أجل مصلحتي، تُرى هل كان سيتصرف بهذا الشكل لو كنت مطيعًا وأبي محاميًا؟

لا أظنُّ، لا أظنه يفهم إطلاقًا، حتى أنه في كتابه الأخير قال إنه معلمي وأنه صاحب الفضل عليّ. قابلته بمصادفةً بعد أعوام في المصعد بينما كنت مع المنتخب القومي في المجر. واضح أنه كان في زيارة يتملّق فيها أحد الكبار، كان يرتدي بدلة أنيقة، أخذ يقول: "حسنًا حسنًا، أهلًا أهلًا، كيف حالك؟" وقف أمامي متوترًا، لكن لم أخبره بشيء. خرجتُ من المصعد وتركته خلفي، لم أرَه من بعدها، لذا فأنا لا أنساه، هو أقل من أن أؤذيه.

أما هناك في أياكس فالوضع من سيئ إلى أسوأ، أتحصل على أقل راتب، وأتلقى صافرات الاستهجان من الجمهور، وأضرب اللاعبين بالكوع، والقائمة تطول. قررت تغيير نفسي بعض الشيء، تدربت جيدًا، ولكني لم أنسَ قط زلاتان القديم، حتى أدريانس نفسه انزعج مني، كان ينتقدني كثيرًا، ولكن لم أرد عليه، فهو الزعيم هنا. أُقيل أدريانس بعدها من منصبه، ولكن هذا لصالح الفريق. كنا قد خسرنا المباراة المؤهلة لدوري المجموعات في دوري أبطال أوروبا أمام سيلتيك، ثم خسرنا أمام كوبنهاجن في كأس الاتحاد الأوروبي، إلا أن الهزيمتين لما تكونا سبب الإقالة، فنحن نُقدِّم أداء جيدًا في الدوري، ربما السبب في إقالته أنه لم ينسجم مع اللاعبين، فَقَدَ الاتصال معنا، وكأننا نشغر بالفراغ في وجوده. أحب الرجال الأقوياء، وأدريانس رجل قويٌّ فعلًا. والآن الكل ينتظر، تُرى من المدرب القادم؟

البعض تحدث عن فرانك ريكارد، وهذا خيارٌ جيد، فريكارد كان لاعبًا للفريق، كما أنه أسطورة من أساطير ميلان. إلا أن الاختيار وقع على كومان، كان لاعبًا مميزًا في الضربات الحرة في برشلونة. جاء كومان ومساعده رود كرول، الاثنان فهماني جيدًا، واضح أن الأمور ستتحسن.

إلا أن الأمور لم تتحسن، بل ازدادت سوءًا، بقيت حبيس مقاعد البدلاء خمس مباريات متتالية، وفي إحدى الحصص التدريبية أرسلني كومان إلى بيتي قائلًا: "الأفضل أن تعود إلى بيتك طالما لا نشعر بوجودك، أنت لا تلعب بجدٍّ".

هذا العام سيشهد كأس العالم في كوريا واليابان، بطولة أنتظرها منذ زمنٍ طويل. بالعودة إلى أياكس كنت خائفًا من فقداني للرقم 9 وأن يأخذه لاعب غيري، لا يهمني الرقم نفسه ولكن لو سُحب الرقم مني هذا معناه أن الفريق لم يعد يثق بي. إن لهذا الرقم سحره الخاص، فهذا رقم فان باستن، شرف لي أن أحمل رقمه، وإذا لم أثبت نفسي سأُحرم هذا الشرف.

أحرزتُ خمسة أهداف فقط في الدوري إلى الآن، وحتى بعدما أحرزتُ السادس لم أنجُ من صافرات استهجان الجماهير، وحتى عندم أقوم للإحماء يصرخ الجمهور: "نيكوس! نيكوس!" أو "ماكلاس! ماكلاس!" واضح أن الجمهور لا يريدني على أرض الملعب. قلت لنفسي: "كل هذا قبل أن أنزل الملعب، ماذا سيحدث إذًا عندما أشارك؟"

الأسوأ من ذلك أن هناك أكثر من لاعب في مركزي، ولو اقترحوا رحيل لاعب سيكون أنا، غمرني هذا الشعور، كنت الخيار الثالث بعد ماكلاس وميدو. حتى بنهاكر صديقي خرج للإعلام وقال: "زلاتان هو اللاعب الذي يبدأ هجماتنا، إلا أنه يبقى غير فعّال أمام المرمى، أعتقد لو فكّرنا في بيعه سنبحث عن نادٍ جيد لينتقل إليه."

حتى كومان نفسه قال: "زلاتان أفضل مهاجم لدينا من الناحية الفنية، ولكن لتستحق رقم 9 في أياكس عليك أن تتصف بسماتٍ أخرى، وأظنُّ أن تلك السمات يفتقر زلاتان إليها." بدأ حرب الدعاية، انطلقت الصحف بعناوين رنّانة مثل: "اقتراب رحيل زلاتان" و"زلاتان للبيع!"

رفضتُ الاستسلام، زرعتُ هذه الفكرة في رأسي، سواء كنت سأرحل عن أياكس أم لا، لا بد أن أُثبتَ نفسي مهما يحصل. وفي موسم الربيع كنا قد تأهلنا إلى نهائي كأس هولندا أمام أوتريخت في روتردام. تُلعب المباراة يوم 12 مايو 2002، الجمهور يزأر بقوة، أوتريخت يعتبر أياكس عدوه اللدود، يريدون الانتقام خصوصًا بعد فوزنا بالدوري. جلستُ على مقاعد البدلاء طوال الشوط الأول وأغلب الشوط الثاني في حين كان أوتريخت متقدمًا بهدفين لهدف. وقف كومان خارج المستطيل الأخضر بربطة عنقه الحمراء يستشيط غضبًا، لا بد أن شيئًا سيحدث، أردت المشاركة، نزلتُ إلى الملعب، وبدأتُ بركل كرة كادت تكسر قائم المرمى. وصلنا إلى الوقت بدل الضائع، جماهير أوتريخت تصرخ، الوضع سيئ، لافتاتهم الحمراء في كل مكان، أغانيهم تُسمع من كل ركن في الملعب. ثلاثون ثانية متبقية على صافرة الحكم، وصلت الكرة إلى وامبرتو البرازيلي داخل مربع عمليات أوتريخت، ربما كان في وضع تسلل، لكن حامل الراية لم

يلحظ، لمس وامبرتو الكرة فدخلت الشباك. عادت أرواحنا في الثواني الأخيرة من المباراة، لاعبو أوتريخت لم يصدقوا ما يحصل، لكن المباراة لم تنتهِ بعد.

وصلنا إلى الوقت الإضافي، حينها كانت قاعدة الهدف الذهبي ما زالت مُطبقة. بعد خمس دقائق من انطلاق الشوط الإضافي الأول تسلّمت تمريرة من ناحية اليسار ضربتُها برأسي فضاعت. عادت الكرة إليّ مرة أخرى تسلّمتُها على صدري، المدافعون يضغطون عليّ ولكن يمكنني ركل الكرة بقدمي اليسرى، لم تكن أحسن ركلاتي، إلا أنها ارتطمت بالأرض وسكنت الشباك. خلعت قميصي من فرط سعادتي وركضت ناحية اليسار، اشتعل الجمهور، جرى كومان ناحيتي وقال: "شكرًا لك يا زلاتان! شكرًا لك!"

***

(9)

ظنت تلك الفتاة أني نموذج للشاب اليوغسلافي، أرتدي ساعة ذهبية وأقودُ سيارة فاخرة وأسمعُ موسيقى صاخبة، باختصار لستُ أهلًا لها، ولكني لستُ هذا الشاب على الإطلاق. إلا أني ظننت أني شابٌّ رائع، أقود سيارتي المرسيدس وبجواري أخي الصغير كيكي يحسب مبلغًا من المال. انتهى موسم كرة القدم في هولندا قبل كأس العالم أو بعده، لا يهمني! أتذكر تلك الحسناء تخرج مسرعة من سيارة أجرى بمنتهى الغضب. قلت في قرارة نفسي: "مَن هذه؟" لم أرَها مسبقًا في مالمو، وهذه المدينة أنا أعرف كل ركنٍ فيها. لم تكن حسناء فقط بل ذات لسان سليط عندما تقول: "اتركني لحالي" أعجبتني كثيرًا، كانت أكبر مني، وهذا أعجبني أكثر وأكثر. سألت عنها أحد الأصدقاء وأخبرنا أن اسمها هيلينا، ومن بعدها لم أقدر على إخراجها من بالي.

لم أتحدث إليها على الإطلاق، كنت مشغولًا طوال الوقت، وأخيرًا حان وقت انضمامي للمنتخب القومي في ستوكهولم. تعجُّ العاصمة السويدية بالكثير من الحسناوات، من أين يأتين؟ إنهن في كل مكان تقريبًا، ذهبت مع بعض أصدقائي إلى كافيه أوبرا، وبالطبع يهتاج الناس لمجرد رؤيتي. تغيرت الأوضاع بعض الشيء، الآن الناس يطلبون الحصول على صورة معي عبر كاميرا الهاتف، أغلبهم لا يطلبون بل يأخذون الصورة من تلقاء أنفسهم. البعض يلقي نفسه عليك، شيء مستفزٌّ جدًا. وفي يوم وجدتها أمامي .. أسرعتُ ناحيتها لأكلمها: "مرحبًا، هل أنتِ من مالمو؟" تحدثت

بعض الشيء عن نفسها وعن عملها، لم أفهم شيئًا مما قالته. لم أفهم الحديث عن العمل والمستقبل حينها، بالإضافة إلى أني شخص مغرور ولي أسلوبي في الحديث.

لم أقبل بعلاقة قوية من قبل، إلا أني ندمتُ على هذا لاحقًا. عليّ أن أكون مهذبًا، سعيد جدًّا كوني أراها مجددًا في مالمو. كنت أراها في كل مكان، لديها سيارة مرسيدس سوداء تركنها في منطقة ليلا تورج، تعمدتُ المرور على هذا المكان يوميًّا، ولكن هذه المرة سيارتي ليست مرسيدس بل فيراري 360.

بخصوص المرسيدس، أخبرني من باعها لي أنني سأصبح الوحيد الذي يقودها في المدينة بأسرها، وبعد فترة وجدت سيارة مثلها في ستوكهولم، قررتُ بيعها واشتريت الفيراري. صحيح أني خسرت في هذه الصفقة في حين أن أموري المالية ليست على ما يُرام، إلا أني لم أهتم.

أنا فخور بسياراتي، مسألة مبدأ لا أكثر ولا أقل، كنت أجوب المدينة بسيارتي الفيراري الجديدة، وأحيانًا كنت أراها في سيارتها المرسيدس. قلت لنفسي: "يجب أن أتصرف بشأن هيلينا، لا يمكن أن أقبع ساكنًا، حصلتُ على رقم هاتفها من صديق، فكّرتُ كثيرًا، هل أتصلُ بها حقًّا؟

أرسلت لها رسالة: "هاي! أظننا تقابلنا أكثر من مرة" ثم في التوقيع كتبت: "الشاب ذو السيارة الحمراء" .. ردت عليّ بعدها، يا إلهي! كتبت في التوقيع: "البنت ذات السيارة السوداء"، ربما تكون هذه بداية شيء جميل. طلبت منها الخروج، لم يكن شيئًا مميزًا في البداية، ثم ذهبت معها إلى مسكنها، تفحصت أوراق جدرانها، ومواقدها، وأثاثها، شيء مذهل. لم أقابل فتاة عزباء تعيش بهذا الشكل من قبل، تعمل في مجال التسويق في إحدى الشركات السويدية، كما أنها ناجحة في عملها ولها سمعة ممتازة، أعجبني هذا جدًّا.

لا تُقارن أبدًا بالفتيات الصغيرات التي عرفتهن قبلها، لم تكن مجنونة مثلهن، عاقلة ورزينة، تحب السيارات، تركت بيت أسرتها في السابعة عشرة من عمرها، فتاة تمتلك زمام أمورها، وأنا مجرد شابٌ طائش يرتدي ملابس سيئة وتبدر عنه تصرفات طفولية، أمور تضايقها كثيرًا.

تنحدر من أسرة راقية في مدينة ليندسبرج، ناس اعتادوا عبارات مثل: "هلّا مرّرت إليّ الحليب بعد إذنك؟" على عكس أسرتي تمامًا التي قد تقتل بعضها بعضًا على طاولة الطعام. لم أفهم شيئًا عن عالمها، وهي كذلك لا تفهم شيئًا عن عالمي. أنا أصغر منها بأحد عشر عامًا، أعيش في هولندا ولي أصدقاء شبه مجرمين، لا يشبه أحدنا الآخر أبدًا.

كانت قد نظمت حفلًا من قبل لي ولأصدقائي، منع الحراس أصدقائي من الدخول، كان موقفًا هزيلًا. الأمر لا يتعلق بأي شيء بخلاف شخصيتي، ولذا كان حولي الكثير من الأصدقاء الفاسدين، ولكن صدقني ليسوا بهذا القدر من الفساد. وفي مرة جاء شقيقها ولمسني وبدأ يشدني، لِمَ يجب عليه فعل ذلك.

لا أحد يعبث مع أصدقائي، أحدهم استلم شقيقها، وآخر استلمها هي شخصيًا، خرجت مسرعًا، لا أريد أن أكون مشاركًا في هذا. وفي مرة أخرى كنتُ في إحدى الحانات، لم أعرف طريق الخروج، ثم وجدت نفسي في دورة المياه، فوضى عارمة في حياتي. لو شاهدني أحد الصحفيين ستصبح فضيحة، ولكن هذه المرة شاهدني الحارس، موقف سخيف، قال لي الحارس:

– المدير يطلب منك الخروج من هنا!

– أخبر هذا الخنزير أني أحتقر هذا المكان!

وبالفعل غادرت المكان على يد الحراس. التقطت كاميرات الحانة صوري، ولم يظلّ الأمر طي الكتمان. وصلت الصور للصحافة وتصدرت أخباري العناوين، وكأني أجرمتُ. بالغت الصحافة في وصف ما حدث، وقيل إني تحرشتُ بإحداهن .. تحرش؟ مستحيل هذا الهراء!

عدتُ إلى أمستردام للحاق بمباراة ليون في دوري أبطال أوروبا، رفضت الحديث إلى الصحافة. تولى ميدو هذه المهمة بالنيابة عني. وعندما بالغت الصحف في وصف ما حصل فعلًا قررت أن أرفع قضية عليهم، ولم أنل شيئًا في النهاية إلا اعتذارًا، بل زادت الأعين وتضاعفت.

أردت بعض العناوين الصحفية التي تركز على مستواي في لعب كرة القدام لا أخلاقي خارج الملعب، حتى كأس العالم لم يكن فرصة مناسبة بالنسبة لي، ظننت أن لا مكان لي في الفريق، إلا أن لاجرباك وسودربرج تواصلا معي للعودة إلى المنتخب. أحب سودربرج كثيرًا، رجل هُمام! في مرة رفعته في الهواء وتركته ليسقط على الأرض وينكسر ضلعان منه. في المنتخب شاركني في الغرفة أندرياس إيزاكسون، شخص لطيف لكن عاداته لا تناسبني إطلاقًا، ينام مبكرًا في التاسعة مساءً، كنت أتنفس الصعداء عندما يرن جرس هاتفي، أخيرًا سأتحدث إلى أحدهم. إلا أني أطفأت الهاتف كيلا أزعج منامه. أنا شخص لطيف حقًّا! ولكن في الليلة التالية رنَّ جرس هاتفي وإيزاكسون الذي كان نائمًا، أو يدّعي أنه نائم، وجدته يقول:

– ماذا بك يا زلاتان؟

– لو نطقت بكلمة سألقي بفراشك من النافذة!

لا أصدق أنه ينام في التاسعة مساءً، من يفعل هذا؟ حصلت على غرفة منفصلة لي وحدي في اليوم التالي.

بالحديث عن كأس العالم، ظروفنا صعبة جدًّا، فنحن في مجموعة الموت مع إنجلترا والأرجنتين ونيجيريا. الأجواء هنا رائعة، ملاعب ممتازة وأرضيات رائعة، أردتُ أن ألعب أكثر من أي وقت مضى. إلا أن المدرب رأى أني أفتقر للخبرة اللازمة. لعبت خمس دقائق فقط أمام الأرجنتين، ولعب كذلك أمام السنغال في دور الستة عشر، لعبت جيدًا ولكني لم أحصل على فرصة كافية. اكتفينا بهذا القدر ثم عدت إلى أمستردام.

الآن هدفي ألا أهتم بما يقوله الآخرون، إلا أن الأمر لم ينجح، ما زلتُ أسيرَ مقاعد البدلاء. الصراع على مركزي في الملعب صعب جدًا، كما أن بعضهم ينتقدني، وأهمهم يوهان كرويف الذي تحدث عني بسوء، كما أنه عاب مهاراتي.

لم أعانِ وحدي، فميدو مثلًا أخبرني أنه يريد الرحيل عن النادي، ليست بالفكرة الذكية بالتأكيد، يفتقر ميدو إلى الدبلوماسية مثلي .. بل ربما أكثر مني. لاحقًا عندما كان في مقاعد البدلاء في مباراة أيندهوفن أخبر الجميع في غرفة تبديل الملابس أنهم "جبناء". كان كثير السباب، أخبرته أنه لو كان بيننا جبان فهو ميدو، فأمسك بمقص وألقاه ناحيتي، تفاديته فأصاب الجدار. صفعتُ ميدو على وجهه، وأتبعت الصفعة بلكمة. وبعد عشر دقائق خرجنا معًا اليد في اليد .. علمت فيما بعد أن المدرب احتفظ بالمقص كذكرى، وكأنه يقول للناس: "حتى زلاتان نفسه كاد يُصاب بهذا المقص."

ازداد الوضع سوءًا مع ميدو، عاقبه كومان وحبسه في مقاعد البدلاء. كان هناك شابٌّ آخر اسمه رافاييل فاندرفارت، هولندي مغرور كالكثير من هؤلاء البيض الذين يملؤون الفريق، إلا أنه لم ينحدر من أسرة راقية، تربى ونشأ في مقطورة، وعاش حياة الغجر، وبدأ لعب الكرة في الشارع بزجاجات البيرة. انضم إلى أكاديمية الشباب في أياكس، ثم تدرب جيدًا وارتفع مستواه. حصل العام الماضي على جائزة أفضل موهبة أوروبية أو شيء من هذا القبيل. أراد أن يصبح القائد ويفرض سيطرته، ولذا بدأت المنافسة بيننا.

أُصيبت ركبته، كما أن ميدو مُعاقب، لذا بدأت أساسيًا في مباراة ليون. هذه أولى مبارياتي في دوري أبطال أوروبا، لعبت في الأدوار التأهيلية فقط، وهذا رائع. لطالما كان اللعب في دوري أبطال أوروبا حلم بالنسبة لي. اشتريت تذكرتين لاثنين من أصدقائي ليشاهداني في الملعب. حصلت على تمريرة ممتازة من زميلي جاري ليتمانن، لاعب فنلندي أعجبت به.

لعب ليتمانن لبرشلونة وليفربول قبل أن يأتي إلى أياكس، كان له طيب الأثر في الكثير من اللاعبين في أياكس يلعبون لأنفسهم، إلا ليتمانن فهو يفهم الصواب من الخطأ. تسلّمت التمريرة منه وقابلني مدافعان أحدهما أمامي والثاني بجانبي، لطالما كنتُ في مواقف كهذه، فآخذ الكرة إلى الخلف وأخدعهما. يذكّرني هذا الموقف بما فعلته مع هينشوز، ولكن هذه المرة يحاصرني مدافعان. أخذت الكرة ناحية اليسار فانقض المدافعان عليّ، وجدت بينهما مساحة كافية لمرور الكرة، ركلتها فمرت بينهما ثم خدعت حارس المرمى وسكنت الشباك.

ليس بهدفٍ عادي، بل هدف جميل. أسرعتُ نحو صديقيّ ولوّحت لهما ومن خلفي فريقي بالكامل. أحرزت هدفًا آخر بعدها فأُصبْتُ بالجنون. أحرزتُ هدفين في أولى مبارياتي بدوري أبطال أوروبا. بدأت الإشاعات تتوارد بأن روما وتوتنهام يقتتلان للحصول على خدماتي.

تلك كانت فترة رائعة في مسيرتي، وبكل بصراحة إذا لم تكن هناك مشكلة في كرة القدم، فلا مشكلة في العالم كله على الإطلاق. إلا أن حياتي الاجتماعية لم تكن على ما يُرام، فراغ كبير، بقيت في شقتي وقتًا طويلًا أفعل أمورًا غبية. حافظت على تواصلي مع هيلينا عبر الرسائل النصية دون هدف.

لعبت مع المنتخب ضمن الأدوار المؤهلة لبطولة اليورو، هذه المرة أمام المجر على ملعبنا. لم أنسَ تصفيق الجمهور من أجلي العام الماضي، إلا أن الأمر لم يبدأ بصورة مثالية، ما زالت الصحافة ترى أني مجرد لاعب مُبالغ في شهرته وأني رسمتُ طريقي بالعنف والبذاءة. هذه مباراة مهمة، لو خسرنا قد لا نتأهل لليورو. تقدّمت المجر بعد أربع دقائق فقط من عمر المباراة. صنعنا الكثير من الفرص ولكن دون فائدة. بدت الخسارة قريبة، ولكن في الدقيقة الرابعة والسبعين تلقيتُ تمريرة هوائية من ماتياس جونسون. قفز الحارس أمامي محاولًا إمساك الكرة وإبعادها، إلا أنه أمسكَ بي أنا وبالكرة وبكل شيء. سقطت على الأرض كالمغشي عليه.

بقيت على الأرض عشر ثوانٍ لا أدري ما يحصل حولي، عاد وعيي فوجدت حلقة من اللاعبين حولي يبتسمون. قال كالستروم:

– إنه هدف!

– ماذا؟ من أحرزه؟

– أنت .. برأسك!

شعرت بالدوار فأحضروا نقّالة لإخراجي والجمهور يزأر: "زلاتان! زلاتان!" النتيجة الآن 1–1، كان من المفترض أن نحصل على ضربة جزاء ولكن الحكم اختار أن يتغاضى عنها. شعرت بالفرح والحزن في الوقت نفسه. بعدها أصبت بالحمى، وأصيب بها ربع مليون مواطن آخر في السويد، وفي تلك الأثناء حدث شيء آخر غيّر مسار كل شيء.

كنتُ في بيت أمي ليلة الكريسماس. بداية الموسم غير مبشرة، ولكني سعيد، أحرزت خمسة أهداف في دوري أبطال أوروبا، أي أكثر مما أحرزت في الدوري الهولندي. أتذكر كومان يقول لي: "ركّز يا زلاتان، هناك دوري نلعبه أيضًا!"

كنّا في عطلة حتى مطلع يناير الذي سنتوجه فيه إلى القاهرة في معسكر تدريبي، أردتُ بعض الراحة. إلا أن بيت أمي مزدحم، الجميع يصرخ ويتشاجر طوال الوقت. أردت الابتعاد قليلًا عن هذا الصداع، ولكن مع مَن؟ الكل منشغل مع أحبابه في هذه الفترة، تُرى بمَن أتصل؟ هيلينا؟ حاولت، ليس لأني آمل في وقت طويل معها، فهي بالتأكيد تعمل الآن أو تقضي وقتًا مع أهلها في ليندسبرج، إلا أنها كانت في بيتها وقالت لي: "لا أحب الكريسماس!"

– لستُ بخير يا هيلينا!

– أيها المسكين!

- الوضع أشبه بالسيرك في بيتي.

- حسنًا، تعالَ الآن، وأنا سأعتني بك.

تفاجأتُ من عرضها بكل صراحة، فكل ما يربطُ أحدنا بالآخر هو بضع رسائل نصية وأكواب قهوة معدودة على أصابع اليد، لم أقضِ الليل معها من قبل. هذا رائع!

- إني راحلٌ يا أمي!

- ألن تقضي الكريسماس معنا؟

- آسف!

ذهبت إلى هيلينا التي سرعان ما وضعتني في السرير، الوضع مريح جدًّا هنا بعيدًا عن الكريسماس المزعج في بيت أمي، إلا أن حالتي لم تتحسن. وعدتُ أبي بالقدوم إليه يوم الكريسماس، أبي لا يحتفل بالكريسماس، يجلس وحيدًا يفعل بعض الأشياء، ربطتني به علاقة قوية منذ قدومه إليّ في مالمو. نسيت إهماله لي منذ طفولتي، والآن نشاهد المباريات معًا. في تلك الفترة تحول اسمي على القميص من زلاتان إلى إبراهيموفيتش، إلا أن الرجل لم يتخلص من عادات السكر التي أدمنها، فعدتُ إلى هيلينا مجددًا.

- هل عدتُ بهذه السرعة؟

- نعم.

أُصبتُ بالحمى، درجة حرارتي 44، لم أكن بهذا السوء من قبل. بقيت أسير الفراش ثلاثة أيام، كانت هيلينا تساعدني على الاستحمام بنفسها وتغير الملاءات الغارقة في عرقي. ورغم معاناتي إلا أنها ما زالت تراني الشاب الأحمق الذي يتصرف كرجال المافيا ذوي السيارات الفارهة، أمر مضحك بالفعل! إلا أني لست الشاب المناسب لها. رغم ذلك وجدتها تحنو على الحالة التي وصلت إليها، أصبحتُ بشرًا في النهاية وانكسرت شوكتي. عندما تحسنت حالتي بعض الشيء ذهبت واستأجرت بعض الأفلام، تلك

كانت أول مرة أشاهد فيها فيلم حركة سويديًا، تفاجأت كثيرًا من هذا العالم، هل بإمكان السويد صنع فيلم رائع كهذا؟ شاهدنا الفيلم تلو الآخر معًا، ولكن هل ارتبطنا فعليًا؟ لا.

كانت تسافر وترجع وتعتني بي، لم يفهم أحدنا الآخر بعد، ولم نعرف مصير حكايتنا معًا. رغم ذلك شعرت بسعادة غامرة لكوني معها، وعندما أعود إلى هولندا أفتقدها كثيرًا. راسلتها "هل يمكنكِ المجيء؟" وبالفعل زارتني في دايمن، وبالرغم من أنها لم تنبهر بشقتي الصغيرة، فقد حرصتُ على أن تصبح الثلاجة مليئة.

قالت: "يجب أن أمس أرضيتك هذه!" الوضع مأساوي في شقتي بالفعل، حتى الجدران نفسها في حالة يُرثى لها، لكل جدار لون؛ قرمزي وأصفر وبرتقالي، كما أن الأرضية الخضراء لا تتماشى مع أي من تلك الألوان. هذا بخلاف ارتدائي لملابس رثة، وبقائي في الفراش مع ألعاب الفيديو.

افتقدتها كثيرًا عندما غادرت، صرتُ أراسلها وأتصل بها أكثر. هيلينا فتاة راقية علمتني الكثير من الأشياء، علمتني كيف أمسك بالشوكة والسكين، علمتني كيف أحتسي الخمر جيدًا. سابقًا كنت أشربُ الخمر وكأنه لبن، إلا أنها علمتني أن الخمر يُشرب على مهل.

عدتُ إلى مالمو وذهبتُ مع بعض أصدقائي إلى منزلها، أصدقائي الأغبياء أفسدوا حديقة منزلها، صرخت فينا جميعًا. أردت أن أعوضها عمّا حصل، فأرسلت أخي ليصلح لها ما أفسدته، إلا أنه لم يصلح شيئًا، بدوت أمامها كالغبي أكثر من مرة.

أهديتها جهاز لابتوب ماركة سوني فايو، ثم تشاجرنا فأخذت اللابتوب منها. أرسلت أخي كيكي إليها ليحضر الجهاز، ولكن تُرى ماذا حدث؟ قالت له: "اغرب عن وجهي ولا تأتِ هنا مرة أخرى!" رفضت تسليم الجهاز. عدنا لبعضنا البعض مرة أخرى، اشترينا بعض الألعاب النارية وقررنا عمل مقلب في أحد أصدقائنا. وضعنا

الألعاب النارية في صندوق بريده فانفجر إلى مليون قطعة. كما قررنا أيضًا عمل مقلب مماثل في صديقة أخي، ذهبنا إلى مترلها وفجرنا بعض الألعاب النارية، قامت مفزوعة وقالت: "ما هذا؟ ماذا يحدث؟" تصرّف كيكي وكأنه لا يعلم، لكنها علمت بالتأكيد. كانت فترة كلها جنون، هذا قبل أن يعلمني مينو رايولا وفابيو كابيلو الأدب.

***

(10)

وكأني أعيش حياة ماركو فان باستن بتفاصيلها، حصلت على قميصه ورقمه، كل من حولي يتوقعون أن أصبح مثله، لكن المزيد من الضغط يولد الانفجار. لا أريد أن أكون فان باستن الجديد، أنا زلاتان لا فان باستن. أردتُ أن أصرخ فيهم جميعًا وأقول: "لا تأتوا على سيرة هذا الرجل ثانية!" الأمر كان مزعج حقًّا، ولكن الوضع تغير تمامًا عندما رأيتُ الرجل نفسه.

ماركو فان باستن أسطورة، أحد أفضل المهاجمين في العالم، صحيح ليس ببراعة رونالدو، إلا أنه أيضًا أحرزَ أكثر من مائتي هدف وأصبح أسطورة في ميلان. حصل على جائزة أفضل لاعب في العالم منذ عشرة أعوام، والآن يدرس لكي يصبح مدربًا مساعدًا في فريق أياكس للناشئين، أولى خطواته في عالم التدريب. ولذا كان قريبًا منا في أثناء التدريبات.

أشعر بأني طفل أمامه، ربما في البداية فقط. اعتدتُ رؤيته بعد ذلك، صرتُ أُحدِّثه يوميًّا، مَرِحْنا معًا. قبل كل مباراة نراهن بعضًا البعض ونتبادل النكات.

– حسنًا، كم هدفًا ستحرز اليوم؟ أظنُّ أنت ستحرز هدفًا واحدًا فقط.

– واحدًا فقط؟ أنت واهم، سأحرز هدفين على الأقل.

– أتراهن على هذا؟

– بكم؟

كان ينصحني كثيرًا، يا له من رجل رائع! كان يفعل ما يريده دون أن يكترث بالمدربين الآخرين. كان الجميع ينتقدني لأني لا أساعد في الدفاع، وكنتُ أقف مكاني عندما يتعرض فريقي للهجوم، فكّرت: تُرى ماذا يجب أن أفعل؟ قال فان باستن:

– لا تأبه للمدربين ..

– لماذا؟

– ليس من الصحيح أن تضيع طاقتك في الدفاع، استغل طاقتك في الهجوم، أفضل شيء تفعله هو الهجوم لا أن ترهق نفسك في الدفاع.

استفدتُ درسًا عظيمًا وهو "احفظ طاقتك لإحراز الأهداف."

توجهنا إلى البرتغال في معسكر تدريب، وفي تلك الأثناء أُقيل بنهاكر واستُبدل بلويس فان جال. فان جال مدرب فخم مثل أدريانس، أراد أن يكون ديكتاتورًا، هذا بخلاف أنه ثقيل الظّل أساسًا. لم يكن لاعبًا مميزًا، إلا أنه صار كبيرًا في هولندا لأنه فاز بدوري أبطال أوروبا مع أياكس، كما أن الحكومة الهولندية منحته لقب (فارس). كان يحب الحديث أن أنظمة اللعب، كما أنه يتعامل مع اللاعبين كأرقام، يقول مثلًا: "رقم 5 يلعب هنا ورقم 6 يلعب هناك." تغمرني السعادة عندما لا أراه أمامي. ولكن عندما ذهبنا إلى البرتغال لم أفلت منه، من المفترض أن أقابل فان جال وكومان كي أعلم خطتهما بالنسبة لي في بداية الموسم. جلست أمامهما، وبينما ابتسم كومان كان فان جال غاضبًا. قال كومان:

– زلاتان، أنت لاعب رائع، سأعطيك 8 من 10.. عليك بذل المزيد من الجهد.

– حسنًا، جيدا!

قمتُ لأرحل، لا أحب فان جال هذا، أحب كومان أكثر. كما أن **8** من **10** رقم جيد. وقبل أن أرحل أوقفني فان جال وسأل:

- هل تجيد اللعب في الدفاع؟

- أتمنى.

أخذ يكرر نفس الكلام الذي سمعته كثيرًا من قبل، أنت المهاجم رقم **9**، اذهب ناحية اليسار ليذهب اللاعب رقم **10** إلى اليمين،والعكس صحيح.. أخذ يرسم بعض الأسهم، ثم سألني بجد:

- فهمت؟

- بإمكانك إيقاظ كل اللاعبين في منتصف الليل وتسألهم عن الدفاع، سيقولون لك إن رقم **9** يذهب في هذا الاتجاه ورقم **10** يذهب في هذه الاتجاه. كلنا نعلم هذه المعلومة.. للعلم أنا عملت من قبل مع فان باستن نفسه وقال لي عكس هذا تمامًا.

- عذرًا؟

- أخبرني فان باستن أن رقم **9** يجب أن يحفظ طاقته للهجوم وإحراز الأهداف، والآن كيف لي أن أسمع هذا الكلام منك؟ من الأسطورة، فان باستن أم فان جال؟

استخدمت نبرة مختلفة وأنا أنطق اسمه كي أستخفَّ به، تُرى هل سيكون فان جال سعيدًا الآن؟ بالطبع لا، استشاط الرجل غضبًا، فقلت له: "عليَّ أن أذهب الآن." وتركته ومشيت.

سمعت بعض الأحاديث عن اهتمام روما بالتعاقد معي، حينها كان فابيو كابيلو مدربًا لروما، رجل قوي جدًّا بإمكانه أن يُجلِس أهم لاعبيه على مقاعد البدلاء. كما أن كابيلو درّب فان باستن نفسه في ميلان وجعله أفضل. سألت فان باستن: "ما رأيك؟ أليس روما ناديًا رائعًا؟ هل سأنجح هناك؟"

– بل ابقَ في أياكس، عليك أن تطور مهاراتك الهجومية قبل أن ترحل إلى إيطاليا.

– لماذا؟

– الأجواء أصعب هناك بكل تأكيد. في هولندا تحصل على خمس فرصٍ أو ستٍّ في كل مباراة، ولكن في إيطاليا تحصل على فرصة واحدة أو اثنتين وعليك أن تستغل هذا.

بالفعل اقتنعت بكلامه، لم أحرز الكثير من الأهداف بعد، وأمامي الكثير لأتعلمه. أريد أن أصبح أكثر فعالية في منطقة الخطر. إلا أن إيطاليا حلم بالنسبة لي، إيطاليا مناسبة لأسلوب لعبي، ولذا ذهبُت إلى وكيلي أندرس كارلسون وقت له:

– ما الجديد؟ هل من أخبار جديدة تخصني؟

لطالما كان أندرس يريد الأفضل لمصلحتي، بحث قليلًا ثم عاد وقال:

– ساوثهامبتون مهتم بك.

– ساوث ماذا؟ ساوثهامبتون؟ هذا أقل من مستواي.

في تلك الأثناء اشتريتُ سيارة بورش تربو رائعة، إلا أن قيادتها صعبة للغاية وقد تودي بحياة سائقها. كنتُ أقودها مع صديقٍ لي وأضغط بشدة على دواسة الوقود حتى أصل إلى 250 كيلومترًا في الساعة، لا شيء مميز على الإطلاق، لا أسمع سرينة الشرطة إلا بالضغط على الفرامل. الشرطة خلفنا تمامًا، تُرى هل أتوقف وأعتذر وأسلّم رخصة القيادة؟ لكن ستتحدث الصحافة وتزيد الطين بلة وتقول إن زلاتان يقود سيارته بسرعة جنونية. ضغطت بشدة على دواسة الوقود وأسرعت حتى وصلت إلى 300 كيلومتر في الساعة، إلا أن سرينة الشرطة ما زالت تُدوّي، حتى ضعفت شيئًا فشيئًا، ثم صمتت. اختفت سيارات الشرطة، اختبأتُ أسفل أحد الأنفاق منتظرًا مرورهم وكأني في فيلم سينمائي.

لديَّ ذكريات جميلة مع هذه السيارة، في مرة كنت أقودها وإلى جواري أندرس كارلسون متجهين إلى المطار، قدت بسرعة جنونية، فقال أندرس:

– ألم تكن هذه إشارة حمراء؟

– حقًّا؟ لم ألحظها!

اتصل بي اليوم التالي وقال لي:

– تلك كانت أسوأ شيء فعلته في حياتي.

– ماذا؟

– قيادتك الجنونية!

تيقنتُ أن أندرس كارلسون ليس الرجل المناسب، أريد وكيلًا آخر لا يكترث بإشارات المرور أو القوانين، ولحسن الحظ كان أندرس على وشك إنشاء شركته الخاصة والعقد بيني وبينه منته، لذا أصبحتُ حرًّا. بحثت عن وكيل آخر، ولكن بمن أثق؟ قررت أن أستشير أحد الخبراء في هذا المجال، فكّرت في ثيس سليجرز، صحفي كان قد أجرى لقاءً معي في صحيفة فوتبول إنترناشونال. هذا شخص أستطيع أن أشرح له ما أريد، بالإضافة إلى أنه صاحب خبرة، اتصلت به على الفور وشرحت له الوضع.

– لقد غيرت وكيلي، تُرى من الأفضل بالنسبة لي؟

– دعني أفكر .. اسمع، هناك وكيلان؛ الوكيل الأول هو الشركة التي تعمل لصالح دافيد بيكهام، وهي شركة ممتازة، أما الوكيل الثاني فهو اممم..

– ماذا؟

– أحد رجال المافيا.

– يبدو جيدًا.

- توقعتُ أن تقول هذا.

- إذًا حدد لي موعدًا معه.

إلا أن الرجل لم يكن أحد رجال المافيا بالفعل، ربما له أسلوب خاص. اسمه مينو رايولا، سمعتُ هذا الاسم من قبل، نعم إنه وكيل ماكسويل، حتى أنه حاول التواصل معي منذ شهرين من خلال ماكسويل نفسه. هكذا يعمل رايولا، يعمل من خلال وسيط. يقول: "لو تواصلت مباشرةً سأبدو ضعيفًا." حينها قلت لماكسويل "لو كان معه شيء جدي بالنسبة لي فأهلا به وسهلًا، وإلا لن أتواصل معه." حينها وصلني الرد من رايولا عبر ماكسويل: "أخبر زلاتان هذا أن يحترق في الجحيم"، استفزني هذا الردُّ كثيرًا، صرتُ أبحثُ عن معلومات أكثر عنه. جملته الأخيرة تذكرني بنفسي، كما أننا نشترك في البيئة نفسها التي خرجنا منها، رايولا نشأ في جنوب إيطاليا، إلا أن أسرته انتقلت إلى هولندا وفتحت مطعم بيتزا في مدينة هارليم. عمل رايولا في البداية في غسل الصحون وخدمة العملاء. تطور رايولا كثيرًا وصار يمسك بزمام أمور المكان المالية.

كافح كثيرًا في صغره؛ درس القانون، واشتغل بالتجارة، وتعلَّم اللغات. كما أنه أحبَّ كرة القدم وأراد أن يصبح وكيل لاعبين. هناك نظام غبي في هولندا يلزم بعدم بيع اللاعبين في مقابل رسوم تقوم على أساس السن وبعض الإحصائيات الفارغة. أعلن رايولا اعتراضه على هذا النظام. حتى أنه تحدى اتحاد كرة القدم، كما أن بداياته كانت رائعة، فقد باع دينيس بيركامب عام **1993** إلى الإنتر، ثم ساعد نيدفيد عام **2001** في الانتقال إلى اليوفنتوس في مقابل **41** مليون يورو.

صحيح أن رايولا ليس أفضل وكيل لاعبين، لكن الجميع يتوقعون له مستقبلًا مبهرًا، كما أنه مستعدٌّ لاستخدام جميع أنواع الخدع، وهذا أمرٌ جيد. لا أريد أن أكون الشاب الطيب، أريد أن أتعاقد مع فريق آخر وأحصل على عقد جيد، وربما كان هذا سبب انبهار مينو بسلوكي. اتفقت على مقابلته في فندق أوكوبرا بالعاصمة الهولندية، ارتديتُ جاكيتًا بُنيًّا من الجلد ماركة جوتشي. لن أرتدي بنطالي الجينز مرة أخرى وأتعرض

للنصب كما حدث من قبل. ارتديتُ ساعتي الذهبية، وأخذت سيارتي البورش وركنتها خارج الفندق.

وكأني أقول للجميع: "ها هو زلاتان!" فندق أوكورا فخم جدًّا، فضّلت أن أحافظ على لياقتي، ذهبت إلى مطعم لتناول بعض السوشي. حجزنا طاولة هناك، لم أعرف أي نوع من الأشخاص رايولا هذا، ربما من النوع الذي يرتدي البدلات الفاخرة والساعات الذهبية. ولكن تخيل معي، وجدت شابًّا يرتدي بنطال جينز وتيشرت نايك تحته كرش كبيرة، كأنه أحد أفراد "آل سوبرانو".

هل من المفترض أن يكون هذا البهلوان وكيل أعمال حقًّا؟ وتخيل معي ماذا تناول، طبق سوشي مع الأفوكادو والجمبري. طلبنا طعامًا يكفي خمسة أشخاص، وأكل الطعام كله كالمجنون. تحدث بعدها ودخل في المضمون مباشرةً. لم يتأمر على الإطلاق، أعجبني هذا كثيرًا، أريد العمل مع هذا الرجل. أوشكتُ على الاتفاق معه، ولكن بدلًا من أن يصافحني تخيل ماذا فعل هذا المخبول؟ أخرج أربع ورقات جاء بها من الإنترنت مليئة بالأسماء والأرقام مثل (كريستيان فيري 27 مباراة / 24 هدفًا) و(فيليبو إنزاجي 25 مباراة / 20 هدفًا) و(دافيد تريزيجيه 24 مباراة/ 20 هدفًا) وأخيرًا (زلاتان إبراهيموفيتش 25 مباراة / 5 أهداف). قال لي:

– هل تعتقد أن بمقدوري بيعك بهذه الإحصاءات؟

قلت في قرارة نفسي "ما سر هذا الهجوم المفاجئ؟"

– لو أحرزت 20 هدفًا لباعتني أمي نفسها.

هَدَأَ، أراد أن يضحك .. علمت أنه يفعل هذا لتصبح له اليد العليا.

– معك حق، لكن ..

تُرى ماذا سيقول الآن؟ يبدو أنه سيهاجمني مجددًا.

– أتراني سأنبهر بهذا؟

– ماذا تقصد؟

– هل تظنُّ أنك ستبهرني بساعتك وجاكتك وسيارتك البورش؟ لا أظنُّ.. شيء سخيف!

– حسنًا ..

– هل تريد أن تصبح الأفضل في العالم؟ أم تريد فقط كسب المال وإظهار النعمة؟

– أن أصبح الافضل في العالم طبعًا.

– جميل! لو أصبحت الأفضل في العالم ستأتي الأمور الأخرى تباعًا، لكن إذا بحثت عن المال فقط فلن تحصل على شيء، فهمت؟

– فهمت.

– فكّر واتصل بي.

انتهى اللقاء على هذا. رحلت متخذاً قراري بأن أفكر في الأمر، لم يدم تفكيري طويلًا، اتصلتُ به قبل أن أصل لسيارتي حتى.

– اسمع، لا أطيق الانتظار .. أريد العمل معك حالًا.

سكت قليلًا ثم قال:

– حسنًا .. لكن إذا عملت معي ستسمع كلامي.

– بالتأكيد!

– ستبيع سياراتك وساعاتك وستتدرب ثلاثة أضعاف تدريباتك الحالية.. إحصاءاتك سيئة للغاية!

كان من المفترض أن أقول له أن يذهب إلى الجحيم، ولماذا يهتم بسياراتي هكذا؟ إلا أنه كان محقًا. أعطيته سيارتي البورش، لا لأني سأصبح الولد المطيع، بل لأني أريد فعلًا التخلص منها. من الممكن أن تقتلني هذه السيارة.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، قُدتُ سيارتي ماركة فيات ستيلو المملة، وتخلصت من ساعتي الذهبية، وارتديتُ ساعة نايك قبيحة مكانها، وعُدتُ إلى الجيتز مرة أخرى. عُدتُ إلى سابق عهدي، وتدربت كالمجنون. كنت أقاتل في التدريبات، والحق يُقال إنه كان مُحقًّا تمامًا. في السابق لم يكن لديَّ الدافع الحقيقي، فأحرزتُ أهدافًا أقل من المطلوب، أما الآن فأنا أقاتل لهدفٍ ثابت، أبدعت في التدريبات وفي أرض الملعب أيضًا. إلا أن الأمر لم يتغير في ليلةٍ وضحاها. بدأت بقوة ثم أصابني التعب، وكلما نظرت خلفي وجدت رايولا يراقبني.

– أتحب أن يخبرك الناس أنك الأفضل؟

– نعم، ربما.

– لكنهم يكذبون، لست الأفضل.. أنت حثالة، نكرة.. عليك أن تلعب بجد أكثر. وما لك تتأوه كالنساء الماجنات؟ كن رجلًا!

– اذهب إلى الجحيم!

– فلتذهب أنت أولًا!

تعرضت لإصابة وأخبرني طبيب النادي أني سأحتاج إلى جراحة. خضعتُ لجراحة في فخذي اليسرى في مستشفى جامعة روتردام، ثم عدت إلى التدريب شيئًا فشيئًا من خلال حمام السباحة. ذهب رايولا إلى مدرب اللياقة البدنية وقال له: "زلاتان هذا اعتاد التدليل، الآن عليه أن يقاتل.. اضغط عليه أكثر."

الآن مطلوب مني أن أجري في الماء ومن خلفي جهاز النبض السخيف يزعجني بدقاته، واصلت التدريبات حتى وصلت إلى تمام قدرتي، أريد أن أتقيأ .. سقطت على الأرض، لا أستطيع التحرك، والآن أريد أن أتبول، ولكن من أين آتي بالقوة لأذهب إلى دورة المياه؟ وجدت فتحة في حمام السباحة فتبولت بداخلها.

غير مسموح للاعبين بتناول الطعام إلا بإذن، هذا هو النظام في أياكس. كنتُ ألتهمُ طعامي كالمجنون من فرط تعبي في التدريبات. استمر الأمر على هذا المنوال أسبوعين كاملين، ورغم أن التدريبات كانت قاسية، فقد شعرتُ بمتعة غريبة في إنهاك نفسي، بدأت أحصل على ما أردته دائمًا. وصلت إلى مرحلة جديدة وصرت أقوى فعلًا. شُفيت من الإصابة تمامًا، وعندما عدت إلى الملعب أبدعت.

زادت ثقتي بنفسي ووجدت بعض اللافتات تقول: "زلاتان ابن الرب!" الجماهير الآن تصرخ باسمي، أصبحت أفضل بكثير، ولكن عندما تصبح أفضل يغار منك الآخرون. رافاييل فاندرفارت أكبر مثال على هذا، لم يعجبه مستواي المتطور، فهو الشاب الأشهر في هولندا وأكثر اللاعبين المحبوبين في أياكس. أعطاه كومان شارة الكابتن رغم أنه في الحادية والعشرين من عمره. ربما رآني مغرورًا، وربما كان هذا من تأثير الصحافة فيه، قيل إنه يرافق فتاة حسناء جدًّا، وقد يؤثر فيه هذا الأمر في الملعب. ربما رأى في نفسه نجمًا كبيرًا ولا يريد أي منافسة، لا أعلم، وجدته يعرض نفسه للبيع مثلنا جميعًا، ربما أراد فعلًا الخروج من النادي، لا أعلم، لا أعرفه، ولا أهتم.

لم ينفجر الوضع بيننا إلا في أغسطس 2004. كان الوضع حسنًا في مايو ويونيو، فزنا بالدوري وماكسويل حصل على جائزة أفضل لاعب في الدوري، سعدت جدًّا له. أردتُ التركيز على كرة القدم فقط، كأس الأمم الأوروبية المُقامة هذا العام في البرتغال اقتربت كثيرًا، وهذه أول بطولة ألعبها أساسيًّا في المنتخب القومي.

***

(11)

لم يعلم أحد بشأن علاقتي بهيلينا، ولا حتى أمها. قررنا أن نُبقي الأمر سِرًّا. بالإضافة إلى أن أصغر معلومة عني تتصدر عناوين الصحف، كما أني لا أريد للصحافة أن تبحث وتُنقّب في علاقتنا قبل أن نعلم نحن أنفسنا ما يحدث بيننا.

فعلنا كل ما بوسعنا لإخفاء قصتنا، لن يصدق أحد أني على علاقة بامرأة مستقلة أكبر مني بأحد عشر عامًا. حتى لو كنّا في مكانٍ واحد لم يكن أحد ليصدق أني على علاقة بها، وهذا أمر حسن. إلا أن السرية والخصوصية لهما سعرهما.

خسرت هيلينا بعض أصدقائها وشعرت بالوحدة والعزلة، كما ازداد غضبي وجنوني تجاه الصحافة. سافرت قبل عام إلى جوتنبرج للعب مع المنتخب أمام سان مارينو. الأمور حسنة في أياكس، كما أني بحالةٍ طيبة أكثر من أي وقتٍ مضى. ولكن شاءت الأقدار أن تكتبُ إحدى الصحف مقالًا عني، بدا المقال شخصيًا إلى درجة كبيرة. قال الصحفي: "هل تريد الفوز بدوري الأبطال معي؟ أنا لاعب عمري 21 عامًا، وطولي 192سم، ووزني 84كجم، شعري أسود، عيناي بنيتان، أبحث عن امرأة في نفس سني لعلاقةٍ جادة." تُرى هل يسعدني ما كتبه الصحفي؟ بالطبع لا، استشطتُ غضبًا. أردت أن أضرب هذا الغبي فعلًا، إلا أن الأمر ساء عندما قابلته شخصيًا في أحد ممرات الملعب في اليوم التالي.

علمت حينها أن الصحيفة نفسها قالت إني غضبتُ بسبب المقال، ربما أخبرهم أحد زملائي في المنتخب. بالطبع الأمر طبيعي لأن اسمي يعني الكثير بالنسبة للصحيفة. وبرغم غضبي الشديد حافظت على هدوئي، وهذا ليس بالأمر الهيّن. قلتُ للصحفي:

– أيّ نوعٍ من البهلوانات أنت؟ وماذا تقول بحق الجحيم؟ أتقول إن لديّ مشكلات مع الفتيات؟

– آسف، أردت فقط أن أقول ..

أخذ يتهته ولم أفهم منه شيئًا.

صرختُ في وجهه: "لن أتحدث معك مجددًا!" وتركته، شعرت أني أخفته كثيرًا .. إلا أن الصحيفة رفعت يدها عنّي. فزت مع المنتخب بخمسة أهداف للاشيء، أحرزتُ هدفين، فوجدت الصحيفة نفسها في اليوم التالي تقول: "مرحى يا السويد! هل ستصل السويد إلى اليورو؟ لا أظنُّ!" ثم قالوا: "عار عليك يا زلاتان!" وكأني أنزلت بنطالي أو ضربت الحكم.

حصلت على ضربة جزاء وأحرزت هدفًا، كانت النتيجة 4–0، عرقلني لاعبٌ داخل منطقة الجزاء، كان المدرب قد وضع قائمة لمن ينفذ ضرباء الجزاء، وعلى رأسها كالستروم، إلا أن كالستروم قد أحرز هدفًا في المباراة بالفعل، قلت حينها هذه فرصتي، ذهبتُ قبله لضرب الكرة فوجدته يرفع يده وكأنه يقول: "هذه كرتي!"

ضربت يده بدلًا من ذلك، ثم وضعت الكرة وركلتها، اعتذرت له بعدها. مجرد هدف بسيط، لا اشتعلت حرب في البلقان ولا قامت ثورة جياع، ولكن الصحيفة نفسها خصّصت ست صفحات لهذا الحدث، ولا أفهم السبب. تخيل عندما أفوز بخمسة أهداف للاشيء وأجد الصحيفة تقول: "عار عليك يا زلاتان!"، في اليوم التالي قلتُ في مؤتمر صحفي: "لو كان هناك عار فليقع على صحيفة أفرونبلاديت!"

قاطعتُ الصحيفة بعد ذلك، وحتى عندما بدأت بطولة أوروبا في البرتغال لم يمر الأمر مرور الكرام، لم أتحدث لأيٍّ منهم. كان يجب عليّ الحذر فيما يخصُّ علاقتي بهيلينا، ولكني أفتقدها كثيرًا. اتصلت بها: "هل يمكنك القدوم؟" رفضت لأنها مشغولة جدًّا. كان مديرها قد اشترى بعض التذاكر لحضور اليورو، وعندما علمت بذلك وجدتها علامة على ضرورة القدوم إلى البرتغال، وبقيت معي عدة أيام. أبقينا الموضوع طي الكتمان، حتى زملائي في المنتخب لا يعلمون.

الجو هنا مذهل، أولى مبارياتنا كانت أمام بلغاريا في العاصمة لشبونة، الملعب كله يكتسي باللون الأصفر والكل يقول: "أسكنوا الكرات في الشباك!" سحقنا بلغاريا تمامًا بخمسة أهداف للاشيء. الكل يتوقع لنا بطولة مذهلة، إلا أن الحق يُقال إن البطولة لم تبدأ بعد. أهم مباراة لنا كانت أمام إيطاليا في بورتو يوم 18 يونيو. الكل يعلم أن الطليان يتجهزون لهذه المباراة قاصدين الثأر لأنهم تعادلوا في المباراة الأولى أمام الدنمارك، كما أن الطليان لا ينسون خسارتهم أمام فرنسا في روتردام في اليورو السابق. يجب على إيطاليا الفوز، وخصوصًا بمنتخب رائع يمتلك لاعبين مثل نيستا، وكانافارو، وزامبروتا في الدفاع، ومن خلفهم بوفون في حراسة المرمى، ومن أمامهم كريستيان فييري في الهجوم. كان النجم الكبير توتيّ موقوفًا لأنه بصق على أحد لاعبي الدنمارك في المباراة الأولى. يا له من تحدٍّ كبير أمام هؤلاء الكبار!

تلك كانت أسوأ مبارياتي، كما أن أبي كان بين الجماهير يشاهدني، الجو مذهل. تميّز الطليان بهجوم رائع في هذه المباراة، ثم جاء كاسانو الذي لعب هذه المباراة بدلًا من توتيّ وأحرز هدفًا بعد تمريرة من بانوتشي، الطليان يسيطرون على المباراة تمامًا. حصلنا على بعض الفرص في الشوط الثاني، إلا أنها مباراة إيطالية بحتة، كما أنهم يمتلكون أقوى خط دفاع في العالم، وقبل خمس دقائق من انتهاء المباراة حصلنا على ركنية من الناحية اليسرى.

لعبها ماركوس كالستروم، حصل عليها ماركوس ألباك وركلها، ثم ركلها ألوف ملبرج، سادت الفوضى في منطقة الجزاء. طارت الكرة في الهواء فقفزتُ في الهواء وانقلبتُ، رأسي بالأسفل وكعبي بالأعلى، ضربت الكرة بقوة لم يلحقها كريستيان فيري، سكنت الجانب الأيسر من الشبكة. أحرزت هدفًا في مرمى إيطاليا في اليورو! رميت نفسي على زملائي وأخذت أجري وهم من خلفي. صحيح أنه تعادل فقط، إلا أنه تعادل بطعم الفوز كما أنه أهلنا إلى دور الثمانية من البطولة، سنواجه هولندا.

صافرات استهجان الجماهير الهولندية البرتقالية ملأت الأجواء، كما أن المباراة مغلقة تمامًا ولم تسمح إلا بفرص قليلة. ضربنا أكثر من كرة في القائم والعارضة، أضعنا أكثر من هدف. وصلنا إلى ضربات الجزاء الترجيحية والملعب كله يرفع يده إلى السماء.

شعرت بالاطمئنان على الرغم من كل شيء، وعلى الرغم من أن حارس هولندا هو إدوين فان در سار. أعلم عادةً أين أضع الكرة، الكرة مكانها الشباك، ولكن فجأة انتابني هذا الشعور الغريب وأنا أقترب من الكرة، ركلتها متوقعًا أن تسكن الشباك، إلا إنها لم تفعل. خرجنا من البطولة بعد أن ضيّع ألوف ملبرج. تحولت البطولة إلى ذكرى سيئة، كنا نمتلك منتخبًا عتيدًا، كان من المفترض أن نذهب إلى مراحل أبعد.

لطالما كان شهر أغسطس مليئًا بالأحداث، فسوق الانتقالات يُغلق في الحادي والثلاثين منه. تطايرت الإشاعات في كل مكان. هل سيبقى؟ هل سيرحل؟ كم سيُدفع فيه؟ يتعرض اللاعبون لضغط كبير نتيجة هذا الغليان، والأمر واضح في أياكس.

يرغب كل اللاعبين الشباب في أياكس في الرحيل، والكل ينظرون لبعضهم البعض. هل يحدث شيءٌ ما؟ هل سيرحل؟ لماذا لم يتصل بي وكيلي؟ الكل يتحدث والكل غيور، بينما بقيت منتظرًا. حاولت التركيز في كرة القدم فقط. مباراتنا القادمة أمام أوتريخت

ولا أتوقع أبدًا أن أخرج من المباراة، ولكن أخرجني كومان بالفعل. ضربت إحدى اللوحات الإعلانية.

كنت أتصل برايولا بعد كل مباراة لأشكو مرة وأعاتب مرة، ولكن هذه المرة صرختُ:

– لماذا أخرجني هذا الغبي؟ من أين أتى بهذا الكم من الغباء؟

توقعت منه أن يؤازرني ويقول: "أجل، حزنت لتغييرك كثيرًا، لا بد أن كومان فَقَدَ صوابه." إلا إنه قال:

– بالطبع أخرجك، معه حق، فأنت الأسوأ في الملعب .. كنت سيئًا للغاية!

– ماذا تقول بحق الجحيم؟

– نعم، كنت سيئًا .. وكان من المفترض أن تخرج قبل هذا!

– احذر!

– ماذا؟

– ملعونٌ أنت والمدرب!

أنهيتُ المكالمة وأخذتُ حمامًا ثم عدت إلى دايمن. لم تتحسن حالتي، ولكن عندما عدت وجدت أحدًا ينتظرني عند باب شقتي، إنه رايولا .. هل يجرؤ هذا الملعون على القدوم؟ لم أكد أخرج من سيارتي حتى بدأنا في الصياح في وجه بعض.

– كم مرة يجب أن أقول لك هذا؟ كنت الأسوأ على الإطلاق.. لم يكن من المفترض أن تلعب المباراة من الأساس .. أكبر قليلًا!

– اذهب إلى الجحيم!

– فلتذهب أنت أولًا!

– اللعنة عليك! أريد الرحيل!

– إذًا فلتذهب إلى تورينو ..

– ماذا؟

– لديّ عرض من يوفنتوس!

– ماذا؟

– كما سمعت ..

– لديك عرض من يوفنتوس؟

– احتمال ..

– أوه! أيها المخبول المذهل!

– الأمور لم تتضح بعد، ولكني أعمل على هذا.

قلت في قرارة نفسي: "يوفنتوس؟ بالتأكيد أفضل من ساوثهامبتون!"

ربما كان يوفنتوس أفضل فريق في أوروبا حينها، فريق مدجج بالنجوم مثل ليليان تورام، ودافيد تريزيجيه، وأليساندرو ديل بيرو، وجيجي بوفون، وبافل نيدفد، صحيح أنهم خسروا نهائي دوري أبطال أوروبا أمام ميلان منذ عام، ولكن عمليًا هم الأفضل فعلًا. فريق مدجج بالنجوم حقًا، كما أنهم تعاقدوا مع فابيو كابيلو، المدرب القادم من روما والذي لطالما كان يريدني في فريقه أعوامًا .. بدأ الأمل يدب في قلبي، ارجوك افعلها يا رايولا!

كان يوفنتوس تحت إدارة لوسيانو موجي في تلك الفترة، رجلٌ صلب، قوي، عصامي، بدء من الصفر حتى صار يدير دفة يوفنتوس، وأصبح ملك سوق الانتقالات. تطور يوفنتوس كثيرًا تحت إمرته، حتى فاز بالدوري الإيطالي المرة تلو الأخرى، إلا أن الرجل لم يكن شريفًا على طول الخط. أحاطت بالرجل بعض الفضائح كالرشاوى، والمنشطات، والكثير من المحاكمات، كما قيل إنه ينتمي لعائلة (كامورا) في نابولي، وهي إحدى كبرى عائلات المافيا الإيطالية. وهذا بالطبع محض هراء، إلا إن الرجل بدا

كرجال المافيا فعلًا، يضع السيجار في فمه ويرتدي بدلات باهظة الثمن، كما أنه يفاوض على أي وكل شيء. أسموه "ملك الصفقات" .. رايولا كان يعرفه جيدًا.

كان رايولا وموجي عدوين لدودين قبل أن يصبحا صديقين حميمين. حجز رايولا لقاءً مع موجي وحاول إتمام الصفقة، إلا أن البداية لم تكن مُوفّقة. فمكتب موجي كان كغرفة انتظار لعينة، وجد رايولا نفسه مع عشرين ضيفًا آخرين، وكلهم يتعجلون لقاءه. مَرَّ الوقت ببطء شديد، غضب رايولا وقال في قرارة نفسه: "ماذا يحدث؟ هل يتجاهلني أم ماذا؟" لم يغضب أحدٌ مثله، فموجي رجل مهم أيضًا، ولكن رايولا اعتبر هذا عدم احترام. قابل موجي لاحقًا في مطعم أورباني المفضل لدى يوفنتوس في تورينو وقال:

- لقد عاملتني بسوء اليوم!

- ومن أنت بحق الجحيم؟

- سترى من أنا عندما تريد شراء لاعب من خلالي.

غضب رايولا كثيرًا وكان يقدّم نفسه للفرق الأخرى ويقول "أنا رايولا، عدو لوسيانو موجي"، ونظرًا لأن موجي لديه أعداء كثر، فإن تلك الجملة كانت تؤتي أُكلها. المشكلة هي أن رايولا كان مضطرًّا للعمل مع موجي عاجلًا أم آجلًا، ففي عام 201 كان يوفنتوس يريد شراء نيدفيد، وهو أحد نجوم رايولا، ولكن لم تتقدم الصفقة إلى الأمام، بالعكس كان ريال مدريد يطمع في نيدفيد، ولكن اجتمع رايولا مع موجي أخيرًا في تورينو. تمكّن موجي من نصب مصيدة، فدعا المراسلين والصحفيين قبل بدء المفاوضات، وحينها لم يفلت رايولا من المصيدة.

الحق يُقال أن رايولا لم يترعج، فهو كان يريد نيدفيد في يوفنتوس، كما أن تلك المصيدة انتهت بعقد مناسب، وأعجب رايولا بأسلوب موجي كثيرًا. صحيح أن موجي أحمق وفظ اللسان، ولكنه يعرف كيف يُنهي الأمور لصالحه. والآن حان وقت اللقاء مع

موجي، إلا أن الأخير لم يمتلك متسعًا من الوقت. من المفترض أن نقابله خلسةً مدة نصف ساعة في مونت كارلو في أثناء سباق فورميولا وان. أظنُّ أن موجي كان في المدينة لإتمام بعض الأعمال. للعلم فقط مجموعة فيات تمتلك توكيل فيراري ويوفنتوس كذلك، سيُعقد الاجتماع في غرفة كبار الضيوف، ولكن الزحام شديد جدًّا. تركنا السيارة وأخذنا المسافة كلها ركضًا، ورايولا ليس بالرياضي. مليء البطن وكثير التعرق ولا يرتدي ملابس مناسبة للاجتماع.

كان يرتدي سراويل هاواي وقميص نايك دون جوارب، غرق رايولا في عرقه. وصلنا إلى غرفة كبار الضيوف في المطار والدخان يملأ المكان. كان موجي يضع سيجارًا ضخمًا في فمه، رجل كبير في السن أصلع الرأس، تراه تشعر بقوته على الفور. اعتاد أن يأمر فيُطاع، وها هو ينظر الآن إلى ملابس رايولا.

– ما الذي ترتديه بحق الجحيم؟

– هل أحضرتني لتتهكم على ما أرتديه؟

في تلك الأثناء لعبنا مباراة ودية مع هولندا في ستوكهولم، ولم ينس أيٌّ من الطرفين الخسارة في اليورو، وأردنا أن نثبت أن بإمكاننا هزيمة هولندا. أردنا الانتقام وكانت مباراة عنيفة، وفي وقتٍ مبكر من عمر المباراة حصلت على تمريرة خارج منطقة الجزاء فهجم عليّ أربعة هولنديين منهم فان ديرفارت وكلهم يجذبونني من القميص. كان موقفًا صعبًا، ولكني تصرفتُ، وأوصلت الكرة إلى ماتياس جنسون الذي كان في موقف أفضل مني.

أحرز ماتياس هدفًا، وبعدها سقط فان ديرفارت على الأرض متوجعًا ثم حُمل خارج الملعب. قالت الصحف إن اللاعب سيُحرم لعبَ مباراتين، وقالوا أيضًا إني أصبتُه متعمدًا، ولكن كيف سأصيبه وهو قائدي في أياكس؟

اتصلت به وقلت: "اسمع، أنا آسف على الإصابة، لم أتعمد هذا، هل تفهمني؟" ثم نقل هذا الكلام إلى الصحافة وقلته مئات المرات، إلا أن فان ديرفارت استمر في الحديث عني بشكل سيئ، لماذا يتحدث عن زميله بهذا السوء؟

فكرت قليلًا وتذكرت أننا في شهر الانتقالات، ربما أراد أن يخرج من الفريق بهذه الطريقة؟ أم يريد إخراجي أنا من الفريق؟ كما أنه لاعب هولندي مُدلَّل لدى الصحافة، وأنا زلاتان الفتى السيئ .. قابلته بعد فترة في التدريبات وقلت له: "اسمعني لآخر مرة، لم أتعمد إصابتك، هل تفهمني؟" فقال: "فهمتك!"

لم يفهمني وازداد الأمر سوءًا في النادي، انقسم الفريق إلى معسكرين؛ معسكر هولندي أخذ صفه ومعسكر أجنبي أخذ صفي. وأخيرًا طلبني كومان وقال لي: "ماذا يحدث؟" اتهمني كومان بالتسبب في هذه الأزمة، غضبت جدًّا من هذا الأسلوب. وفي النهاية نادتنا الإدارة وعقدنا جلسة صلح لأننا أهم لاعبين في النادي ومن مصلحة الفريق أن نصبح صديقين. إلا أن فان ديرفارت زاد الطين بلة وقال: "لقد أصابني متعمدًا." فقلت: "لم أفعل، وأنت تعلم ذلك، وإذا قلتها مرة أخرى سأكسر لك رجليك لا رجلًا واحدة، وهذه المرة سأكون متعمدًا." وبالطبع أخذ الجميع صفه فصرخ وقال: "هل سمعتم؟ هل سمعتم؟ هذا المجنون العدواني."

استدعانا لويس فان جال لحل الأزمة، كان لديَّ بعض المشكلات معه من قبل، ولم أرَ أن هذا الحل مناسبًا تمامًا. قال فان جال:

– أنا المدير هنا ..

شكرًا على المعلومة!

– وأنصحكم بنسيان هذا الخلاف، وعندما يتماثل رافاييل للشفاء ستلعبان معًا.

– بالطبع لا، ما دام هو في الملعب لن أنزل!

– ماذا تقول؟ هذا قائدك، وستلعب معه، هذا لمصلحة الفريق!

– قائدي؟ ما هذا الهراء؟ إنه يخرج للصحافة ويقول هراءً عني وأني أصبته متعمدًا، أي قائدٍ هذا؟ القائد لا يهاجم زملاءه .. لن ألعب معه، مستحيل، وافعل ما تريد!

تلك كانت مقامرة كبيرة، ولكني تشجعت لأني أعلم أن الأمور تسيرُ جيدًا مع يوفنتوس، صحيح أني لم أوقّع على شيء، إلا أن الأمل يملؤني.

اتصلت برايولا أسأله عن الأخبار، حينها كانت لدينا مباراة أمام بريدا في الدوري، فقال رايولا:

– استعد لصافرات الاستهجان.

– جيد.

– جيد؟

– تستفزني صافرات الاستهجان، سأريهم!

أخبرت كومان بموضوع يوفنتوس، أردته أن يكون مستعدًّا على الرغم من صعوبة الخبر. أحببتُ كومان كثيرًا، فهو وبينهاكر كانا أول من اعترفا بإمكاناتي، ولذا كنتُ واثقًا بعدم رفضه، فمن ذا الذي لا يريد الذهاب إلى يوفنتوس؟ إلا أن كومان رفضَ وخرجَ يقول للصحافة إن هناك لاعبين في أياكس يظنون أنهم أكبر من الفريق؛ بالطبع يقصدني أنا. أخبرتُ كومان:

– صدقني لا أريد صُنع مشكلة، ولكن يوفنتوس يريدني وأتمنى أن تساعدني على إنجاح الصفقة، فهذه الفرصة تأتي مرة في العمر.

ظننتُ أن كومان سيفهم الأمر، فقد كان لاعبًا محترفًا في صغره.

– ولكني لا أريدك أن تغادر يا زلاتان، أريد الحفاظ عليك، وسأحاربُ من أجل هذا.

- هل تعرف ماذا قال فان جال؟

- ماذا؟

- قال إنه لا يريدني من أجل الدوري، بل دوري أبطال أوروبا.

- ماذا؟ أقال هذا حقًا؟

غضب كومان من فان جال كثيرًا. ما يهم الآن هو أن الطليان يراقبونني عن كَثَب، وعندما أنزل الملعب أشعر بوجودهم في كل مكان، ولكن في الوقت نفسه أشعر وكأن الهولنديين يريدون البصق في وجهي. ولكن عندما ظهر فان ديرفارت صرخت الجماهير وكأني أنا المجرم وهو البريء.

كانت النتيجة 3-1، ثم نزل لاعب بدلًا من فان ديرفارت من أكاديمية الشباب اسمه ويسلي شنايدر، شاب ماهر حقًا أحرز الهدف الرابع. وبعد خمس دقائق تسلّمت كرة على بعد عشرين مترًا من منطقة الجزاء فجريت قليلًا وراوغت لاعبًا ووجدت فرصة سانحة لضرب الكرة، فظهر أمامي لاعبون آخرون، بحث عن مخرج لتمرير الكرة للاعب آخر، ولكن دون فائدة. لحسن الحظ ركلت الكرة بمقدمة قدمي فخدعت الحارس واحتضنت الشباك. هدف كلاسيكي بمعنى الكلمة. البعض أطلقوا على هذه الكرة الهدف المارادوني أسوةً بهدف مارادونا في إنجلترا بربع نهائي كأس العالم عام 1986. قفز الجميع من مقاعدهم وصرخوا بأعلى صوت، جميعهم ما عدا شخصًا واحدًا فقط صورته الكاميرات، إنه فان ديرفارت، جلس يعض شفتيه ولم يتحرك على الرغم من أن فريقه أحرز هدفًا. والآن الجمهور كله يصرخ ويصيح باسمي أنا لا اسم فان ديرفارت، حصل هذا الهدف لاحقًا على جائزة أفضل هدف من قناة يورو سبورت.

اقترب سوق الانتقالات من الإغلاق، وفجأة قال موجي إنني لن أنسجم مع دافيد تريزيجيه، وهو هدّاف يوفنتوس الآن. قال رايولا:

- ما هذا الهراء؟

- أسلوب لعبهما مختلف، لن ينفع أن يلعبا معًا.

عندما يضع موجي فكرة في رأسه من الصعب إثنائه عنها، إلا أن رايولا رأى احتمالية أن يكون لكابيلو رأي مختلف. صحيح أن موجي هو الرئيس، ولكن لا أحد يعبث مع كابيلو أبدًا. بنظرة واحدة من كابيلو يركع أمامه أكبر نجوم العالم. اجتمع معه رايولا على العشاء في حضور موجي وسأله:

- هل فعلًا لا يمكن أن يلعب تريزيجيه وزلاتان معًا؟

- وما علاقة هذا بعشائنا؟

- موجي يقول إن أسلوب لعبهما مختلف، أليس كذلك يا لوسيانو؟

أومأ موجي.

- صحيح؟

- لا يهمني إذا ما كان صحيحًا أم لا، كل ما يدور داخل المستطيل الأخضر هو تخصصي أنا، أعطنا زلاتان فقط وسأعتني أنا بالباقي.

والآن سيُقام حفل لتوزيع جوائز كرة القدم في أمستردام، حصل ماكسويل على جائزة أفضل لاعب في الدوري، احتفلت به مع رايولا، ماكسويل يستحق بالفعل. إلا أن الاحتفال لم يكن كافيًا، فرايولا كان مشغول جدًّا بين مديري أياكس ويوفنتوس، وبين كل حينٍ وآخر تظهر مشكلات وعلامات استفهام. بدأتُ أفقدُ الأمل في الانتقال، كما أن سوق الانتقالات سيُغلق رسميًا بالغد مساءً.

عدتُ إلى دايمن ألعب (Evolution) أو (Call of Duty) على ما أذكر، لعبتان رائعتان تجعلانني أنسى كل شيء. إلا أن رايولا كان يتصل كل دقيقة، حقيبتي مجهزة وطائرة يوفنتوس الخاصة مستقرة في المطار بانتظاري.

واضح أن النادي يريدني بالفعل، إلا أن هناك خلافًا على السعر، كما أن إدارة أياكس تشعر أن العرض غير جديٍّ. ليس للطليان محامٍ في أمستردام، لذا فحاولت أنا الضغط على أياكس بنفسي. قلت لفان جال ورجاله:

– لن ألعب في أياكس مرة أخرى، انتهى أمري معكم.

لم يَجِدَّ جديد، أخذت أضغط على أزرار عصا التحكم بجهاز الإكس بوكس، جلست ألعب بينما ينهي رايولا الصفقة، كاد يجن جنونه أيضًا، لماذا لا يرسل موجي محاميًا إلى هولندا؟ ما هذا الأسلوب؟

قد يكون هذا جزءًا من اللعبة، اتصل رايولا بمحاميه الخاص وقال له: "أريدك حالًا في أمستردام!" جعله يتقمص دور محامي يوفنتوس، وبالفعل أدى المحامي دوره وبدأت الأمور في التحرك أسرع. اتصل بي رايولا وقال: "أريدك حالًا لإنهاء الصفقة، يجب أن تحضر شخصيًّا." رميت عصا التحكم وتوجهتُ مسرعًا إلى رايولا. وجدت الإدارة مجتمعة مع محامي رايولا، الكل مضغوط ومشحون تمامًا، ثم قال المحامي:

– ورقة واحدة متبقية على إنهاء الصفقة.

– لا وقت لدينا، علينا السفر الآن!

توجهنا بسرعة إلى طائرة يوفنتوس الخاصة. اتصلت بأبي وقلت له "الأمر عاجل، سأنتقل إلى يوفنتوس، هل تريد المجيء؟"

بالطبع أراد المجيء، فهذا حلم حياتي يتحقق أخيرًا، ومن الجيد أن أجد أبي إلى جواري. اتَّجه أبي مباشرةً إلى مطار كاستروب في كوبنهاجن ومنه إلى مطار ميلان فاستقبله رجل رايولا واتجه به إلى مكتب اتحاد كرة القدم الذي يشهد تسجيل جميع صفقات الانتقال.

وصل أبي قبلي، وجدته يرتدي أفضل بدلة عنده .. بصعوبةٍ تعرفتُ إليه:

- أبي؟

- زلاتان؟

عقارب الساعة تدقُّ، والوقت يكاد ينفد منا، الأخبار تنتشر والإشاعات أصبحت حقيقة. أوشك الوقت على الانتهاء وموجي يختلق المشكلات ويحاول تعطيل الأمر، والأسوأ من ذلك أن محاولاته نجحت. هبط سعري من 35 مليون يورو طلبها رايولا إلى 25 ثم 20 ثم انتهى بنا المطاب إلى 16 مليون يورو (أي ما يعادل 160 كورونا) وهو مبلغ ضخم فعلًا، ضعف المبلغ الذي انتقلت به إلى أياكس. ولكن المبلغ لا يشكل مشكلة ليوفنتوس، فقد باعوا زيدان إلى ريال مدريد بحوالي 70 مليون، واضح أن النادي يستطيع الإنفاق، وآخر المشكلات أن يوفنتوس لا يمتلك تأمينًا من البنك على المبلغ. لا بد أن هناك سببًا لهذا.

يوفنتوس نادٍ كبير وبالتأكيد لديهم تأمين على هذا المبلغ، ولكن لا شيء على الإطلاق حتى الآن، وأياكس رفض التوقيع على أي ورقة، والوقت يمرُّ. جلس موجي يدخن سيجارًا سميكًا ينظر إلى الأمور وهي تخضع لسيطرته، وفي الوقت نفسه كان رايولا إلى جواره يصرخ في وجه إدارة أياكس.

- إذا لم تُوقِّعوا على الأوراق فلن تحصلوا على المبلغ، لن تحصلوا على أي شيء، هل فهمتم؟ هل تظنون أن يوفنتوس سيتهرب من الدفع؟ يوفنتوس! هل أنتم مجانين .. إذا أردتم الخسارة تفضلوا اخسروا!

أراد رايولا أن يهدأ قليلًا، تلك الغرفة كان بها بعض الأشياء المتعلقة بكرة القدم، أمسك رايولا كرةً ولعب بها، أمرٌ جنوني حقًا، ماذا يفعل؟ كما أن الكرة طارت في الهواء وضربت رأس موجي وكتفه.

- توقَّف عن اللعب، الكرة تصيب الحاضرين.

– لا،سنلعب،وحاولوا اقتناص الكرة مني، هيا يا لوسيانو أرنا مهاراتك، هيا يا زلاتان أيها الكسول!

ضحك أبي كثيرًا، ماذا يفعل رايولا؟ يلعب بالكرة أمام رجل عظيم مثل موجي؟ إلا أن الأمور انتهت على ما يُرام، فإدارة أياكس لم تكن لتخسر هذا المبلغ بعد أن خسرتني أنا، ولذا وُقعت الأوراق في الدقائق الأخيرة. الساعة العاشرة الآن، ومن المفترض أن يغلق الاتحاد أبوابه في السابعة، ولكن تم الأمر بنجاح.. سألعب في إيطاليا، يا للجنون!

***

(12)

– إبرا، تعالَ هنا!

فابيو كابيلو، أنجح مدرب في أوروبا في العقد الأخير، ينادي عليّ. قلت لنفسي: "ماذا فعلت الآن؟" تذكرت كل مصائبي منذ نعومة أظفاري، فنظرة واحدة من كابيلو تجعل فرائصي ترتعد. يقول واين روني إن مجرد مرور فابيو كابيلو بجوارك يجعلك تشعر وكأنك ميت، وله كل ألقِ. اعتاد فابيو كابيلو أن يأخذ فنجان قهوته وقد يمر بجوارك دون أن يرمقك بنظرة، وهذا مصدر الخوف نفسه. أحيانًا يقول: "أهلًا"، وأحيانًا أخرى يختفي تمامًا وكأنك لم تَرَه.

قلتُ في البداية إن النجوم في إيطاليا لا يقفزون بمجرد أن المدرب يأمرهم بذلك، إلا أن هذا لا ينطبق على كابيلو. فالكل يلتزم بمكانه حسب أوامره، عليك أن تتهذب أمام كابيلو. سأله صحفي:

– كيف حصلت على كل هذا القدر من الاحترام؟

– أنت لا تحصل على الاحترام، بل تأخذه.

لن أنسى هذا الجواب ما حييت.

وعندما يغضب كابيلو لن تنظر في عينيه، وإذا منحك فرصة ولم تستغلها عليك إذًا أن تبيع السجق خارج أسوار النادي. لا يمكنك الذهاب إلى كابيلو لتحكي مشكلتك،

فهو ليس بصديقٍ لأحد. لا يتحدث إلى اللاعبين، إنه الرجل الحديدي، وليس من الطيب أبدًا أن يُناديك. وفي أحيانٍ أخرى لا تعرف ما إذا كان هذا نذير شؤم أم نذير خير، فكابيلو أحيانًا يكسرك كي يصلحك. أتذكر في مرة كنّا نتدرب على التمركز، وفجأة وجدته يصفّر ويقول لي:

– اخرج! اخرج من الملعب!

لم يفهم أحد السبب، فأردف:

– أنت بطيء جدًّا، ومقرف جدًّا.

كان يريدنا أن نبدو كالمقاتلين في اليوم التالي، أحببت هذا الأسلوب بالفعل لأن الحياة القاسية تروق لي. أحب الرجال الأقوياء كما أن كابيلو كان يؤمن بي ويقول:

– لا داعي لتثبت للناس من أنت، أعلمُ مَن أنت وما قدراتك.

هذا ما قاله لي في أولى أيامي باليوفي، منحني الثقة. مارستْ الكثير من الصحف ضغطًا عليّ وقالت إني أحرزتُ القليل من الأهداف ولا أستحق صفقة كهذه، وربما ظننت أني سأبقي حبيس مقاعد البدلاء، فهل يجد زلاتان مكانًا وسط هؤلاء النجوم؟ قالوا:

– هل زلاتان جاهز لإيطاليا؟

ردّ عليهم رايولا:

– هل إيطاليا جاهزة لزلاتان؟

كان ردًّا موفقًا من رايولا، يجب أن يرد الجميع بهذا المنطق. كنت أسأل نفسي دومًا: هل كنت سأنجح بدون رايولا؟ لا أظنُّ. لقد دخلت يوفنتوس كما دخلت أياكس، تحت ضغط وهجوم الصحافة. الكل مجنون بالكرة هنا في إيطاليا، في السويد الصحافة تتحدث عن الكرة يوم واحد فقط، أما هنا في إيطاليا فالكل يتكلم عن الكرة

طوال الأسبوع. الكل يشك فيك ويقيّمك ويصعّب عليك الأمور حتى قبل أن تعتاد هذا.

إلا أن رايولا في ظهري دائمًا، كنت أتصلُ به طوال الوقت. أياكس؟ مجرد مدرسة صغيرة مقارنةً بيوفنتوس. إذا أردت أن أحرز هدفًا في التدريبات ليس عليّ المرور من كانافارو وتورام فقط لأن من خلفهم يقف بوفون. لم يعاملني أحد بإحسان لأي شابٌ جديد في النادي، بل العكس تمامًا.

كان لكابيلو مساعد اسمه إيطالو جالبياتي. كان أكبر في السن، أطلقت عليه اسم "الرجل العجوز"، كان منسجمًا كثيرًا مع كابيلو. كابيلو يعطيك درسًا قاسيًا والرجل العجوز يعاملك برفق بعد ذلك. بعد أول جلسة تدريب أرسل كابيلو الرجل العجوز إليّ وقال: "جالبياتي، اجعل يوم هذا الشاب أسود!"

كان يحرّض اللاعبين على مضايقتي داخل المستطيل الأخضر، أقف داخل منطقة الجزاء لأحرز الأهداف، ولكن تنهال عليّ الكرات والتمريرات والضربات، ومطلوب مني أن أحرزها جميعًا، كان يقول:

– اضرب الكرات! اضرب أكثر! لا تتردد!

وفي مرات أخرى كنتُ أجدُ ديل بييرو وتريزيجيه يضغطان عليّ كذلك. حتى كابيلو كان يقول:

– سأخرج سموم أياكس من جسمك بالتدريبات!

– حسنًا بالتأكيد!

– لا أريد هذا الأسلوب الهولندي، لا أريد مهارات وتمريرات سريعة ومراوغات عبر كل لاعبي الفريق، أريد أهدافًا، هل فهمت؟ يجب أن أزرع فيك الأسلوب الإيطالي، يجب أن تكون قاتلًا.

أثّر في أسلوب كابيلو كثيرًا، فأنا أحب المهارات والمراوغات، تلك هي الأمور التي منحتني الشهرة، كان الجمهور يقول: "أوه! رائع!" وأسعد بتصفيقهم لمهاراتي، ولكن الآن مطلوب مني أن أصبح هدافًا أحرز الأهداف فقط، وكنت أرى هذا ضربًا من الغباء في البداية. إلا أني فهمت الأمر الآن، لا أحد يشكرك على مهاراتك ومراوغاتك إذا خسر فريقك. لا يأبه أحدهم إذا ما أحرزت هدفًا خياليًا ولم يفز فريقك. صرت مقاتلًا شيئًا فشيئًا. أتذكر دروس اللغة الإيطالية، لم يكن الأمر سهلًا. في أرضية الملعب الأمر سهل، فكرة القدم هي لغتي، ولكن خارج الملعب الأمر أصعب. عيّن النادي مدرسة لغة إيطالية لتعليمي. كان من المفترض أن أقابلها مرتين أسبوعيًا لتعلم النحو الإيطالي. نحو؟ هل عدت إلى المدرسة من جديد؟ كنت أقول لها: "احتفظي بالمال ولا داعي لتعليمي شيئًا، ولن أخبر رئيسك ولن أخبر أحدًا، ولكن ابقي بمنزلك وكأنك هنا وقمتِ بعملك، ولا تأخذي الأمر بصورة شخصية."

تعلمت الإيطالية من تلقاء نفسي من غرفة المنازل، فهمت العبارات العبارة تلو الأخرى. تعلمت بسرعة حتى أصابني الغرور وتحدثت بالإيطالية مع الصحفيين حتى لو كانت قواعدي النحوية خاطئة تمامًا.

أتذكر أولي مبارياتي مع يوفنتوس في الثاني عشر من سبتمبر أمام بريشيا. أجلسني كابيلو على مقاعد البدلاء. دخلت الملعب بدلًا من نيدفيد. لطالما كان نيدفيد صفقة رايولا المفضلة، اختيرَ أفضل لاعب في أوروبا العام الماضي، يدمن التدريبات. يركب العجلة مدة ساعة كاملة قبل التمرين، وبعد التمرين يركض مسافات طويلة. ليس لاعبًا يسهل تبديله. المهم أني نزلت الملعب ولا بد أن أتجنب كارثة ظهوري بشكل سيئ في أولي مبارياتي. ذهبت ناحية اليسار وقابلني مدافعان، الطريق يبدو مغلقًا، ولكني حصلت على الكرة ووضعتها في الشباك، صرخ الجمهور "إبراهيموفيتش! إبراهيموفيتش!"

بدأ الناس يلقبوني باسم "إبرا" وهو أمر بدأه موجي، حتى أن البعض كان يسميني "الفلامينجو" أحيانًا. كان طولي حينها 196سم ولكن وزني 84 كجم فقط، قال كابيلو:

– ألم تتدرب في الجيم من قبل؟

– مطلقًا.

لم أرفع أحمالًا من قبل، وكانت تلك فضيحة في نظر كابيلو. أمَرَ مدرب اللياقة البدنية أن يضغط عليّ في الجيم، ولأول مرة في حياتي بدأت أنتبه لما يدخل بطني، قلّلت من الباستا كيلا أُعاقَب عليها لاحقًا. تبدو كل الأمور أدق في يوفنتوس، اكتسبت بعض الوزن وصرت أثقل وأقوى. وصلت إلى 89 كجم كحدٍّ أقصى، شعرتُ أن وزني زائد فعلًا، والآن حان دور الركض بدلًا من رفع الأحمال. تحولت إلى لاعب أقوى وأثقل، كما تعلمتُ كيف أحترم النجوم الكبار. علمني كابيلو أنه من الخطأ أن أنأى بنفسي عن الفريق. كان يقول: "خذ مكانك بينهم!" وبالفعل حصلت على احترامي، اقتنصته منهم. وشيئًا فشيئًا صرتُ ما أنا عليه اليوم، اللاعب الذي يخرج غاضبًا من مباراة خاسرة ولا يجرؤ أحدهم على الاقتراب منه. أخفت الكثير من اللاعبين الصغار بصراخي وغضبي.

لم يخرج كابيلو أياكس مني فقط، بل جعلني اللاعب الذي يأتي للنادي ويطالب بالفوز بالدوري، خلق بداخلي العقلية الناجحة..غيّرني كوني لاعبَ كرة قدم.

إلا أني لم أصبح أهدأ، فكان هناك مدافع اسمه جوناثان زبينا لعب في روما تحت إمرة كابيلو وفاز بالسكوديتو مع روما في 2001. إلا أن زبينا كان يعاني مشكلات شخصية، لم يكن مرتاحًا في الفريق، كما أنه لعب بعدوانية في التدريبات، وفي مرة عرقلني بشدة، فقمتُ وألصقتُ وجهي بوجهه وقال:

– لو كنتَ تريد اللعب بقذارة فأخبرني، سألاعبك بقذارة أكبر!

نطحني فلم أرَ شيئًا إلا بعد أن لكمته وأسقطته أرضًا. والآن أتوقع أن يأتيني كابيلو ويصرخ في وجهي. إلا أن كابيلو وقف بعيدًا كلوح الثلج. الكل تساءل: "ماذا يحدث؟ ما هذا؟" ولكن قال كابيلو:

– إبرا، ماذا فعلتَ؟

ظننته غاضبًا للوهلة الأولى، ولكنه غمز بعينه، وكأنه يقول إن زبينا يستحق ما فعلته به. لم يكن كانافارو يحب زبينا أيضًا، ولكنه مثل تورام الخبيث الذي قال: "ماذا فعلت يا إبرا؟ لا تظهر هذا الغباء!" سمعت بعدها زمجرة كابيلو:

– توراااااااام! اخرس واغرب عن وجهي!

وفجأة تحوّل تورام إلى طفل صغير وخرج، وخرجتُ معه كذلك كي أهدأ قليلًا.

وبعد ساعتين وجدتُ شخصًا في غرفة التدليك يضع كيسًا من الثلج على وجهه، إنه زبينا! لا بد أني لكمته بقسوة. حصلنا على غرامة من موجي. لم يحرك كابيلو ساكنًا ولم يعترض، بل قال: "هذا لصالح الفريق!"

هكذا كان كابيلو، يرد دماءً على أرض الملعب، مسموح لك بالشجار وأن تنطح الآخرين كالثور، ولكن غير مسموح أبدًا بتحديه هو شخصيًّا أو عصيان أوامره. أذكر في مباراة دور الثمانية من دوري أبطال أوروبا أمام ليفربول، كنا متأخرين بهدفين، وفجأة غيّر تورام مركز أحد اللاعبين. وعندما وصلنا إلى غرفة تبديل الملابس جلسنا جميعًا إلا كابيلو الذي جاب الغرفة ذهابًا وإيابًا، وفجأة نظر إلى تورام وقال:

– مَن سمح لك بهذا؟

– لا أحد، ولكني وجدت هذا أفضل.

– مَن سمح لك بهذا؟

– وجدتُ هذا أفضل!

طرح كابيلو نفس السؤال ثالث مرة وحصلت على نفس الإجابة. انفجر كابيلو وقال:

– هل أمرتُك بهذا؟ مَن المسؤول هنا؟ أنا المسؤول، فهمتني؟ أنا مَن يحدد المراكز، فهمتني؟

رمى كابيلو طاولة التدليك علينا بكل قوة، وعندما يتصرف كابيلو بهذا الشكل لا يجرؤ أحد على النظر للأعلى. الكل يجلس مكانه وينظر إلى الأرض؛ تريزيجيه، وكانافارو، وبوفون، جميعهم. وفي شوط المباراة الثاني أدخلني كابيلو بدلًا من ديل بييرو، لم يجلس أي مدرب ديل بييرو على مقاعد البدلاء طوال الأعوام العشرة الماضية. فاز ديل بييرو بالدوري سبع مرات مع يوفنتوس وصار أهم لاعب في الفريق. كما أنه فاز بدوري أبطال أوروبا مع يوفنتوس، والإدارة تحبه كثيرًا. أي مدرب هذا الذي يُجلِس ديل بييرو على مقاعد البدلاء؟ إنه كابيلو! الرجل الذي لا يأبه بالتاريخ أو المكان. شعرت بضغط كبير نتيجة هذا التبديل، سمعت الجمهور يقول: "إبرا! إبرا!" وفي ديسمبر اختارني الجمهور أفضل لاعب في الفريق، وهذا أمر جلل.

أبدعت في إيطاليا، إلا أن الأمر صعب، في مرة تكون بطلًا، وفي مرة أخرى تصبح أسوأ لاعب. يُسأل المهاجم عن حسه التهديفي أمام المرمى، هل يمتلك هذا الحس أم يفتقر إليه؟ في فترةٍ ما لم أحرز هدفًا في خمس مباريات متتالية. أحرزت هدفًا واحدًا طوال ثلاثة شهور، ولا أعلم السبب. بدأ كابيلو يهاجمني ويقول: "لم ألمح ظلك طوال المباراة! لاعب لا قيمة له!"

– إبرا، تعالَ هنا!

عندما أُدعى إلى اجتماع يكون هذا مصدر قلق كبير لي، أقول لنفسي: "هل سرقتُ دراجة من جديد؟ هل ضربتُ أحدًا؟" وفي طريقي إلى الاجتماع أخذتُ أبحث عن أعذار لشيء لا أعرف ما هو. وصلت إلى كابيلو الذي لم يضع على جسمه إلا منشفة، كان قد أنهى حمامه للتو.

- اجلس!

- أنت تذكرني بلاعبٍ دربته في ميلان.

- أظنُّ أني أعرفه.

- فعلًا؟

- سمعت هذا مرات عدة.

- رائع، ولكن لا تغرّنك المقارنة. أنت لستَ فان باستن الجديد، أنت لك أسلوبك الخاص، وأظنُّ أنك أفضل، إلا أن تحركات فان باستن داخل الصندوق أفضل. هذا فيلم جمّعت فيه جميع أهدافه .. ذاكر تحركاته جيدًا واحفظها وتعلم منها.

خرج كابيلو وتركني وحيدًا، إنها أهداف فان باستن فعلًا، من كل ركنية ومن كل زاوية. تعلمت شيئًا جديدًا؛ يريدني كابيلو أن أحرز أهدافًا أكثر. يوفنتوس الآن على قمة الترتيب في الدوري مع ميلان، فارق الأهداف فقط هو ما يفصل بيننا، وعليه فإن إحراز الأهداف شيء ضروري. وبالفعل فعلتُ حتى وصلت إلى ثالث هدافي الدوري هذا الموسم، الأمور تجري على ما يُرام، إلا أن أمرًا ما سيحدث .. كارثة!

***

(13)

اشتدت المنافسة بين يوفنتوس وميلان على صدارة الدوري. أعيش الآن مع امرأة لأول مرة في حياتي، انشغلت هيلينا في عملها كثيرًا، بالنهار في شركة فلاي مي وبالليل بين المطعم والآخر، كما أنها تدرس وتسافر من مالمو وإليها. تعبت من ابتعادها عني، قلت لها: "يكفي هذا! انتقلي إلى هنا معي." وعلى الرغم من أهمية هذه الخطوة فإنها التقطت أنفاسها أخيرًا.

انتقلتُ من شقة إنزاجي إلى شقة أخرى رائعة في البناية نفسها بمنطقة بياتزا كاستيلو. تتمتع الشقة بسقفٍ عالٍ، وكأنها كنيسة، كما أن الطابق الأرضي للبناية عبارة عن مقهى، تعرّفتُ إلى العاملين هناك وصرنا أصدقاء. بدلًا من الأطفال كان لدينا هوفا، كلب سمين لعين، ولكنه لطيف. كنا نطلب ثلاث بيتزات، واحدة لي، وواحدة لهيلينا، وواحدة لهوفا الذي يلتهمها تمامًا من الداخل إلى الخارج ما عدا الحروف التي يلقيها في كل مكان، شكرًا يا هوفا! تحول هوفا إلى طفلنا السمين اللطيف.

ذهبنا إلى دبي في طائرة بدرجة رجال الأعمال في إحدى رحلاتنا الترفيهية. أنا وهيلينا نعلم جيدًا كيف نتأدب على متن الطائرة، ولكن الوضع مختلف مع أسرتي. استيقظ أخي الصغير على رغبته في شرب الويسكي ووالدتي تجلس قبالته. أمي امرأة رزينة، لكنها لا تحب من يعبث معها. لا تحب أن ترانا نحتسي الخمر، وخصوصًا بعد كل ما مررنا به. وجدتها تخلع حذاءها – لطالما كانت هذه طريقتها في تسوية النزاعات – ثم

ضربت به كيكي على أم رأسه. جُنَّ جنون كيكي فرد لها الصاع، اندلعت مشاجرة وقامت فوضى في درجة رجال الأعمال في السادسة صباحًا، نظرت إلى هيلينا .. أرادت أن تنشق الأرض وتبلعها.

عدنا إلى تورينو، اعتدتُ التدرب في العاشرة إلا ثلثًا حول الشقة، شممتُ رائحة دخان. أشعل شخص النار في بعض الزهور، تحتوي كل شقق البناية على مواقد للنار، وخارج شقتنا مباشرةً هناك أنبوب غاز في البلكونة، كان من الممكن أن ينتهي هذا الأمر بكارثة. ليتني فتحت الباب قبل ثلاثين ثانية، لكنت أمسكت بالوغد الذي فعل هذا وذبحته.

لم تعرف الشرطة من قام بهذه الفعلة، كما أن الأندية لم تكن تهتم باحتياطات الأمان حينها. دعنا لا نطِل في هذا الأمر، المهم أن في أيامي الأولى بتورينو زارني غبيان من صحيفة أفرونبلاديت. حينها كنت نزيلًا بفندق الميريديان، أرادت الصحيفة إصلاح العلاقة، ولكني لا أنسى.

وصلَ الرجلان إلى الفندق وكنتُ في غرفتي، نزلت لهما وقلت: "لن ينفع هذا الأمر!" قلتم عليّ إني أقوم بدعاية شخصية، ونشرتم تقريرًا شرطيًا يخصُّني، وقلتم: "عار عليك يا زلاتان!" وانتشر الأمر في كل ربوع البلاد. لم أقل: "مرحبًا" بل ارتسم الغضب على وجهي، أظنهما ارتعبا كثيرًا. ألقيت على رأسهما زجاجات المياه. قلت لهما: "لو كنتما من منطقتي لما نجوتما." لم تكن فترة سهلة، الكثير من الضغط ومشكلات الإعلام والجماهير والمدربين وإدارة النادي والزملاء والمال. صحيح أن لديَّ رايولا وهيلينا وأصدقائي في النادي، لكن هناك أشياء أخرى..سياراتي. منحتني سياراتي شعورًا بالحرية. حصلت على سيارتي فيراري إنزو في تلك الأثناء. حينما طلبت السيارة اجتمعت الإدارة بكامل أعضائها وقالوا: "زلاتان يريد فيراري إنزو!" تلك كانت أحدث سيارة فيراري حينها، ولم يُصنع منها إلا 390 سيارة فقط حول العالم، ظننت أنهم سيستكثرون الطلب، ولكنهم رأوا أني أستحقُّ.

- حسنًا، سنحضر لك فيراري إنزو!

- واو! يا لكم من إدارة!

- هذا إصدار قديم من فيراري، أليس كذلك؟

- لا، هذا أحدث إصداراتهم، صُنع منها 390 إصدارًا فقط.

- أظنُّ أن هناك مشكلة.

وبالفعل ظهرت المشكلة، لم يتبق في السوق إلا ثلاث سيارات تقاتل عليها قائمة انتظار طويلة، اتصلت الإدارة بمدير شركة فيراري، السيد لوكا دي مونتزيمولو، مهمة صعبة بالتأكيد ولكن ليست مستحيلة. أخذ مني الرجل وعدًا بألا أبيعها ما حييت أبدًا.

لا تحب هيلينا هذه السيارة، فهي مختلفة تمامًا عن ذوقها، عكسي تمامًا. بالنسبي لي رأيتها رائعة، مذهلة، وسريعة. جعلتني فيراري إنزو أشعر بأن عليّ أن أعمل بجدٍّ أكبر حتى أستحقها. قلتُ لنفسي: "إذا لم أعمل بجد فسأخسرها."

تثيرني السيارات أحيانًا، وفي أحيانٍ أخرى يكون الوشم أكبر إثارة لي، صرت مدمنًا على رسم الوشوم، أردت وشومًا جديدة طوال الوقت. لم أكن من محبي الوشوم في البداية، ظننتها ذوقًا سيئًا أو شيئًا من هذا القبيل. ولكن ساعدني أليكساندر أوستلوند على الإقبال عليها. كان أول وشم لي يحمل اسمي ووضعته أعلى خاصرتيّ من الخلف، لا يراه أحد إلا إذا خلعت ملابسي.

بعدها صرت أكثر جرأة وقلت لنفسي: "الرب فقط من يحاسبني." فلتكتب الصحافة ما تريد، فليصرخ الجمهور كما يريد، الرب فقط من يحاسبني. هذه المرة رسمت تنينًا عملًا بالأسطورة اليابانية التي ترى أن التنين رمز القتال، وأنا مقاتل.

كما حصلت على وشم سمكة الشبوط النهرية، وهي سمكة تسبح عكس التيار، ووشم آخر لبوذا يحمي صاحبه من المعاناة، ثم خمسة عناصر هي الماء والأرض والنار

وغيرها. كما منحت أسرتي وشومًا؛ الرجال على أذرعهم اليمنى، فاليمين يرمز للقوة، والنساء على أذرعهن اليسرى، فاليسار مكان القلب.

ركّزت في مشواري الرياضي، في العام الماضي حسم يوفنتوس الدوري مبكرًا في فصل الربيع تاركًا أندية الدوري كلها خلفه. ولكن هذا العام الأمر أشد تنافسية، يحتل يوفنتوس وميلان الصدارة بسبعين نقطة، وبالطبع الصحافة تكتب الكثير. والآن حانت مباراتنا مع ميلان في سان سيرو يوم 8 مايو. بدا الأمر وكأنه نهائي الدوري، أغلب المشجعين تفاءلوا بفوز ميلان، ليس فقط لأنه يلعب على أرضه، ولكن لأن مباراة الدور الأول في ديلي ألبي انتهت بتعادل سلبي بين الفريقين، ولكن السيطرة كانت من نصيب ميلان، كما أن الكثيرين يرون ميلان أفضل فريق في أوروبا حاليًا على الرغم من قوة يوفنتوس ونجومه، كما لم يكن وصول ميلان إلى نهائي دوري أبطال أوروبا هذا العام مستغربًا. الظروف كلها ضدنا، ولم تكن الأمور يسيرة بالنسبة لنا خصوصًا بعد مباراة إنتر ميلان التي لُعبت في 20 أبريل، بعد أيامٍ معدودات من إحرازي هاتريك في مرمى ليتشي، نلتُ إعجاب الجميع، وحذرني رايولا من أن الإنتر يضع كل تركيزه عليّ.

لطالما كانت هناك عداوة قديمة بين إنتر ميلان ويوفنتوس، وهذا العام بالذات يمتلك كل فريق منهما دفاعًا مرعبًا؛ فهناك مثلًا ماركو ماتيراتزي، أكثر مَن حصل على البطاقات الحمراء في الدوري الإيطالي. يُعرف بلعبه العنيف والقبيح، كما أنه أصبح مشهورًا أكثر بعد عامٍ فقط في حادثته الشهيرة مع زيدان بنهائي كأس العالم حين تلقى نطحة في صدره. ماتيراتزي لاعب مستفز وعنيف، كما يسمونه (الجزار) أحيانًا.

وعلى الناحية الأخرى هناك إيفان كوردوبا في الإنتر، مدافع قصير مكير، وهناك أيضًا سينيسا ميهالوفيتش الصربي، وهذه مشكلة، يبدو الأمر وكأنه حرب صربيا مجددًا. ولكن لا أهتمُّ بمثل هذا، ما يحدث داخل المستطيل الأخضر لا علاقة له لما يحدث خارجه، كما أني صرت صديقًا له بعد انتقالي إلى الإنتر، ولم أهتم أقط بأصول الآخرين وجنسياتهم. ولماذا أهتم؟ أبي بوسني، وأمي كرواتية، وأخي الصغير له أب صربي.

ولكن ميهالوفيتش لاعب عنيف جدًّا، وهو من أفضل من يلعب الضربات الحرة، كما أنه مستفز على طول الخط. نعت باتريك فييرا سابقًا بـــ"الأسود القبيح" وخضع لتحقيق شرطي واتهامات بالعنصرية. كما طُرد في مباراة أخرى لأنه بصق في وجه أدريان موتو الذي انضمَّ إلينا مؤخرًا. أُوقِفَ على إثر تلك الواقعة ثماني مباريات. لاعب عصبي جدًّا قد ينفجر في أي وقت كالقنبلة. يستغرب المشاهدون خارج الملعب هذه التصرفات، ولكن داخل المستطيل الأخضر هناك الكثير من اللكمات والضربات والشتائم كذلك، يشتمني البعض بأسرتي وشرفي كذلك، وأرد عليهم بمنتهى القوة. يجب أن تتصرف هكذا، لو لم ترد عليهم سيسحقونك. كما أني كنتُ أردُّ بأدائي المهاري أيضًا، وفي مرة قال روبرتو مانشيني: "إبراهيموفيتش ظاهرة! لو استمرَّ على هذا المستوى لن يوقفه أحدٌ."

تعرَّضت للكثير من الضرب في مباراة الإنتر، ففي الدقيقة الرابعة ضربَ رأسي رأس كوردوبا والعكس، شعرت بالصداع وسقطتُ على الأرض بينما نزف كوردوبا وحصل على بعض الغرز. عاد إلى الملعب مربوط الرأس، وبرغم هذا لم تهدأ الأمور، بل على العكس ازدادت جنونًا، ففي الدقيقة الثالثة عشرة سقطتُ أنا وميهالوفيتش على الأرض بعد اصطدامٍ عنيف.

لم نعلم ما حدث، ولكني وجدته يحرك رأسه ناحيتي ففعلتُ المثل وكأني أهدده بالنطح، ولكن صدقني هذا مجرد تهديد، لو نطحته لما نزل الملعب مجددًا. لم أحصل على بطاقة صفراء جراء هذه اللعبة، ولكن بعد دقيقة حصلت عليه إثر مشاجرة مع فافالي. كانت مباراة عنيفة سيئة، لكني لعبتُ جيدًا وشاركتُ في كل فرص يوفنتوس، ولكن حارس الإنتر فرانشيسكو تولدو لعب مباراة عظيمة، أنقذ المرمى أكثر من مرة. دخل مرمانا هدفٌ واحد أحرزه خوليو كروز برأسية. حاولنا العودة كثيرًا، اقتربَ الهدفُ ولكننا لم ننجح، كما أن الجوَّ مُلبَّدٌ بالعدائية والعنف.

أراد كوردوبا الانتقام مني فضرب فخذي وحصل على بطاقة صفراء. حاول ماتيراتزي استفزازي وألقى ميهالوفيتش الكثير من الشتائم كما عرقلني أكثر من مرة.

وفي الشوط الثاني حصلت على كرة ركلتها فجاءت قريبة من القائم، ثم حصلت على ضربة حرة تصدّى لها تولدو ببراعة. كانت النتيجة أننا ما زلنا متأخرين في بهدف ولم يتبقَّ من عمر المباراة إلا دقيقة، قابلني كوردوبا مجددًا والتصق بي، ضربته في ذقنه ولم يرَها الحكم الذي أطلق صافرة نهاية المباراة.. خسرنا! مباراة كادت تكلّفنا الدوري الإيطالي.

قررت لجنة التأديب إيقافي ثلاث مباريات لضربي كوردوبا، كانت كارثة كادت تغيّبني عن مباريات الدوري الحاسمة ومنها مباراة ميلان في الثامن من مايو. كان الأمر قاسيًا أن أبعد بهذا الشكل بالإضافة إلى أهميتي للفريق، استأنفت الإدارة ضد قرار لجنة التأديب واستعانت بالمحامي لويجي كيابيرو. كان كيابيرو مدافعًا عن يوفنتوس فيما سبق في تهمة تناول المنشطات، كما أنه قال للجنة التأديب إن لكمتي لم تكن موجهة لكوردوبا بل للكرة، كما استعان بقارئ شفاه ليفسّر شتائم ميهالوفيتش في حقي. دافع رايولا عني وقال: "ميهالوفيتش لا ينكر إهانته لزلاتان، إنه عنصري، وهذه ليست أول حادثة له." الكاميرات التي صوّرت لكمتي لكوردوبا جاءت من شركة ميدياسيت، شركة بيرلسكوني مالك ميلان، ولهذا وصلت الفيديوهات إلى لجنة التأديب بسرعة البرق.

لم يَجِدَّ جديدٌ، ثبتت العقوبة وحُرمت من مباراة ميلان الحاسمة. كان هذا الموسم موسمي وأردتُ أن أكون جزءًا من حسم الدوري. وبدلًا من ذلك سأجلسُ بين الجماهير أُشاهِدُ المباراة.

في إيطاليا شيء اسمه "التزام الصمت" أي يُمنع أي إداري أو لاعب من التحدث إلى الصحافة، وهو أمر فرضه يوفنتوس قبيل مباراة ميلان. الفريقان الآن متساويان بست

وسبعين نقطة في الصدارة. بيعت ثمانون ألف تذكرة، ميلان سيلعب على أرضه وأنا موقوف. زبينا وتاكيناردي مصابان، هذه ليست أفضل تشكيلة نلعب بها، بينما يلعب ميلان مدججًا بكامل نجومه؛ كافو ونيستا وستام ومالديني في الدفاع، كاكا في خط الوسط، وفيليبو إنزاجي وشيفشنكو في الهجوم.

أصابني التشاؤم، ولم يكن لطيفًا أن أقرأ في الصحف أن غلطتي قد تكلف يوفنتوس الدوري. قالوا: "عليه أن يتعلم كيف يهدأ ويحسن التصرف." انتشر هذا الكلام على لسان الجميع، ومنهم كابيلو نفسه.

في الدقيقة السابعة والعشرين من عمر المباراة وصلت الكرة إلى ديل بييرو الذي راوغ بها ناحية اليسار ثم أوقفه جاتوزو – رجل ميلان الذي لا يكل ولا يمل – وضرب الكرة حتى طارت في الهواء وحصل عليها مجددًا ثم مررها إلى دافيد تريزيجيه الذي تمركز داخل منطقة الجزاء أمام المرمى مباشرةً فوضعها في الشباك.

ضغط ميلان بشدة، وفي الدقيقة الحادية عشرة من الشوط الثاني وصلت الكرة إلى إنزاجي الذي كان بمفرده تمامًا فضرب الكرة ناحية المرمى فضربها بوفون وعادت إلى إنزاجي مجددًا وقبل أن يضعها في المرمى ظهر أمامه زامبروتا. انتهت المباراة لصالح يوفنتوس بهدف للاشيء. اقتربنا من حسم الدوري، وأخيرًا سألعب المباراة القادمة أمام بارما في 15 مايو في ملعبنا ديلي ألبي، كان الضغط عليّ كبيرًا جدًّا، ليس فقط لعودتي للملعب أخيرًا، ولكن لأن عشرًا من كبار صحف الرياضة في أوروبا صنفتني كثالث أفضل مهاجم في أوروبا بعد شيفشنكو ورونالدو، حتى ذهب البعض وقال إني سأحصل على جائزة الكرة الذهبية.

وضع كابيلو تريزيجيه في مقاعد الاحتياط وأنزلني الملعب على الرغم من إنجاز دافيد الأخير. توخيت الحذر، لا أريد عقوبات ولا أزمات أخرى. شعرت أن كل كاميرات

الملعب مُصوَّبة ناحيتي، نزلتُ الملعب وسمعت الجمهور "إبراهيموفيتش! إبراهيموفيتش! إبراهيموفيتش!"

أحرزنا هدفًا، وفي الدقيقة الثالثة والعشرين ضرب كامورانيزي ركلة حرة ارتطمت بالحائط ووصلت إليّ داخل الصندوق، لطالما لامني الناس على أني لا أحرز الأهداف برأسي رغم طولي.

والآن، وصلت لي الكرة داخل الصندوق فضربتها برأسي وأسكنتها الشباك. وقبل انتهاء المباراة بدقائق علمت أن ليتشي تعادل مع ميلان 2-2 ويبدو أن الدوري الإيطالي ينادينا.

لو هزمنا ليفورنو المباراة القادمة سنحسم الدوري! ولكن لم نضطر لهذا، فقد خسر ميلان أمام بارما 3-1، وفاز يوفنتوس بالدوري.

***

(14)

ظَلّ موجي على ما هو عليه، وحاز احترام الآخرين رغم ذلك، كما أني أحببتُ الحديث معه. كان يصلح الأمور ويتعامل بصورة مباشرة، كان قويًا ويفهم خبايا الأمور. وهذه أول مرة أفاوض فيها على عقدي، ولذا الأمر جدُّ مهم بالنسبة لي. أردتُ عقدًا أفضل، وفي الوقت نفسه لا أريد استفزازه، كما أني لا أريد أن أضخمه وأزيد من غروره.

وقف رايولا في صفي، فذهب المجنون وجلس على كرسي موجي مباشرةً ووضع حذاءه على مكتبه، قلتُ له:

- اللعنة! سيأتي الرجل حالًا، أرجوك لا تفسد الأمور!

- اخرس!

لم أتوقع رد فعل منه غير هذا، فرايولا يعرف كيف يتفاوض، هو بارع في هذا. ولكن ينتابني الفزع من فشل المفاوضات، وزاد فزعي أكثر عندما دخل موجي والسيجار في فمه.

- ما هذا؟ أتجلس على مكتبي؟

- اجلس كي نتكلم.

بالطبع كان رايولا يعلم كيف يتصرف، فهو يعرف موجي جيدًا. تحدثنا معًا بمنتهى السفالة، وحصلت في النهاية على وعدٍ بكتابة عقدٍ آخر. لو لعبت جيدًا وحافظت على مكانتي في الفريق سأصبح أغلى لاعبي الفريق. وعدني موجي ورضيتُ بوعده، ولكن بدأت المشكلات تباعًا، وحينها علمت أن خطأ ما يحدث.

في العام التالي انتقلت للعيش مع أدريان موتو في الفنادق والمعسكرات، لذا لا مجال للملل في حياتي. أدريان موتو لاعب روماني جاء إلى إيطاليا عام 2000، كما أنه يعرف الإيطالية وساعدني هذا كثيرًا. ولكن موتو يعشق الحفلات، عندما كان في تشيلسي كان يواظب على حفلاته، ولم ينفع الأمر معه. ثبت تعاطيه مخدر الكوكايين فتخلّص منه تشيلسي في الحال، وأُوقف عن اللعب. ولكن عندما انتقلت معه صار أكثر تأدبًا والتزامًا.

والآن انتقل باتريك فييرا إلى يوفنتوس، وهو لاعب صعب المراس، ولا أستغرب أني تشاجرت معه في أثناء التمرين. كان يجري بالكرة وحده فصحت: "أعطني الكرة اللعينة!" وحينها كان باتريك فييرا في أوج عطائه. كان قائد أرسنال وفاز بلقب الدوري الإنجليزي ثلاث مرات وحصل على بطولة أوروبا مع فرنسا، لاعب كبير بكل تأكيد، ولكني صحتُ في وجهه. كنتُ في مركزٍ مناسب للحصول على الكرة، قال لي:

- اخرس واجرِ!

- أعطني الكرة وسأخرس!

وفجأة وجدنا بعضنا البعض يقف قبالة الآخر، ففرّق الآخرون بيننا.

وإن دلّ هذا على شيء فإنه يدلُّ على أننا لاعبان كبيران، ولكن لا يجب أن تكون طيب القلب في هذه اللعبة. يعطي باتريك فييرا كل ما عنده في كل موقف، ويتحسن الفريق بالكامل لمجرد وجوده، من اللاعبين القلائل الذين أكنُّ لهم الاحترام. تخيل أن يكون من خلفي لاعبون مثل باتريك فييرا وبافل نيدفيد، سأبدأ موسمي الثاني مع يوفنتوس جيدًا.

في مباراتنا أمام روما حصلت على كرة من إيمرسون في نصف الملعب، لم أمررها، بل ضربتها بكعبي أعلى مدافع روما صامويل كافور ثم ركضتُ خلفها في ظل فراغ نصف ملعب روما من اللاعبين. جريتُ كالسهم وكافور من خلفي يحاول الإمساك بي، ولكن هيهات، حاول أيضًا جذبي من القميص، لكنه سقط أرضًا. خرج حارس مرمى روما في مواجهتي للحصول على الكرة من تحت قدميّ لكنه خرج متأخرًا لأني ضربتُ الكرة بالفعل ناحية المرمى، قلت للصحفيين بعد المباراة: "يا إلهي! يا له من هدف!" يبدو أنه سيكون عامًا مُذهلًا.

حصلتُ على الكرة الذهبية في السويد كأفضل لاعبٍ سويدي هذا العام. نظّمت صحيفة أفرونبلاديت الحدث، وأنا لم أنسَ ما فعلوا سابقًا. من المفترض أن تُقام بطولة الألعاب الأوليمبية في تورينو العام المقبل. الشوارع والأماكن تعجُّ بالصحفيين والمنظمين وغيرهم، هذا بخلاف الحفلات والمؤتمرات في كل مكان. كنتُ أخرج في بلكونتي مع هيلينا لنشاهد ما يحدث. قررنا أن نهدي لهذا العالم أطفالنا، ولكن هل كان قرارًا فعليًّا؟ لا أعلم، ولكن الصحيح أن تخطط لأمرٍ كبيرٍ كهذا. أحيانًا كنت نذهب إلى مالمو لزيارة أسرتي، باعت هيلينا مزرعتها وعشنا تقريبًا في بيت أمي.

ولكن هناك في إيطاليا ساءت الأمور، أصبحتُ ثقيل الوزن، وصلت إلى 98 كجم، والوزن الزائد ليس عضلات بالطبع. أحيانًا كنت آكل البيتزا مرتين يوميًّا، وهو شيء مبالغ فيه فعلًا. التزمت بحمية غذائية وتمريناتي البدنية، وبالفعل فقد بعض الوزن. ولكن هناك مشكلات أخرى .. مع موجي نفسه، لا أعلم لماذا، هل يلعب مكاني مثلًا؟

كنا على وشك التفاوض بشأن عقد جديد، ولكن موجي أجّل الموضوع، لطالما كان مخادعًا تمتلئ جعبته بالألاعيب. أخذ يسوّف الأمر كثيرًا؛ الأسبوع المقبل، الشهر المقبل، وهكذا. قلت لرايولا بمنتهى الغضب:

– اللعنة! دعنا نوقّع العقد الآن! لا مجال للمزيد من التسويف.

كان عقدي في البداية مناسبًا، ولكن حان وقت التجديد. سنوقع عقدًا جديدًا بعد مباراة بايرن ميونيخ في دوري أبطال أوروبا في تورينو. وفي المباراة قابلني مدافع ميونيخ اسمه فاليريان إسماعيل. التصق بي طوال المباراة، حتى جذبني أرضًا بطريقة سخيفة فضربته وحصلت على بطاقة صفراء، ولكن لم ينتهِ الأمر عند هذا الحد.

في الدقيقة التسعين كنتُ في منطقة الجزاء، النتيجة **2-1** لصالحنا والمباراة شبه منتهية، استفزني إسماعيل هذا فركلته وأسقطته أرضًا، حصلت على بطاقة صفراء ثانية وخرجتُ. صرخ كابيلو في وجهي، لم يكن من الأمر بُدٌّ، فالمباراة على وشك الانتهاء ولا لزوم لتصرف مثل هذا. من المعتاد أن يعطيني كابيلو درسًا بعد تصرفٍ كهذا.

لكنَّ موجي من تكلّم معي وقال: "كيف تتصرف هكذا؟" وقال لي إني ضيعتُ فرصة التوقيع على عقد جديد. اشتعلتُ غضبًا، هل يضيع عقدي الجديد لمجرد خطأ وحيد؟ قلت لرايولا:

– قل لموجي إني لن أوقّع على عقد آخر مهما تكن المغريات .. أريد الرحيل!

– فكّر قبل أن تتكلم ..

فكّرت ورفضت، وهذا يعني نشوب حرب. ذهب رايولا إلى موجي وقال له: "احذر منه، إنه عنيد ومجنون. ستخاطر بخسارته." وبعد أسبوعين ظهر موجي ومعه عقد جديد، لم يرغب في خسارتي، ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد. حدد رايولا موعد الاجتماع، أجّل موجي وخرج ببعض الأعذار، قال إنه سيسافر. قال لي رايولا:

– شيء ما غير مفهوم!

– ماذا تقصد؟ ماذا؟

– موجي يتصرف بغرابة!

لم يكن رايولا الوحيد الذي لمس هذا، فهناك شيء غريب يحدث، ولم يكن الأمر متعلقًا بلابو إلكان حفيد جياني أنيلي، قابلته أكثر من مرة، إلا أني لا أعرفه جيدًا. رجل

يعيش في كوكب وحده، شابٌ لعوب وموديل مشهور، لا علاقة له بإدارة يوفنتوس لا من قريب ولا من بعيد. موجي وجيراودو هما من كانا يسيّران الأمور في النادي لا المُلّاك أنفسهم. ولكن يبقى الشاب رمزًا للنادي ولشركة فيات كذلك .. حتى صارت فضيحته على كل لسان.

تناول لابو إلكان جرعة زائدة من مخدر الكوكايين، الأمر الذي زاد الطين بلّة أنه لم يتعاطَ منفردًا، بل كان معه بعض العاهرات المتحولات جنسيًا في إحدى شقق تورينو. حُمل حملًا إلى المستشفى ودخل في غيبوبة. انتشر الخبر في الصحافة وأبدى ديل بييرو ولاعبون آخرون تعاطفهم ودعمهم، فالأمر لا يتعلق بكرة القدم الآن. إلا أن هذا الأمر سبّب كارثة للنادي.

من الواضح أن موجي كان على علمٍ بهذا، وبدأت الشرطة التحقيق معه قبل الحادث بكثير. الأمر واضح جدًا، فمثل تلك التحقيقات تلاحق النادي منذ فضيحة تناول المنشطات القديمة التي نجا منها يوفنتوس. وفي مراتٍ أخرى كان موجي ينتقي الحكّام "الجيدين" ليديروا مباريات يوفنتوس، إلا أن هذا الأمر مشكوك فيه. عندما تفوز يحاول الآخرون التقليل من شأن فوزك، وهذا ما حصل مع يوفنتوس. يقول الناس إن الحكّام كانوا يجاملوننا! تعسًا لهم! لقد قاتلنا لنفوز بالدوري. لقد ضحّينا بأقدامنا ولم يكن الحكام في صفنا، وأنا بالذات لا أحتاج للحكّام، لو عبث لاعبٌ معي سأضربه حتى يطير في الهواء .. لديّ جسمي وطريقة لعبي يدافعان عني.

لم أكن صديقًا لحكمٍ من قبل، ولا أي لاعب في يوفنتوس. فنحن الأفضل والكل يريد إفشالنا. كما أن التحقيق نفسه كان مثار شَكٍّ، كان هناك رجل اسمه جودو روسي مُقرَّبٌ جدًا من إنتر، وفجأة صار إنترميلان خارج التحقيقات.

عوقب يوفنتوس بصحبة ميلان ولاتسيو وفيورنتينا واتحاد الحكّام أيضًا، والأسوأ من ذلك أن هاتف موجي كان دليل إدانةٍ ضدنا، ولكن ليس بالدليل القوي.

بدا أن موجي كان يضغط على رئيس لجنة التحكيم بإيطاليا للحصول على حكّام "جيدين" في مباريات يوفنتوس، وبإمكانك أن ترى موجي يصرخ في وجوههم عندما يسيئون التصرف، على سبيل المثال كان هناك حكم اسمه فانديل، كان حكمًا في مباراة ديورجاردن. كما قيل أيضًا أن النادي يهدد الحكام في غرف تبديل الملابس، وخصوصًا بعد خسارتنا أمام ريجينا في نوفمبر 2004. وفي تلك الأثناء كان بابا الفاتيكان في حالة احتضار، فلن تُلعب مباريات عندما يموت. حزنت البلاد لرحيله، ورغم الحداد تواصل موجي مع وزير الداخلية من أجل استمرار الدوري لأن النادي الذي سنواجهه كان يعاني حينها إصابة اثنين من لاعبيه وإيقاف اثنين آخرين، ولا يمكن تفويت هذا.

سُميت هذه الفضيحة باسم "فضيحة موجي"، وبالطبع زُجَّ باسمي، فلا يمكن أن يُترك أفضل لاعبي الفريق هكذا. قيل إن موجي تحدث عن مشاجرتي مع فان ديرفارت وقالت الصحافة إن موجي قال إني تصرفت جيدًا بضربي فان ديرفارت للخروج من أياكس. كما قالوا أيضًا إن موجي شجعني على هذا للخروج من أياكس، يبدو كتصرفٍ يقدم عليه موجي ويقدم عليه إبراهيموفيتش كذلك. إلا أن هذا محضُ هراء! المشاجرة كانت لشيءٍ بيني وبين فان ديرفارت لا أكثر ولا أقل.

وفي صباح التاسع عشر من مايو تلقيت اتصالًا هاتفيًا. كنت مع هيلينا في مونت كارلو مع ألكساندر أوستلوند وأسرته، وعلمت من خلال المكالمة أن الشرطة على بابنا. أرادت الشرطة قدومي معهم، حتى أنهم فتشوا الشقة. ذهبنا إلى تورينو والشرطة في كل مكان، قلتُ في قرارة نفسي إنهم أناس أشراف يعملون بجدٍّ، إلا أن الوضع غير جيد على الإطلاق. أخذوا يفتشون ويحققون في مستحقاتي مع يوفنتوس، وكأني لصٌّ أو نصّابٌ، ثم سألوني عمّا إذا كانت هذه الأموال غير معلومة المصدر؟ فقلت "بالطبع لا!" ثم أتبعت:

– أهذا ما تبحثون عنه؟

أعطيتهم أوراقي البنكية وكذلك أوراق هيلينا، شكرونا وقالوا إنهم يحبون أسلوب لعبي. استقبال موجي وإدارته، كان أمرًا عجيبًا.

وفي اليوم التالي انهارت أسهم يوفنتوس في بورصة ميلانو، ثم عقد النادي اجتماع أزمة في صالة الجيم، لن أنسى هذا اليوم قط. قَدِمَ موجي هادئًا بملابسه الأنيقة، ولكنه موجي غير الذي نعهده. في تلك الأثناء كانت الصحف تتناول أخبار فضيحة ابنه، وأمور عن خيانته الزوجية وهكذا. قلّل موجي من أهمية الأخبار واتفقت معه، هذه أمور شخصية لا علاقة لها بكرة القدم.

وفجأة انخرط موجي في البكاء، لم أرَه بهذا الانكسار قط. لطالما كان هذا الرجل مسيطرًا ومتحكمًا بكل شيء، ولكن الآن؟ كيف أصوغها؟ لطالما كان رئيسي وسوّف مسألة العقد الجديد كثيرًا، والآن رغم كل شيء أشعر بالتعاطف معه. انقلبت الظروف رأسًا على عقب. يصعب عليّ أن أرى رجلًا في قوة موجي ينكسر هكذا، وحينها علمت أن لا شيء يبقى إلى الأبد، علمت حينها لِمَ كان يؤجل مفاوضاتنا، ولِمَ كان يسوّف توقيع العقد الجديد، هل كان يحميني؟

بدأت أصدّق هذا، لا أعلم! ولكني اخترتُ أن أصدق هذا. علم موجي حينها أن يوفنتوس لن يعود كما كان، وسأخسر كل شيء لو ارتبط اسمي بيوفنتوس أكثر من هذا. ربما لا يكون موجي من الرجال الحذرين، ولكنه رجل ماهر في صنعته، وكان يعتني بلاعبيه، ولولاه لانتهت مسيرتي الرياضية. هكذا أرى لوسيانو موجي، ولو اتهمه العالم كله سأقف في صَفّه .. أحببت لوسيانو موجي!

يوفنتوس الآن كالسفينة الغارقة، والأخبار تتوارد باحتمالية هبوط يوفنتوس إلى الدرجة الثانية أو حتى الثالثة. وصلت الأمور لحد الجنون. ولكني لا أفهم ما يدور حولي، نحو من بنينا يوفنتوس وحملنا أعمدته على أكتافنا وفزنا بالدوري الإيطالي موسمي

2005-204 و2005-2006، والآن سنخسر كل شيء لمجرد خطأ لا علاقة له بالمستطيل الأخضر. تذكرت تلك المكالمة من أليسيو سيكو، مديري السابق. قال لي:

- لدينا تمرين غدًا .. كن هناك في الموعد.

كان يكلمني بهذا الشكل، والآن صار مديرًا، يا له من أمر مقيت! ولكن الرجل في المكالمة الأولى قال:

- لديّ عرض من أجلك يا زلاتان .. اقبل العرض، هذه نصيحتي.

كان هذا آخر شيء توقعت سماعه، وبعدها صارت الأمور أصعب. رحل اللاعبون اللاعب تلو الآخر؛ ذهب تورام وزامبروتا إلى برشلونة، وذهب كانافارو وإيمرسون إلى ريال مدريد، وذهب باتريك فييرا إلى إنتر ميلان، وكل مَن تبقى كان يتصل بوكيله يقول:

- نريد الانتقال! نريد الانتقال! ما خياراتنا؟

تمكّن اليأس من الجميع، ولم أسمع من الآخرين ما سمعته من سيكو، والنادي الآن يحاول النجاة بحياته. حاولت الإدارة جاهدةً أن تحافظ على ما تبقّى من لاعبين واستغلال كل ثغرة في عقودنا. كان الأمر أشبه بكابوس! أنا الآن في أوج عطائي، هل سينهار كل شيء فجأة؟ هل سأضحي بسنة من عمري في الدرجة الثانية؟ ومَن يضمن أنها سنة واحدة؟ قد تكون أكثر، وحتى لو سنة واحدة سنضطر للحرمان سنة أخرى من دوري أبطال أوروبا، وقد لا نكون فريقًا عظيمًا حينها. هل سأخاطر بأهم سنين حياتي؟ قلت لرايولا بعدها:

- افعل ما بوسعك .. أخرجني من هنا!

- أنا أعمل على هذا.

- حسنًا.

حملت هيلينا ومن المفترض أن تضع مولودنا في سبتمبر 2006، وما زلتُ في حالة من عدم الاستقرار، ماذا سيحدث؟ انتقلت إلى معسكر المنتخب القومي للإعداد لكأس العالم في ألمانيا هذا العام. وفي الرابع عشر من يوليو صدر الحكم النهائي في إيطاليا: حرمان يوفنتوس آخرَ لقبي دوري، حرمان يوفنتوس اللعبَ في دوري أبطال أوروبا، وفوق كل هذا هبوط يوفنتوس إلى الدرجة الثانية، وخصم عدد من النقاط من رصيد النادي في الدوري.

***

(15)

لعبنا مباراة دولية منذ عام في سبتمبر **2005** أمام المجر في التصفيات المؤهلة لكأس العالم على ملعب بوشكاش في العاصمة بودابست. كان من الضروري أن نفوز لو أردنا التأهل، بدأ الضغط علينا مبكرًا قبل المباراة بأيام. كنتُ متعبًا وبعيدًا عن لياقتي البدنية، وكادت المباراة تنتهي بتعادل سلبي، مباراة مملة انتظر الجمهور صافرة نهايتها.

أعطتني بعض الصحف تقييم **1** من **10**، خيّبت ظن الجميع، وعاد البعض ليقولوا: إن زلاتان مجرد لاعب مُبالَغٌ في الحديث عنه، ولكن عندما حصلت على تمريرة داخل الصندوق من ماتياس جونسون على ما أظن، عطّلني مدافع المجر، فراوغت بالكرة ولكن اضطررتُ للخروج من الصندوق دون أي فعالية، ولكن دخلتُ الصندوق مرة أخرى فجأة، حتى وصلت إلى مكانٍ أستطيع التصويب من خلاله، لم يكن مكانًا جيدًا بدرجةٍ كافية. الزاوية ضيقة جدًا والحارس متمركز ببراعة، الكل توقّعَ تمريرة مني.

ولكن بعض الأهداف تُحرز من هذه الزاوية المستحيلة، وضعت الكرة في الشباك ولم يتحرك الحارس قيد أنملة، فوجئ الجمهور وفوجئ ألوف ميلبرج وظنوا أن الكرة لم تعانق الشباك، ولكنهم وجدوها بالفعل داخل المرمى، جريت خلف المرمى وصاح الجمهور. دخلت الكرة من زاوية مستحيلة ولم يجد الحارس فرصة لصدّها، أطلق الحكّم صافرته بعدها، ولم أحصل على تقييم **1** من **10**.

عُدّتْ مباراة حاسمة فعلًا وتأهلنا إلى كأس العالم رسميًا، وكم تمنيت أن نحقق نجاحًا هناك. شعرت بالتفاؤل في معسكرنا بألمانيا على الرغم من الفوضى التي تركتُها في يوفنتوس. استقال تومي سودربرج من تدريب المنتخب وخلفه في منصبة رولاند أندرسون الذي قال لي من قبل: "زلاتان، لم يعد بالإمكان أن تلعب مثل الصغار." إنه الرجل الذي أهلني من مرحلة الشباب إلى مرحلة الاحتراف، لم أرَه منذ إقالته. ونِعْمَ ما صنعت يا رولاند! رأيت أني أستحقُّ فعلًا. الأجواء هنا في ألمانيا رائعة، كما يحيطُ بنا الكثير من الداعمين والمشجعين يقولون: "لا أحد يصوّب مثل زلاتان، نحبك يا زلاتان."

كنت وحيدًا حينها، فوضى كبيرة تعم أرجاء البيت، أمي لن تحضر، وأبي لن يحضر، وأخي كيكي لا يملك المال الكافي، كما أن هيلينا في شهرها السابع من الحمل. ولكن فجأة تغير كل شيء، وصاروا هنا في ألمانيا، اشتريتُ لهم جميع التذاكر، ولكن ما زالت الفوضى عارمة، كنت كمرشد سياحي بالنسبة لهم، يتصلون بي طوال الوقت، أنا في خضم كأس عالم! كما يجب أن أهتم بمسألة إيجار السيارات لأسرتي، شعرت بتعبٍ في معدتي. سنلعب مباراتنا الأولى أمام ترينداد وتوباجو، يجب أن نفوز، وبأكثر من هدف؛ ثلاثة أو أربعة أو خمسة على الأقل. ولكن لم يحدث ذلك، حارسهم لعب مباراة عمره، ولم نحرز هدفًا حتى عندما طُرد أحد لاعبيهم. الشيء الإيجابي الوحيد في هذه المباراة أني قابلتُ مدربهم .. اسمه ليو بينهاكر.

كان من المذهل أن أقابل بينهاكر مجددًا. هناك اسمان آمنا بي حينما أعطاني الجميع ظهره؛ رولاند أندرسون وليو بينهاكر. لديَّ صورة مع بينهاكر بعد المباراة وأنا أخلع قميصي على الرغم من تعادلنا المخيب للآمال. تعادلنا في المباراة الثانية أمام إنجلترا، وهي نتيجة جيدة. ولكن ألمانيا دمرتنا تمامًا في دور الـ16، وكان مستواي سيئًا تمامًا. كان اللوم كله من نصيبي. تعلّمتُ درسًا مهمًّا حينها؛ أسرتك هي أسرتك، ولكن لا تسافر بهم وتصبح مرشدهم السياحي. قلتُ لهم حينها: "مرحبًا بكم معي في أي مكان، وسأوفر لكم كل شيء، ولكن عندما تستقرون اعتنوا بمشكلاتكم بأنفسكم."

عدتُ إلى تورينو، لم تعد كما كانت. صارت المدينة التي يجب أن أرحل عنها، ولم يتحسن الوضع في النادي نفسه. كما أن هناك كارثة أخرى. لطالما كان جيانلوكا بيسوتو مدافعًا في يوفنتوس منذ عام 1995. حصل على كل البطولات مع يوفنتوس، وحمل تاريخ يوفنتوس على كتفيه. أعرفه جيدًا، فقد لعبنا معًا لعامين كاملين، ولم يكن من النوع المغرور. كان حساسًا وطيبًا، ولكن ما حدث بعدها لا أفهمه على الإطلاق.

اعتزل كرة القدم وصار مديرًا رياضيًّا بعد أليسيو سيكو الذي ترقى لمرتبة مدير، وبالتأكيد صعب عليه أن يعمل في مكتب بعدما كان لاعبًا. أثّرت فضيحة المقامرة والهبوط إلى الدرجة الثانية فيه كثيرًا، كما عانى بعض المشكلات في أسرته.

وفي أحد الأيام وجدته جالسًا في مكتبه في الطابق الرابع كالمعتاد. توجّه نحو نافذه مكتبه ومسبحته في يده، وفجأة ألقى نفسه من النافذة من ارتفاع 15 مترًا وسقط على أرضية أسفلتية. نجا بأعجوبة! استيقظ في المستشفى ببعض الكسور ونزيف داخلي، فرح الناس بعودته، ولكن رأى البعض محاولته الانتحار أمرًا مقلقًا. كان يسألون أنفسهم: "تُرى من سيُجنُّ بعده؟"

عمّ اليأس ربوع النادي، ثم جاء رئيس جديد اسمه جيوفاني كوبولي جيجلي، قال: "لن نسمح بخروج المزيد من اللاعبين. ستقاتل الإدارة للحفاظ على كل لاعب." وبالطبع تحدثت مع رايولا في هذا الخصوص. تحدثنا كثيرًا واتفقنا على أن نرد. تحدث رايولا إلى الصحافة وقال:

– مستعدون لاتخاذ أي إجراء قانوني للخروج من هذا النادي.

لم نُرِدْ أن نبدو كالضعفاء، لو أراد يوفنتوس الضغط، فسنضغط أيضًا. ولكنها ليست بالحرب الهيّنة. تحدّثت إلى أليسيو سيكو الذي أراد أن يكون موجي الجديد، فكان رده مختلفًا:

– عليك أن تبقى في النادي، فنحن نحتاج إليك، عليك أنت تبدي بعض الولاء للنادي.

– ولكنك قلت العكس قبل المصيبة، قلت إني يجب أن أستفيد من الفرص.

– ولكن الوضع مختلف الآن .. نحن في وسط أزمة، وسنقدم لك عقدًا جديدًا.

– لن أبقى في النادي تحت أي ظروف.

ازداد الضغط يوميًا وعلى مدار الساعة، ولم يكن الوضع جيدًا بالطبع. حاربت بكل ما أوتيت من سُبلٍ؛ مستعينًا برايولا، وبالقانون، وبكل شيء. ما زلتُ أحصل على مستحقاتي من النادي، وسألتُ نفسي: "إلى متى سيستمر هذا الوضع؟" أخبرتُ رايولا بهذا أيضًا.

قررنا أني سأتدرب مع الفريق، ولكن لن تمسَّ قدماي المستطيل الأخضر. أكّد لي رايولا أن هناك ثغرة في العقد تسمح لي بهذا. ولذا ذهبتُ مع الفريق إلى معسكرنا التدريبي قبل انطلاق الموسم. لم يكن اللاعبون الإيطاليون قد عادوا من المنتخب بعد، إنهم في ألمانيا، حصلوا على كأس العالم بنهاية المطاف. أبدوا بأسًا شديدًا على الرغم من الفضائح التي لاحقتهم في إيطاليا. هنّأتهم بالفوز، ولكن لم يساعدني هذا. سيدرب الفريق هذا الموسم ديديه ديتشامب، كان لاعبًا فرنسيًا قديمًا. وكان قائدًا لمنتخب فرنسا حينما حازوا كأس العالم عام 1998، والآن مهمته إعادة يوفنتوس إلى الدرجة الأولى مجددًا. وقع الرجل تحت ضغطٍ هائل. وفي اليوم التدريبي الأول جاءني وقال:

– إبرا!

– نعم؟

– أريد أن يكون لعبنا مُنصبًا عليك، فأنت أهمُّ لاعبي الفريق، أنت المستقبل، عليك أن تساعدنا.

– شكرًا، ولكن ..

– لا تقل "لكن"، عليك أن تبقى، ولن أقبل بغير هذا.

وبرغم عدم رضائي عمّا يعرضه، فقدْ شعرتُ بأهميتي عنده، لكني استمررتُ في خطتي:

– لا، لا، سأرحل.

زاملني بافل نيدفيد في غرفتي، كنا صديقين، وكذلك نشترك في كون رايولا وكيلنا. ولكن لكلٍ منّا موقفه. آثر نيدفيد البقاء في يوفنتوس شأنه شأن ديل بييرو وبوفون وتريزيجيه. قال ديتشامب:

– اسمع، أرى مستقبلك رائعًا يا إبرا! أنت السبب الرئيسي وراء قبولي لهذا المنصب.

– كفى كذبًا، أنت قبلت المنصب من أجل النادي لا من أجل إبراهيموفيتش.

– أعدك لو رحلت سأرحلُ أنا الآخر.

ارتسمت ابتسامتي على شفتيّ رغمًا عني.

– هيا يا رجل، أحضر حقائبك ودعنا نحضر لك تاكسي.

ضحك ديتشامب .. ظنّ أني أمازِحُه.

ولكني لم أكن أمزح، لو كان يوفنتوس يقاتل من أجل أن يبقى ناديًا كبيرًا، فأنا أيضًا أقاتل كي أبقى لاعبًا كبيرًا. عامٌ إضافي في إيطاليا سيجعل مسيرتي الكروية تتوقف. وفي يوم جاءني أليسيو سيكو وجون كلود بلان الذي تخرج في جامعة هارفارد وحصل على هذه الفرصة لينقذ النادي بثقة من الإدارة، كما أن الرجل دقيق جدًا في عمله. أحضر أوراقه وكتب عرضًا للتجديد للنادي بأكثر من مبلغ، قلت في قرارة نفسي: "لا تقرأ الورق، كلما أبديت رغبتك في الرحيل لانَ جانِبُهم."

– لا أريد قراءة هذا الورق، لن أوقّع على شيء.

- أرجوك انظر فقط ما نقدمه لك .. نحن كريمون جدًا.

- لماذا؟ لن يؤدي ذلك إلى شيء.

- لن تعرف هذا قبل أن تقرأ.

- حتى لو عرضتم عليّ عشرين مليون يورو فلن أوقع.

- هذا عدم احترام وتقدير منك.

- سَمِّه ما شئتَ.

شعرتُ أني جرحتُ كرامته، واستعددتُ لأسوأ السيناريوهات، قد أُصبحُ بلا نادٍ في سبتمبر. والآن صار لزامًا أن أغامر بكل شيء، لعبتُ كأس عالمٍ سيئ، وحتى الموسم الماضي لم أؤدِّ جيدًا مع يوفنتوس، كان وزني أثقل وأحرزتُ القليل من الأهداف، وقبل عامٍ فقط كنتُ رائعًا وحصلت على جائزة أفضل لاعب أجنبي في الدوري. لا بد أن فريقًا ما مهتمٌّ بالتعاقد معي، وكان رايولا يؤدي هذه المهمة خلف الستار.

قال رايولا في البداية "لديّ عرضان من إنتر وميلان." وبرغم من حسن الخبر فقد كان مجرد كلام. في تلك الفترة لم أعلم بوضعي حسب العقود، وكذلك يوفنتوس. كيف سأخرج من النادي لو رفضوا؟ ولكن رايولا كان متفائلًا، فتلك وظيفته، وما عليّ إلا الانتظار والقتال. علمت الصحافة أني أريد الرحيل بأي ثمن، والآن جاءت أخبار أن إنتر وميلان يريدانني. وجدت البعض ينتظرونني خارج النادي ويصرخون: "أيها الخنزير الخائن!"

قررتُ ألّا ألعبَ أي مباراة، أذهبُ إلى التدريب فقط، وفي يوم جاءني ديتشامب وصرخ:

- لماذا تجلس هنا؟ نحن مغادرون.

لم أرد عليه.

– ألا تسمعني؟

– سأتدرب فقط، لن ألعب .. قلت لك هذا عشر مرات.

– بالطبع ستلعب، أنت جزء من الفريق .. والآن قم وتعالَ معنا.

بقيت مكاني ساكنًا.

– أي احترامٍ هذا الذي تبديه؟ تجلس ونحن نحتاجك؟ ستُعاقب على هذا، أتسمعني؟

– حسنًا.

– حسنًا ماذا؟

– عاقبني .. ولكن لن ألعب!

غادر ديتشامب غاضبًا .. عوقبت بخصم ثلاثين ألف يورو، صارت حربًا رسمية، وفي الحرب التكتيك أهم شيء، تُرى كيف سأردُّ لهم الصاع صاعين؟ فكّرت ثم فكّرت.

زارني مسؤولون سرًا أثناء المعسكر؛ منهم أريل برايدا، أحد كبار مسؤولي ميلان. خرجْت خلسةً وقابلته في فندقٍ قريب، وتحدثنا عن كيف سأكون جزءًا من ميلان. ولكن الحق يُقال إني لم أعجب بأسلوبه. كأنه يقول: "كاكا نجم في ميلان، وبإمكاننا أن نجعلك نجمًا مثله." كما لو أني أحتاج ميلان أكثر مما يحتاجني، ولم أشعر بتقدير منه، فسلّمت عليه ومشيتُ. أردتُ الرحيل عن يوفنتوس بأي طريقة، ولا يجب أن أعود إلى تورينو خالي الوفاض دون عروضٍ.

اشتدَّ الحر في أغسطس، كما اشتد حمل هيلينا هو الآخر، بدت متوترة من أثر المصورين الذين لاحقونا في كل مكان، ولكني دعّمتُها بكل ما أستطيع. لا أعلم شيئًا عن المستقبل، لا شيء سهل على الإطلاق. يستخدم يوفنتوس مرفق تدريب جديدًا، فأي شيء له علاقة بموجي يجب التخلص منه تمامًا، حتى خزانته القديمة. عدتُ إلى التدريبات مُصرًا على وجهة نظري، ولكن الوضع صار غريبًا، لم يعد أحد يريني جزءًا

من الفريق، واستمرّت الدراما. لم يعد يوفنتوس يقاتل من أجلي مثلما سبق. أي نادٍ هذا الذي يتمسك بلاعبٍ لا يكترث ويلعب البلاي ستيشن فقط؟

السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو إنتر أم ميلان؟ الخيار سهل، فإنتر لم يفز بالدوري منذ سبعة عشر عامًا، لم يكن قط فريقًا كبيرًا، أما ميلان فهو أحد كبار أوروبا. قال رايولا: "بالطبع ستذهب إلى ميلان." ولم أجد إجابة مؤكدة، فإنتر كان فريق رونالدو السابق، كما أنهم أبدوا رغبة حقيقية في التعاقد معي، وما زلت أذكر جملة برايدا حينما قال: "لستُ نجمًا حقيقيًا بعد." صحيح أن ميلان الفريق الأقوى، لكني أميل ناحية إنتر. قال رايولا:

- حسنًا، لكن اعلم أن إنتر ميلان سيمثل لك تحديًا مختلفًا تمامًا .. لن تحصل على الدوري بسهولة هناك.

ولكني لا أريد أي شيء بسهولة، أريد التحدي وتحمل المسؤولية. كبرت مشاعري بسرعة، واقتنعتُ بأن الفريق الذي لم يفز بالدوري سبعة عشر عامًا قد يحصل عليه معي. ولكن أولًا يجب أن أنجو بنفسي من السفينة الغارقة .. يوفنتوس.

سيلعب ميلان مباراة تأهيلية لدوري أبطال أوروبا نتيجةً لعقوبة فضيحة الدوري الإيطالي، وخصوصًا بعد خصم نقاط من رصيد ميلان الموسم المنصرم، لذا فالمباراة أمام ريد ستار بلغراد. لُعبت مباراة الذهاب في ميلان، وهي مباراة مهمة جدًا بالنسبة لي أيضًا، فلو تأهل ميلان سيحصل على مالٍ إضافي لشراء لاعبين، وقد قال لي أدريانو جالياني، نائب رئيس ميلان:

- سننتظر لنرى نتيجة ما يحدث، ثم سنعود إليك.

وفي تلك الأثناء كان إنتر ميلان أكثر جدية، ولكن الأمر ليس باليسير. كان مالك إنتر حينها ماسيمو موراتي، أحد كبار تجّار النفط. وبالطبع لاحظ مدى اليأس الذي

وصلتُ إليه. وفي الثامن من أغسطس كنتُ في شقتي في تورينو بينما كانت مباراة ميلان وريد ستار تُلعب في التاسعة إلا ربعًا، ولكن لم أشاهدها. علمتُ أن كاكا صنع هدفًا أحرزه إنزاجي في وقتٍ مبكر من المباراة. وفي تلك الأثناء رنّ جرس هاتفي، كان يرنُّ طوال الوقت، وفي أغلب الأحيان يكون رايولا المتصل ليطلعني على الجديد كله. أخبرني أن سيلفيو بيرلسكوني يريد مقابلتي، فجفلتُ بالطبع، ليس لأنه بيرلسكوني فقط، ولكن لأن هذا يعني أن النادي يُبدي اهتمامًا جديًّا بالتعاقد معي. إلا أني لستُ متأكدًا، فإنتر ميلان خياري الأول، ولكن لا ضير من الحديث.

– هل بإمكاننا الاطلاع على عرضهم؟

– طبعًا!

اتصل رايولا بموراتي وقال له:

– أردنا أن نخبرك أن إبراهيموفيتش على موعدٍ مع بيرلسكوني بشأن ميلان.

– ماذا؟

– حجزوا طاولة بالفعل في مطعم جيانينو.

– سأرسل أحد رجالي الآن.

أرسل موراتي رجلًا اسمه ماركو برانكا، المدير الرياضي لإنتر ميلان. شابٌّ يافع نحيف، ولكن عندما وصل عرفتُ عنه شيئًا آخر .. كان مدخنًا شرهًا. قمتُ من مكاني وعدتُ إليه بعد قليل ووجدتُ مطفأة السجائر ممتلئة عن آخرها. بدا أن الرجل متوتر، فهو مُكلّف بالوصول إلى اتفاق معي قبل أن يفوز بيرلسكوني بالصفقة. يعلم رايولا أنه عندما يتعرض شخص لضغط كبير يصبح أكثر ليونة في التعامل .. استمر برانكا في التدخين.

– هل تقبل العرض؟

نظرت إلى رايولا وقال:

– وافقْ إذًا.

– حسنًا، طبعًا.

ازداد تدخين برانكا واتصل بموراتي وقال له بمنتهى الحماسة:

– وافقَ زلاتان!

لم تستتبّ الأمور بعد، لا بد من التفاوض على السعر، ولكن كم السعر؟ لا بد أن يوفنتوس سيطلب رقمًا جيدًا ليوافق على بيعي. ولكن قبل أن تستتب الأمور اتصل موراتي وسألني:

– سعيد؟

– أجل، سعيد.

وصلت قيمة الصفقة إلى سبعة وعشرين مليونًا، أكبر صفقة في الدوري الإيطالي هذا العام .. أعلن رايولا عن الصفقة.

***

(16)

لعبنا مباراة دولية أمام لاتفيا وفزنا بهدف وحيد أحرزه كيم كالستروم، وفي اليوم التالي أخذنا إجازة. كان الثالث من سبتمبر، احتفل ألوف ميلبرج بعيد ميلاده التاسع والعشرين، كان قائد أستون فيلا حينها. تعرفت إليه في المنتخب، كان هادئًا جدًّا في البداية، يشبه تريزيجيه في هذا. ولكنه بدأ ينفتح وأصبحنا صديقين، والآن يريد مني الخروج معه بصحبة كيبين ونحتفل معًا، ولِمَ لا؟

ذهبنا إلى مكانٍ ما في جوتنبرج به جدار مليء بالصور، ثم دخلنا ناديًا ليليًّا، كان شبه شاغر لا أحد فيه غيرنا تقريبًا. جلسنا معًا وتناولنا بعض المشروبات في سلام. من المفترض أن نكون في الفندق بحلول الحادية عشرة مساءً بناءً على تعليمات إدارة المنتخب. ولكن قلنا لا يجب أن نهتم إلى هذا القدر، خرجنا من قبل وسهرنا بالخارج دون أن يعلم أحدٌ، كما أن هذا عيد ميلاد ميلبرج، ولم نسكر أو نُسِئ أدبَنا. وبحلول الثانية عشرة والثلث عُدنا إلى الفندق ونمنا في أسرتنا. هذا كل شيء، لم يحدث أكثر من هذا صدقني.

حدثَ أمرٌ واحد فقط، خرجتُ لشراء الحليب دون بطاقتي وأوراقي. اعتدتُ أن يراقبني ويتبعني الجواسيس في كل مكان، يرسل البعض رسائل نصية ويلتقطون صورًا مثل "رأيت زلاتان!" وهكذا، ولكي تزيد الأمور حماسةً يجب أن تضيف بعض التوابل إلى كلامك، ولكن هذه المرة لعبتها الصحف بذكاء.

اتصلت صحيفة بمدير المنتخب وسألت عن القوانين فقال لهم من المفترض أن يكون اللاعبون في أسِرَّتهم بحلول الحادية عشرة مساءً. قالت الصحف: "ولكن زلاتان وكيبين وميلبرج وصلوا متأخرين." نتمتع بمدير منتخب طيب القلب يدافع عنّا كثيرًا، ولكن هذه المرة لم يتصرف بذكاء، ومن يتصرف بذكاء دومًا؟

ولكن لو كان ذكيًا لكان تصرف مثلما تتصرف الفريق الإيطالية، كان من المفترض أن يقول للصحف سأتصل بكم لاحقًا، وحينها يحصل على فهم كامل لوصولنا متأخرين بعض الشيء، ثم يعود لهم ويقول إنه قد سمح لنا بهذا بدلًا من أن يقول أننا سنُعاقب. تقول القاعدة إننا مجموعة واحدة، فريق واحد، بالإمكان معاقبتنا في حدود الفريق كما يشاؤون، ولكن ليس خارجه.

ولكن مدير المنتخب قال من المفترض ألا يبقى أيُّ لاعب بالخارج بعد الحادية عشرة، ولذا فإننا خالفنا القوانين. ومنذ تلك اللحظة اشتعلت النيران. اتصلوا بي صباحًا: "لديك استدعاء لمقابلة لاجرباك." لا أحبُّ الاجتماعات واللقاءات، ولكن لديَّ خبرة قديمة في هذا. استُدعيتُ حتى وأنا في المدرسة، تلك كانت حياتي. سألتُ أحد رجال الأمن:

– كيف الأمر؟

– أظنُّ أنك ستأخذ حقيبتك وترحل.

لم أفهم، لِمَ قد أرحل بسبب تأخري قليلًا؟ رفضتُ تصديق هذا. إلا أني قبلتُ بالأمر وبالفعل أخذتُ حقيبتي، ولم أضطر لتبرير ما فعلته، فالوضع سخيف. دخلتُ إلى لاجرباك ووجدت هناك كيبين وميلبرج، لم يكونا بحالٍ جيد، لم يكونا معتادين هذا على عكسي. قال لاجرباك:

– قررنا رحيلكم في التو واللحظة، ما قولكم؟

قال كيبين:

- آسف .. هذا تصرف غبي جدًّا مني.

وقال ميلبرج:

- أنا أيضًا آسف .. ولكن ماذا ستقولون للإعلام؟

جلست أستمع إلى حديثهم عن الإعلام في هدوء، ليس لديّ ما أقوله، وربما رأى لاجرباك هذا غريبًا، لم يَعْتَدْ هذا الخجل مني، فقال:

- وماذا عنك يا زلاتان؟ ما قولك؟

- ليس لديّ أقوال.

- ماذا تعني؟

- أعني أني ليس لديّ أقوال.

ظهر الغضب على وجهه، ربما كان من الأفضل بالنسبة لي على الأقل أن أبدو مغرورًا كعادتي. ولكن صمتي المفاجئ مثّل شيئًا جديدًا لهم، واستغرقوا في التفكير فيما يخطط له زلاتان، وكلما ازداد تفكيرهم ازدادت راحتي. أعطاني لاجرباك درسًا مطولًا عن القوانين واللوائح والتعليمات، ولكني لم أهتم، سمعته يتكلم كثيرًا وأنا لا أكترثُ ألبتة. لكن جملة واحدة أصابتني بالضيق عندما قال:

- قرّرنا ألا تلعب مباراة ليختنشتاين.

الأمر ليس متعلقًا بالحرمان، فقط أعددتُ حقيبتي بالفعل، ولا تهمني هذه المباراة، فمن ليختنشتاين هؤلاء؟ كل ما ضايقني هو كلمة "قرّرنا". لماذا يستخدم صيغة الجمع ويختبئ خلف الآخرين؟ إنه المسؤول الوحيد هنا، من المفترض أن يقول: "قررتُ ألا تلعب"، يا له من تصرف جبان منه! نظرتُ إليه بغضبٍ ولم أقل شيئًا. ذهبت إلى غرفتي واتصلت بكيكي، في مواقف كهذه تحتاج إلى أسرتك.

- تعالَ وخذني.

- ماذا فعلتَ؟

- تأخرتُ.

وقبل رحيلي تحدثتُ إلى مدير المنتخب الذي تربطني به علاقة طيبة. كان يعرفني أكثر مما يعرفني شخصٌ آخر في المنتخب، وكذلك عرف خلفيتي وطبيعتي. كما يعلم أني لا أنسى بسهولة، قال لي:

- زلاتان! أنا لستُ قلقًا بشأن كيبين وميلبرج، هما لاعبان سويديان عاديان، سيقبلان بالعقوبة ويعودان، ولكنك يا زلاتان.. أشعر أن لاجرباك يحفر قبره بيده.

- سنرى.

وفي غضون ساعة واحدة كنتُ قد تركتُ الفندق، ركبتُ السيارة ومعي أخي كيكي وكيبين وصديقٌ آخر، توقفنا لدى محطة الوقود، ثم قرأنا عناوين الأخبار مصادفةً.

انقلبت الدنيا رأسًا على عقب وازداد الأمر سوءًا. بقيتُ على اتصال طوال الوقت مع كيكي وكيبين، كنت كأبٍ لهما، فأقول:

- لا تحزنا يا شباب، ستمرُّ هذه الأيام، لا أحد يحبُّ الشخص المطيع.

ولكن ازداد ضيقي من الأمر، واضح أن لاجرباك حوّلها إلى معركة، أمرٌ سخيف. منذ فترة ليست بالبعيدة كنتُ في مشاجرة مع رجل في ميلان اسمه أوجوتشي أونيو. سأخبرك لاحقًا عنه، كانت مشاجرة عنيفة فعلًا، لا أحد يحبُّ المشاجرات، ولكن الإدارة حينها وقفت في صفّي وأثنت على حماستي. عودةً إلى لاجرباك، اجتمعت الإدارة وقال الرجل:

- لقد نسيتُ ما حدث .. مرحبًا بعودتك!

- أنا؟ ولكني لن أعود. كان بإمكانك فرض عقوبة، كان بإمكانك فعل أي شيء، ولكن بدلًا من ذلك توجهتَ إلى الإعلام وأسأتَ إلينا .. وأنا لا أقْبَلُ هذا.

قلتُ لا للمنتخب الوطني، وحاولت نسيان الموضوع، إلا أنه يقفز إلى ذاكرتي من حين لآخر. ما أثار حفيظتي بالفعل أن ما فعلته لا يتطلب إخراجي من المنتخب، ليتني فعلتُ أمرًا فاضحًا أكثر! ماذا حدث؟ جلستُ في مكان وأخذت مشروبًا واحدًا وعدتُ متأخرًا ساعة واحدة، وماذا في ذلك؟ كان من المفترض أن أُحطِّم الحانة أو أكسر سيارة أو أعود إلى المعسكر خالعًا سروالي. ولكن ما حدث لم يكن فضيحة تناسبني .. شيء غير مفهوم.

أنت لا تطلب الاحترام، بل تحصل عليه. من السهل أن تكون صغيرًا عندما تنتقل إلى فريقٍ جديد. فكل شيء يصبح جديدًا بالنسبة لك، ولكلٍّ دوره وموقعه وطريقة كلامه. السهل أن تلين وتعتاد الأجواء، ولكن بهذه الطريقة ستخسر روح المبادرة، ستخسر الوقت كذلك. قَدِمْتُ إلى إنتر ميلان كي أصنع الفارق وأساعد النادي على الفوز بالدوري لأول مرة منذ سبعة عشر عامًا. ولمثل هذا الهدف لا يجب أن تصبح خجولًا أو حريصًا لأن الإعلام سيصبُّ جامَّ انتقاداته عليك. سيقولون: "زلاتان المشاغب!" وسيقولون أيضًا: "زلاتان العصبي!" من اليسير أن تتأثر بكل هذا وأن تحاول إثبات العكس، ولكنك ستكون طوع أمرهم حينها.

لسوء الحظ انتشرت أخبار ما حصل في جوتنبرج في الصحافة الإيطالية، قيل إن زلاتان لا يعبأ بالقوانين، كما أن ثمنه مرتفع جدًّا. قيل إن زلاتان مُبالَغ في الحديث عنه، قيل إن زلاتان مشاغب، والأسوأ من ذلك أن خبيرًا سويديًّا قال "لطالما رأيت إنتر يعقد صفقات غريبة، يتعاقد مع لاعبين مختلفين، والأدهى من ذلك أنهم اشتروا مشكلةً جديدة."

ولكني تذكّرت كلمات كابيلو الذي قال: "أنت لا تطلب الاحترام، بل تحصل عليه." والآن عليّ اعتياد الأمر، لو سمع أحدهم أي شيء عنك عليك المضي قُدُمًا لا العودة إلى الوراء، وهو نفس ما فعلته في يوفنتوس، قلتُ حينها "هيا يا رجال، زلاتان جاءكم وحان وقت الانتصار."

لطالما كانت عقلية الفوز تتملكني، كنتُ أصرخُ في الجميع عندما لا يؤدون جيدًا، وأصرخ أكثر عندما خسرنا أو قدمنا مباراة سيئة، حتى في حياتي الشخصية أنا الزعيم. رأيت هذا في عيون الآخرين، أصبحت هذا الشخص الآن، وسأدفعهم إلى الأمام دومًا. يلعب باتريك فييرا إلى جواري مرة أخرى، وهو لاعب يجعلك تُقدِّم الكثير. نحن لاعبان يطمعان في الفوز دومًا، وسنفعل كل شيء كي نحفِّز الآخرين.

ولكن للفريق مشكلات؛ فموراتي رئيس النادي مثلًا أنفق أكثر من ثلاثمائة مليون يورو على اللاعبين، استثمر في لاعبين مثل رونالدو ومايكون وكريسبو وكريستيان فييري وفيجو وباجيو. ولكن الرجل طيب جدًّا، وكريم جدًّا، قد يعطينا مكافآت ضخمة بعد الفوز في مباراة واحدة، وبالطبع كان لديَّ ردُّ فعل على هذا. ليس لأني أكره المكافآت، فمن يكره المكافآت؟ ولكن موراتي كان ينفق المال بعد مباريات ليست بالمهمة إطلاقًا. موراتي سليل أسرةٍ ثرية، وهو يملك السلطة والمال معًا، ولكنه يظل شخصًا سهل المنال، فقلت له:

- أنت!

- نعم يا إبرا؟

- اهدأ قليلًا!

- ماذا تقصد؟

- فيما يخص المكافآت، قد يغرُّ هذا اللاعبين، وفوزٌ واحد لا شيء على الإطلاق، أعطنا مكافأة بعد الفوز بالدوري لا بعد كل مباراة.

اقتنع موراتي وتوقف عن سياسته. ولكن لا تُسِئْ فهمي، لا أظنُّ أني أقدر على إدارة النادي أفضل من موراتي، على الإطلاق. ولكن عندما رأيتُ شيئًا يؤثر بالسلب في تحفيز اللاعبين أشرتُ إليه فقط، ولكن مسألة المكافآت شيء صغير مقارنةً بالمسائل الأخرى. التحدي الأكبر هو التحالفات. ضايقني هذا الأمر منذ اليوم الأول، ليس فقط لأني من

روزنجارد والبقية من أماكن مختلفة كالأتراك والصوماليين واليوغسلافيين والعرب، ولكن لأني رأيتُ هذا الأمر جليًا في عالم كرة القدم. في أياكس ويوفنتوس تصبح الأمور أفضل عندما يكون الفريق كله متحدًا، ولكن في إنتر ميلان كان الأمر مغايرًا تمامًا، فالبرازيليون في جانب، والأرجنتينيون في جانب، وبقيتنا في جانب.

يؤثر هذا الأمر سلبًا في تحفيز اللاعبين وروح الفريق. أمرٌ كهذا قد يقضي على الفريق تمامًا، وعندما وصلتُ رأيت هذا أهم ما قد يدمّر الفريق، ولكن الكلام فقط لا يكفي.

ذهبتُ إلى اللاعبين وقلتُ لهم: "ما هذه السخافة؟ لماذا تجلسون في جماعات كالأطفال الصغار؟" واتفق معي الكثيرون بالطبع، والآخرون أصابهم الإحراج، ولكن لم يتغير شيء. ولهذا السبب توجهتُ إلى موراتي مجددًا وهذه المرة كنتُ واضحًا تمامًا:

– لم يفز إنتر ميلان بالدوري منذ سنين طويلة، هل يستمر الوضع هكذا؟ هل سنظل فشلة لأن الآخرين لا يتكلمون مع بعضهم البعض؟

– بالطبع لا.

– إذًا فعلينا كسر كل تلك التحالفات .. لن نفوز بالدوري إن لم نكن كالبنيان المرصوص.

لا أظن أن موراتي كان يعلم بمدى سوء الوضع، ولكنه فهم مقصدي وكان جزءًا من فلسفته فقال:

– يجب أن نكون كأسرةٍ كبيرة في إنتر، سأتحدث معهم.

ولم يمر وقت طويل حتى وجدته يتحدث مع اللاعبين، علمت حينها مدى احترام اللاعبين له.

موراتي هو إنتر ميلان، يملكنا جميعًا. تحدث قليلًا بحماسة عن الاتحاد والكل ينظر إليّ، يعرفون أن هذه الكلمات نبعت مني. أغلبهم كان متأكدًا أن الكلام صادر مني أنا، ولكني لا آبهُ، أريدُ فقط للفريق أن يبقى مُتَّحدًا وأن تتحسن الأوضاع شيئًا فشيئًا. انكسرت التحالفات ودأب الكل على التعاون معًا.

صِرنا أكثر تعطشًا وقويت لُحمتنا، ذهبت للاعبين أتحدث معهم وأحثُّهم على التكاتُف، ولكن لا يعني هذا أننا سنفوز بالدوري بهذه البساطة. ستُقام مباراتنا أمام فيورنتينا في فلورنسا. نحن في عام 2006، وواضح أن فيورنتينا يريد هزيمة إنتر بأي ثمن، وخصوصًا بعد أن تورطوا في الفضيحة وبدؤوا الدوري بخصم خمس عشرة نقطة، كما أن الجمهور في ملعب أرتيميو فرانكي شديد الكراهية.

نجا إنتر من الفضيحة، ولم يعجب هذا الكثيرين. كلانا يريد الفوز، فيرونتينا يريد استعادة شرفه، ونحن نريد اكتساب الاحترام كي نحصل على الدوري.

بدأت المباراة إلى جوار هيرنان كريسبو في الهجوم. كريسبو لاعب أرجنتيني قدم من تشيلسي، وحصلنا على بداية جيدة معًا. وفي الشوط الثاني حصلتُ على تمريرة طويلة في منطقة الجزاء فضربتها بسرعة داخل المرمى، يا لها من انطلاقة! أبدعتُ في مباراتي الأولى وما تلاها من مباريات، وفعلًا كان لديَّ كل الحق في أن أرفض اللعب للمنتخب في التصفيات المؤهلة لليورو أمام إسبانيا وأيسلندا. أردتُ استثمار وقتي بين إنتر ميلان وأسرتي. كنتُ أعدُّ الأيام مع هيلينا انتظارًا لمولودنا الأول، ثم قررنا أن يُولد في السويد بمستشفى لوندز. ثقتنا بالخدمات الطبية السويدية أكبر،رغم بعض المشكلات التي حسبناها.

تتلخص هذه المشكلات في الإعلام والمصورين والهيستيريا التي يخلقونها. استعنَّا بفريق أمني وأخطرنا إدارة المستشفى بضرورة إغلاق جناح الولادة علينا. غير مسموح بدخول أي شخص غير معروف لنا. أما بالخارج فدوريات الشرطة لا تتوقف، هذا

بخلاف التوتر الذي عشناه. الرائحة هنا مميزة، الكل يجري في الطرقات، تسمع صراخًا وأصوات نساء. هل قلت لك إني أكره المستشفيات؟ أنا أكره المستشفيات. أشعر أني أفضل عندما يكون الآخرون بخير. لو مرض الآخرون من حولي أمرضُ كذلك، والعكس صحيح. ليس لديّ تفسير واضح، ولكني لا أرتاح في المستشفيات، شيء متعلق بالجو والأجواء، وأغلب الوقت أحاول الهروب بقدر الإمكان.

ولكني قررتُ أن أبقى وأكون جزءًا من كل شيء، وهو ما وتّرني. حصلت على برقيات من جميع أنحاء العالم، لم أفتح معظمها، فلا يمكنني الرد على كل هذا. ولكن أحيانًا لا تستطيع هيلينا المقاومة، وفي تلك الأثناء كنا نسمع أخبارًا وقصصًا مرعبة، مثل طفل مات بعد شهر من ولادته. من الصعب جدًّا أن تحافظ على خصوصيتك مع أول مولود، الكل يحاول نقل الأخبار، وخصوصًا لو وَقَعَ مكروهٌ.

ظننت أن مكروهًا سيقع، ولكن كل شيء على ما يُرام، امتلأت بالسعادة والفرح، رُزقت بطفل وأصبحت أبًا، حتى الأطباء والممرضات كانوا سعداء للغاية. ولكن لم تنته الدراما عند هذا الحد.

أسميتُ المولود ماكسيميليان، لا أعرف من أين أتينا بهذا الاسم، لكنه بدا قويًّا، كما أن اسم إبراهيموفيتش له قوته الخاصة، تخيل اسم ماكسيميليان إبراهيموفيتش، منتهى القوة. اسم جميل وقوي، لكننا استقررنا على ماكسي في النهاية، وهو اسم جميل أيضًا. خرجت من المستشفى سريعًا وعلى الباب كان الصحفيون في انتظاري. وضع أحد رجال الأمن معطف طبيب عليّ، الدكتور إبراهيموفيتش! خرجت في سلّة غسيل كبيرة ومزعجة، جلست بداخلها القرفصاء حتى وصلت إلى الجراج وارتديت ملابسي وانطلقتُ إلى إيطاليا .. خدعتُهم جميعًا!

لم تتمكن هيلينا من الفرار مثلي، كما أن الأمر ليس يسيرًا عليها إطلاقًا. كانت ولادة عسيرة ولم تَعتَدْ هيلينا مثل هذا الضغط والترصد الإعلامي. صحيح أنا معتاد ذلك تمامًا، ولكن هيلينا على العكس تمامًا، تم تهريبها مع ماكسي إلى بيت أمي في

سفجرستورب عبر أكثر من سيارة. اعتقدتُ أنها ستلتقط أنفاسها هناك، ولكن كم كنّا ساذجين! لم يمر أكثر من ساعة حتى حاصر الصحفيون البيت، شعرت هيلينا بالحصار والضغط فسافرت إلى ميلانو.

كنتُ بالفعل في ميلانو أستعدُّ لمباراة كييفو في سان سيرو. سأبدأ بديلًا، لم أنمْ بدرجة كافية، ولذا رأى روبترو مانشيني مدرب الفريق أنه من الأفضل إراحتي لافتقادي للتركيز، وهو قرار حكيم فعلًا. نظرتُ إلى المستطيل الأخضر ثم الجمهور، رفع ألتراس إنتر ميلان المخلصون راية كبيرة مكتوبًا عليها بالأسود والأزرق: "مرحبًا ماكسي!" قلت لنفسي: "من ماكسي هذا؟ هل تعاقدنا مع لاعب اسمه ماكسي؟"

فهمتُ حينها أنهم يقصدون ماكسي ابني، جمهور إنتر يرحب بمولودي الجديد. يا له من شعور جميل! أردتُ البكاء. لا يمكن العبث بمثل هذا الجمهور، فهو جمهور قوي وأردتُ التشاجُرَ قبل هذا، ولكن الآن لا يمكن. هذه هي إيطاليا في أبهى صورها، هنا عشق كرة القدم والأطفال. على الفور أخرجتُ هاتفي وصوّرت اللافتة وأرسلتها إلى هيلينا. ما زالت هيلينا تدمع عيناها عندما تتذكّر هذا الموقف.. سان سيرو يرسل لنا باقات الحب.

اقتنيتُ كلبًا أسميناه تروستور. صارت لديّ الآن أسرة حقيقية، هيلينا وماكسي وتروستور. في تلك الأثناء كنت ألعب الإكس بوكس طوال الوقت، أدمنته تمامًا، صار كالمخدرات، لا يمكنني الإقلاع عنه. كنتُ أضع ماكسي على حجري وألعب. عشنا جميعًا في فندق في ميلانو انتظارًا لشقة مناسبة، وعندما اتصلتُ بالاستقبال طلبًا للطعام شعرتُ أننا مللناهم وهم ملّونا. انتقلنا إلى فندق آخر اسمه نهاو في فيا تورتونا، وهو فندق أفضل، ولكن حالتنا ما زالت فوضوية.

صار كل شيءٍ جديدًا علينا بعد قدوم ماكسي، لاحظنا أنه يتقيّأ كثيرًا ولا يكتسب وزنًا، بل صار أنحف. لا أنا ولا هيلينا نعلمُ ما يحدث، ربما هذا الوضع الطبيعي، البعض قالوا إن الأطفال يفقدون وزنًا بعد مولدهم، وهذا شيء غريب، أليس كذلك؟ ولكن يبقى تقيؤه سميكًا وشكله غريبًا.

كان يتقيّأ طوال الوقت، هل هذا طبيعي؟ لا نعرف. اتصلت بأسرتي وأصدقائي وطمأنني الجميع، وبالفعل لا أريد تفسيرات أخرى غير هذا.

ماكسي مولودي الأول، ماذا قد يحدث؟ ولكن القلق لم يذهب عنّا، وصار يتقيّأ أكثر ويفقد مزيدًا من الوزن. وُلد ووزنه ثلاثة كيلوجرامات والآن صار أقل بمائتي جرام، شعرت بالقلق.

– هناك شيء خاطئ يا هيلينا.

– فعلًا.

ازداد قلقي وأثّر هذا في جسمي، لم أشعر هكذا من قبل. قبل مجيء ماكسي كنتُ كقنبلة موقوتة أنفجر وقتما أريد، ولكن الآن صرت ضعيفًا، ولا يمكنني تدريبه ليصبح أقوى، لا أستطيع.

صار ماكسي أضعف وأضعف، كما أن جسمه ضعيف جدًّا، جلد على عظام. شعرت أنه يفارق الحياة، اتصلنا بطبيبة قَدِمَتْ إلى غرفة الفندق، لم أكن هناك لأن لديّ مباراة.

اشتمّت الطبيبة رائحة القيء، تعرفت إلى الأعراض وقالت: "اذهبوا إلى المستشفى حالًا." أتذكر هذا اليوم جيدًا، كنتُ مع الفريق نواجه ميسينا على أرضنا ورنّ جرس الهاتف. كانت هيلينا في حالة هيستيرية:

– ماكسي سيخضع لجراحة عاجلة!

قلتُ في قرارة نفسي: "هل سأفقد ابني؟" طرحتْ أسئلةٌ وشكوكٌ كثيرة نفسها بداخلي. أخبرت مانشيني بما يحدث، كان لاعبًا قديمًا بدأ حياته الرياضية تحت إمرة سفين يوران إريكسون في لاتسيو، فهم الأمر .. مانشيني رجل رحيم. قلتُ له:

- ابني مريض!

نظر في عينيّ وقرأ الرعب الذي يسكنني.

لم يعد الفوز فقط ما يشغل بالي، بل ماكسي كذلك، ابني الحبيب. فكّرت وقلت لنفسي: "هل سألعب أم لا؟ أحرزتُ ستة أهداف منذ بداية الموسم حتى الآن وأنا في حالة بدنية وتهديفية رائعة، ولكن ماذا الآن؟ لن تتحسن حالة ماكسي إن بقيتُ هنا، ولكن إن بقيت لن يكون أدائي حسنًا، لا أعلم." شعرتُ بدماغي يغلي ويشتعل.

تابعت مع هيلينا التي ذهبت إلى المستشفى والكل من حولها يصرخ ولا أحد يتكلم الإنجليزية، وهيلينا لا تتحدث الإيطالية بتاتًا. شعرتُ بالضياع، لا تفهم شيئًا. كل ما تعرفه هو أن الحالة طارئة. طُلب منها التوقيع على بعض الأوراق، ولكن أي أوراق؟ لا تفهم. ولكن لا وقت للتفكير، وقّعتْ على الأوراق، وأيّ شخصٍ مكانها سيوقع على أي شيء. ثم جاءت أوراق أخرى ووقعت عليها، ثم أخذوا ماكسي من بين ذراعيها .. لحظة مؤلمة جدًا، أعي هذا.

تُرى ما الذي يحدث؟ ماذا يجري؟ انقلب حال هيلينا وأصبح ماكسي أضعف. عليها أن تقبل بالوضع، وأخيرًا علمت أن معدة ماكسي لم تكن سليمة وعلى الأطباء إجراء جراحة لإصلاح ما بها.

في الوقت نفسه كنتُ في سان سيرو والجمهور يُجنُّ من حولي. قررتُ اللعب، كما أني سأبدأ المباراة. كل شيء ضبابي من حولي، ولا أظنُّ أني لعبت جيدًا، وكيف أفعل؟ شاهدني مانشيني ولاحظت أنه يشير إليّ بتبديلي بعد خمس دقائق، أومأت. سأغادر الملعب، أنا لا أؤدي بشكل طيب على الإطلاق. ولكن بعد دقيقة واحدة أحرزتُ

هدفًا، فلتحترق في الجحيم يا مانشيني! حاول إخراجي الآن! لعبت وقدمنا أداءً مبهرًا. لعبت على الغضب والتوتر، وبعد خروجي توجهت مباشرةً إلى غرفة تبديل الملابس ودقات قلبي يكاد يسمعها الجميع.

أتذكّر طرقات المستشفى ورائحتها وكيف ركضتُ أسأل أين وأين وكيف دخلت غرفة كبيرة بينما كان ماكسي داخل حضّانة مع أطفالٍ آخرين. بدا أصغر بكثير وكأنه طائرٌ وليد. لديه أنابيب موصلة بجسمه وأنفه. انخلع قلبي ونظرتُ إلى هيلينا .. هل أنا بالفعل ذلك الشاب الأعوج قاسي القلب القادم من روزنبرج؟ قلتُ لها:

– أحبكما..أنتما حياتي كلها.. سأموتُ لو حصل أي شيء، أي شيء.

خرجتُ تاركًا هيلينا خلفي، ليس تصرفًا رحيمًا ولكن لم أتحمل. كرهتُ المستشفيات أكثر، توجهتُ إلى الفندق ولعبت بالإكس بوكس الذي يساعدني على الهدوء في مواقف كهذه. نمتُ طوال الليل محتضنًا هاتفي، وأحيانًا كنتُ أنتفض وكأني أنتظر خبرًا مروعًا. نجحت الجراحة وصار ماكسي أفضل، حصل على ندبةٍ على بطنه، ولكنه بخير الآن.

فُزنا بالدوري الإيطالي ورُشِّحت لجائزة جيرين برايس في السويد. لا توجد لجنة تحكيم تمنح الفائز الجائزة، بل يرشح الجمهور أفضل لاعبٍ سويدي هذا العام. مثل هذه الجوائز تكون من نصيب أصحاب الرياضات الفردية مثل إنجمار ستينمارك، وستيفان هولم، وأنيكا سورنستام، وآخرين، وفي مرتين فازت بها فرق. فاز بها المنتخب السويدي مرة عام 1994، ولكني مُرشحٌ لنيلِها وحدي عام 2007. ذهبتُ أنا وهيلينا مرتديًا بدلة توكسيدو، وقبل بدء الحفل قابلت مارتن داهلين.

مارتن داهلن لاعب دولي عظيم سابقًا، كان مع المنتخب حين حاز الميدالية البرونزية وحصل هذه الجائزة نفسها عام 1994. كان محترفًا في روما وبرونسيا مونشنجلادباخ

وأحرز العديد من الأهداف. ولكن يبقى صراع الأجيال موجودًا، فالقدامى يريدون الأفضل دائمًا، وكذلك الجدد. أحسستُ بالسخرية في صوته وهو يقول:

- أنتَ هنا؟

- ولِمَ لا؟

- ولكن أنت هنا؟

قلتها بنبرة السخرية نفسها وكأني أسخر من فوزه بالجائزة نفسها عام 1994، هو بصفةٍ خاصة عن كل الناس.

أردتُ هذه الجائزة حقًّا، قلتُ لهيلينا عندما عدتُ إلى طاولتنا: "أرجو أن أنالها!" ولم أقل شيئًا كهذا من قبل، ولا حتى عن كؤوس الدوريات، لمستني هذه الجائزة كثيرًا. شعرتُ أنها ستكون اعترافًا رسميًّا بي كوني لاعبًا محترفًا وإنسانًا، على الرغم من مشكلاتي وخلفيتي. ولذا بقيت متوترًا إبّان تلك اللحظة التي يعدّون فيها الأصوات.

ينافسني على الجائزة فتاة اسمها كالور والمتزحلق بارسون. لا أعلم كيف ستسير الأمور، أعرف كيف تجري أمور جائزة الكرة الذهبية، ولكن هذه الجائزة لا أعرف عنها شيء. ها قد حانت اللحظة، الفائز هو ..

قالوا اسمي، دمعت عيناي، وصدقني لا تدمع عيناي بسهولة. لم أكبر على شيء كهذا في نشأتي، ولكن المشاعر غلبتني الآن. الكل يصرخ ويصفق، مررتُ بجوار مارتن داهلين ولم أقاوم نفسي من أن أقول له:

- عذرًا مارتن أنا ذاهبٌ للحصول على جائزتي.

توّجني الأمير كارل فيليب وأعطاني الميكروفون لأتحدّث. لستُ ممن اعتاد تقديم الشكر في خطاباتٍ كهذه، ولكني بدأتُ أتكلمُ، وجدتني أتكلم عن ماكسي وكل ما جرى له. حصلتُ على هذه الجائزة لأني ساهمتُ في حصول إنتر على الدوري لأول

مرة منذ سبعة عشر عامًا. سألت نفسي: "ماذا لو وُلد ماكسي إبّان هذا الموسم لا هذا العام؟" وكأني لا أعرف الإجابة .. سألت هيلينا:

- هل وُلد ماكسي حقًا هذا الموسم؟

أومأت ودمعت عيناها .. لن أنسى هذه اللحظة قط، صدقني.

***

(17)

ربما كبرتُ وصرتُ عاقلًا، وربما لا. أريدُ بعض الإثارة في حياتي، منذ صغري وأنا أريدُ الإثارة. لديَّ صديق يمتلك مطعم بيتزا في مالمو. يزن صديقي هذا حوالي 120كجم. أخذته معي في سيارتي البورش من باستاد إلى مالمو، وبصراحة لا يحب الكثيرون ركوب السيارة معي، ليس لأني سائق سيئ، بل على العكس أنا أتحكم بالسيارة تمامًا، ولكن بداخلي كَمٌّ كبير من الأدرينالين، وهذه المرة كنتُ أقود بسرعة 300كم/ساعة، شعرتُ أني أقود ببطء فانطلقت أكثر. وصلت إلى 301كم/ساعة ثم 302كم/ساعة، بدا الطريق ضيقًا أكثر، ثم وجدتُ المؤشر يشير إلى 352كم/ساعة، وكاد صديقي يفقد وعيَه.

- زلاتان! هدئ السرعة أيها اللعين! لديَّ أسرة!

- وماذا عنّي أيها السمين البغيض؟ أليس لديَّ أسرة أيضًا؟

هدّأتُ سرعتي وتنهدنا، نظرنا إلى بعضنا البعض وابتسمنا. عليك أن تعتني بنفسك على أي حال. ولكن مثل هذه الأشياء تمنحني شعورًا بالإثارة، لم أتعاطَ المخدرات في حياتي، ولكن أشعر أن هناك مدمنًا بداخلي. أدمنت الكثير من الأشياء، وحاليًا أدمن الصيد، كما أدمنت الإكس بوكس من قبل، وخصوصًا بعد ظهور لعبة جديدة في نوفمبر الماضي.

اللعبة اسمها Gears of War، أصابتنا بالجنون. كنتُ أنغلق على نفسي وأُصمّم غرفة ألعاب وأجلس فيها الساعة تلو الأخرى حتى الثالثة أو الرابعة فجرًا، لم يكن عليّ أن أهمل تدريباتي، ولكن استمر شغفي باللعبة. كانت لعبة أشبه بالمخدرات ولعبة أخرى اسمها Call of Duty، تناوبت عليهما طوال الوقت.

احتجت المزيد والمزيد، لم يعد بالإمكان التوقف، كما أني بدأت ألعب عبر الإنترنت مع آخرين؛ بريطانيين، وإيطاليين، وسويديين، وناس من مختلف الجنسيات، ألعب لستٍّ ساعات وسبعٍ يوميًّا، كما حصلتُ على شارة (المحترف). لا يمكن أن أعلن عن هويتي عبر الإنترنت، ولذا لم يعرف أحد من هو (المحترف).

ولكن صدّقني كنتُ أبهر الجميع، وحتى وهم لا يعرفون أني زلاتان. لطالما أحببتُ اللعب طوال حياتي، كما أني منافس شرس، أركّز على اللعب وأحطم الجميع. كان هناك شابٌّ يلعب طوال الوقت عبر الإنترنت مثلي. كان اسمه (دي)، سمعته يتكلم بعض الأحيان. جميعنا يضع سمّاعات الأذن ونتكلم في أثناء اللعب وبين كل لعبة وأخرى.

حاولت الهدوء، لا أريد لأحدٍ أن يعرف هويتي، لم يكن أمرًا سهلًا. كنتُ أمتلئ بالأدرينالين وفي يوم سمعتُ بعضهم يتحدثون عن سياراتهم، فالشاب (دي) هذا يمتلك سيارة بورش **911** تربو، لم أتحمل. بدأت أتحدّث عنها، لاحظ البعض وبدأ الناس يقولون: "تبدو مثل زلاتان" فأقول لهم: "لا، لستُ زلاتان" ثم طرحوا أسئلة أخرى، فغيّرت السياق وتكلمت عن سيارات الفيراري، ولم يكن خيارًا جيدًا. قلت لهم:

– لديّ سيارة فيراري .. سيارة خاصة بعض الشيء.

– أي موديل؟

– لن تصدقني إن قلتُ لك.

ازداد فضول (دي).

– أي موديل؟ أخبرني أرجوك!

– فيراري إنزو!

هدأ قليلًا وقال:

– ولكنها غير متوافرة في السوق.

– بالعكس.

– إنزو؟ لا بد أنك ذلك الشخص.

– أي شخص؟

– الذي كنا نتكلم عنه.

– ربما نعم وربما لا.

أكملنا لعبًا، وحتى عندما نتوقّف عن اللعب كنا نتكلم، عرفت أن (دي) سمسار أسهم. وجدتُ الأمر سهلًا معه، فنحن نحب الأشياء نفسها، ولكنه لم يعد يسألني عن هويتي. تكلمنا عن أشياء أخرى، لاحظت أنه يحب كرة القدم والسيارات السريعة. ولكنه لم يكن صلبًا، بل شابًّا حسّاسًا متفكّرًا، وفي يوم كنا نتكلم عن ساعات اليد، وهي من الأمور التي تثير انتباهي. أراد الحصول على ساعة ثمينة ومميزة، وقال أحدهم إن هناك قائمة انتظار طويلة للحصول على مثل هذا الشيء، ولكن هذا الأمر لا يسري عليّ بالطبع، فبكوني لاعبًا محترفًا في إيطاليا تكون كل الأمور جاهزة ومُعدّة مسبقًا. كما يحق لي الحصول على خصومات على مثل تلك الأشياء. عدت إلى المحادثة مرة أخرى:

– بإمكاني الحصول على تلك الساعة من أجلك في غضون أسبوع.

– أتتكلم بجدّ؟

– بالتأكيد.

- ولكن كيف؟

- سأتصل بأحد معارفي.

قلتُ لنفسي: "وماذا في ذلك، حتى لو لم يحصل عليها بإمكاني الاحتفاظ بها." لم تكن مشكلة، ويبدو هذا الشاب جديرًا بالثقة، كما أنه يتكلم عن الفيراري والأشياء الباهظة. يبدو من هواة تلك الأشياء، قلت له:

- سأذهب إلى ستوكهولم قريبًا وسأبقى في فندق سكانديك.

- حسنًا.

- انتظر في رواق الفندق في الرابعة وستحصل على الساعة.

- أتتكلم بجدٍّ؟

- بالتأكيد.

اتصلتُ بالرجل وحصلت على الساعة، أرسلتُ بياناتي البنكية عبر الإكس بوكس إلى (دي)، ثم انطلقت إلى ستوكهولم. لدينا مباراة مؤهلة إلى اليورو، ولذا نبقى جميعًا في فندق سكانديك. تصالحت مع لاجرباك بعد كل ما جرى بيننا. وصلت الفندق وسلّمت على كل الرفاق، الساعة في حقيبتي داخل صندوق صغير كما اتفقت مع (دي)، وبعد الظهيرة نزلت إلى الرواق وناديتُ مدير أمن الفريق، جان هامرباك.

لا أعرف شيئًا عن (دي) ولا كيف يبدو، ورغم لُطفه عبر السمّاعة قد يكون أيَّ شخص، قد يكون مجنونًا، ولكني لا أعلم بعد. نظرت يمينًا ويسارًا حتى وجدت شابًّا نحيفًا أسمر البشرة يجلس ويبدو عليه الحياء. قلت له:

- أأنت هنا للحصول على الساعة؟

- أنا..

وقفَ وبدا متوترًا بعدما علم شخصيتي الحقيقية، ولكن هدأ قليلًا وقال: "إنه أنت!" لطالما اعتدتُ هذا، فالكثيرون يفقدون عقلهم لدى رؤيتي، وفي تلك المواقف أصبح أكثر ودًّا. سألته عن عمله وأين يخرج وهكذا. هدأ أكثر وبدأنا نتحدث عن الإكس بوكس. قلت له:

– سأترك الساعة لدى استقبال الفندق، وفور تحويل المبلغ على حسابي ستحصل على الساعة.

وبعد نصف ساعة وصل المبلغ وأخذ الساعة. بقينا على تواصل وتسامرنا، حتى أننا كنا نتحدث عبر الهاتف، وجاء لزيارتي في ميلان. كان شابًّا سويديًّا مهذبًا يقول دائمًا: "سعدتُ بمقابلتك" وأشياء من هذا القبيل. لم يكن مثل أصدقائي من روزنجارد، ولكنه يناسب هيلينا أكثر. كان له الطابع نفسه، وأخيرًا ظهر شخص لا يطلق الألعاب النارية في كل مكان. دخل شخص جديد حياتي، رفيقي عبر الإنترنت كما تطلق عليه هيلينا.

هل تذكر أيام التدريب في مالمو؟ سباق الركض الذي هربتُ منه بركوب الحافلة أو سرقة الدراجة؟ لم يمر زمن طويل على هذا، وأحيانًا أتذكر تلك الأيام. أتذكر أيضًا ذلك البيت الوردي الكبير وتفكيري حينها عن طبيعة الناس الذين يعيشون بداخله، لابد أنهم أناسٌ مميزون.

لم أعد خائفًا من هؤلاء الناس، بل على العكس تحوّل الخوف إلى ألمٍ .. ألم البعد عن هذا العالم لأنك تعيش في ظروف مختلفة. ما زلتُ أحلم بالانتقام كي أثبتُ للجميع أني لم أعد ذلك الشاب الفقير القادم من روزنجارد. أصبحتُ شخصًا قد يسكن بيتًا كبيرًا هائلًا، كما أحتاج إلى مثل هذا البيت ليحتضن أسرتي الجديدة.

لم يعد بالإمكان البقاء مع أمي أكثر من هذا، كما أن هيلينا حامل في ابننا الثاني. بحثت هيلينا عن بيت مناسب بين بيوتٍ كثيرة، ولم أجد أنسب من البيت الوردي الذي

حكيت لك عنه، ليس لأنه سكن أحلامي القديمة فقط، ولكن لأنه أفضل بيت بالفعل، أفضل بيت في مالمو كلها، ولكن هناك مشكلة واحدة طبعًا.

يسكن هذا البيت أناسٌ يرفضون بيعه، لذا كيف سأتصرف؟ قررنا ألا نستسلم، هل أعرض عليهم عرضًا لا يمكنهم رفضه؟ بالتأكيد لن أرسل لهم بلطجيتي من روزنجارد. لا بد أن يُحل هذا الأمر بأسلوب راقٍ، ولكن قررنا أن نميل إلى العنف قليلًا، وفي يومٍ ما كان هيلينا خارج البيت في أيكيا، قابلت صديقة لها فتحدثا عن البيت الوردي.

– أتعرفين أن بعض أصدقائي يسكنون هذا البيت؟

– أريد أن أتحدث معهم، هلّا حدّدتِ معهم موعدًا؟

– أتتكلمين بجد؟

– بالتأكيد.

حاولت صديقة هيلينا واتصلت بها لتخبرها أن أصحاب البيت لا يريدون البيع على الإطلاق، فهم يحبون البيت والجيران طيبون، والعشب أخضر والمنظر رائع، وكل هذا الهراء. ولكن هيلينا أخبرت صديقتها أننا لن نقبل بهذا الهراء فعلًا. كما أن صديقتها أخبرت أصحاب البيت أننا نريد تناول بعض القهوة معهم، ألن يكون هذا رائعًا؟ لا يحدث هذا للكثيرين؟

وافقوا بالفعل وقابلناهم، شعرتُ أن اليد العليا لنا. فأنا زلاتان وسأحلُّ هذه المعضلة. عندما دخلت من البوابة شعرت بضخامتي وضآلتي في الوقت نفسه. شعرت أن بداخلي الفتى الصغير الذي لطالما حلق في هذا البيت وفي الوقت نفسه النجم الكبير زلاتان. تمشّيت مع هيلينا في أرجاء البيت، تعاملت بمنتهى الأدب والذوق، ولكن عندما جلسنا لتناول بعض القهوة لم أتمالك نفسي أكثر من هذا. قلتُ لصاحب البيت:

– نحن هنا لأنكم تعيشون في بيتنا.

ضحك الرجل وكأني أقول نكتة، وبالطبع كانت نكتة، لكني أردفت:

– اعتبرها نكتة، لكني أتكلم بجدٍّ..سأشتري هذا البيت، وسأضمن لكم رضاكم التام.

– ولكن البيت ليس للبيع تحت أي ظروف.

صمّم الرجل كثيرًا، أو هكذا ادّعى، أقول هذا لأني علمت أن البيت فعلًا معروض للبيع. لا بد أن هناك سعرًا يرضيه، أشعر بهذا وأقرؤه في عينيه. شرحت له فلسفتي:

– اسمع، أنا لا أقبل على أشياء لا أقدر عليها، فأنا لاعب كرة قدم لا مفاوض .. سأرسل لك شخصًا ليفاوضك على بيع البيت.

لم أرسل رايولا، فأنا لديَّ حدود بالتأكيد. أرسلت محاميًا، ولا تظنني مغفلًا يلقي بالمال هنا وهناك. أنا حريص جدًا وألعب بذكاء. لم أقل للمحامي: "اشترِ البيت بأي ثمن" بل قلت: "اشترِ البيت بأقل ثمن ممكن" وبعدها انتظرنا في البيت حتى أتصل بي المحامي وقال: "اشتريت البيت بثلاثين" (أي ما يعادل ثلاثة ملايين يورو).

كانت تلك فقط البداية، دخلنا البيت وغيّرنا الديكورات ولم نبخل في المصاريف. لم يُسمح لنا بتعلية السور المحيط بالبيت حسب تعليمات الحكومة، ولكننا نريد أن نختبئ من الجماهير أو المترصدين، فهبطنا بالبيت، جعلنا البيت في مستوى أقل من الأرض. أنفقنا مبلغًا كبيرًا في هذا السبيل.

تكفلت هيلينا بالديكورات، ولكن كانت لي لمستي أيضًا، علقت صورة داخل البيت يقابلها جدار أحمر، الصورة عبارة عن قدميّ القذرتين. عندما يأتي أصدقاؤنا لزيارتنا يقولون: "رائع! بيت رائع!" ويسألون:

– ولكن ماذا عن هاتين القدمين القذرتين؟

– أغبياء! هاتان القدمان دفعتا ثمن هذا البيت.

(18)

أتذكر حينما رأيته في التدريب، كان أمرًا حسنًا. اعتدتُ رؤيته على الرغم من انتقالنا من فريقٍ لآخر، وجدتني أناديه من بعيد:

– يا هذاً، هل تتبعني أم ماذا؟

– طبعًا، فأنت تحتاج إلى شخصٍ ما يتيقن من وجود بعض الكورن فليكس في ثلاجتك.

– ولكني لن أنام على مرتبتك مرة أخرى.

– لو أحسنت التصرف لن تنام على المرتبة.

من الجيد أن يكون ماكسويل معي في إنتر ميلان، صحيح أنه انتقل قبلي، لكن أصيبت ركبته وابتعد لعلاجه، لذا مضى وقت طويل قبل أن أراه هنا. لم أرَ لاعبًا رائعًا مثله، مدافع برازيلي صلد يجرؤ على إظهار مهارته في الدفاع، ولطالما استمتعتُ بمشاهدته. وما زلتُ أستغربُ كيف لشخص لطيف مثله أن ينجح هكذا، فاللطفاء لا ينجحون عادةً في كرة القدم. عليك أن تكون قاسيًا وصلبًا، وهي الحالة التي صِرتُ عليها منذ أيامي في يوفنتوس وتأصلت مع الفريق الذي فزتُ معه بالدوري في موسمي الأول. ولا تقتصر هذه الحالة على كرة القدم فقط، بل على كل شيء.

انتهت الحرب بين البرازيليين والأرجنتينيين داخل إنتر، وبمرور الأيام يقوى وضعي في النادي، وهو ما استرعى انتباه موراتي. لطالما كان يعاملني جيدًا ويطمئن على أسرتي، كما أني أبدعتُ في الملعب. حصلنا على الدوري الإيطالي مرةً ثانية، انتهت الأيام السوداء التي قضاها إنتر ميلان في تسعينيات القرن الماضي. وأخيرًا تحقق ما كنت آمله. ارتفع مستوى الفريق بوصولي، فهم رايولا هذا، صار وضعنا في المفاوضات أقوى.

حان وقت التفاوض على عقد جديد، ورايولا سيد من يفهم في هذا. مارس ألاعيبه كلها على موراتي، لا أدري ماذا قال أو ماذا فعل. لم أكن جزءًا من المفاوضات، ولكن أُشيعَ أن ريال مدريد يريدني، واستغل رايولا هذا في الضغط على موراتي. ولكن لم تك هناك حاجة لهذا، فوضعنا كان جيدًا. فعندما وقّعت لإنتر ميلان كنت آمل في الخروج من يوفنتوس، وهو أمر استغله موراتي. في عالم كرة القدم يجب أن تستغل نقطة ضعف خصمك، هذا جزء من اللعبة. وضعنا السكين على رقبة موراتي عندما خفّض المستحقات في أثناء التفاوض، اتفقت مع رايولا على هذا. لم يتحمل موراتي، ونظرًا لأهميتي بالنسبة للفريق لم يكمن مستعدًا لخسارتي وقال: "أعطوا الرجل ما يريده."

حصلت على عقدٍ ممتاز، وعندما تسربت الأخبار للصحافة قيل إني صرتُ أغلى لاعبي العالم. ولكن لا أحد يعلم الحقيقة، فقد اشترط موراتي أن يبقى الأمر طي الكتمان ستة شهور أو سبعة، ولكن سرعان ما انتشرَ الخبر.

عنما تصبح أغلى لاعبي العالم تكون العيون كلها عليك، وتنصبُّ عليك الكثير من الأنظار؛ من الجماهير، واللاعبين، والرعاة، كل هؤلاء ينظرون لك بصورة مختلفة. من يصل إلى القمة عليه أن يكمل طريقه للأعلى، هذه فلسفتي. الكل مهتمٌّ بالرقم واحد. هكذا كانت تسير السوق، رغم أني أرى أن لا أحد يستحقُّ كل هذا المال. أعرف قيمتي في السوق الآن ولن أُخدع مجددًا مثلما حدث في أياكس. ولكن هذه حقيقة، فعندما تحصل على راتبٍ مرتفع تحصل على أشياءَ أخرى، مثل زيادة الضغط الواقع عليك، عليك أنت تلعب وتزداد بريقًا.

ولكني أحبُّ هذا أيضًا، أردتُ الوقوع تحت ضغط. وها هو الموسم قد انتصف وقد أحرزتُ عشرة أهداف، وكل من حولي يكاد يُجن. الكل يقول: "إبرا! إبرا!" وفي فبراير كنا قد ضَمِنَّا الحصول على الدوري مجددًا. لا يمكن إيقافنا الآن، ولكني أشعر ببعض التعب في ركبتي. حاولت تناسي الأمر، ولكنه عاد وأصبح أسوأ من أي وقتٍ مضى. تصدّرنا مجموعتنا في دوري أبطال أوروبا والأمور تبدو في أحسن حال.

ولكن في دوري الـــ16 واجهنا ليفربول، وفي مباراة الذهاب بالأنفيلد شعرتُ أن إصابتي هذه تحدُّ من قدراتي، لعبنا مباراة سيئة جدًّا وخسرنا بهدفين مقابل لا شيء. تضاعف ألمي بعد المباراة ولم يعد ممكنًا تأجيل هذا الألم، خضعت لكشف طبي وجاءت النتيجة بسرعة، أُصبتُ بالتهاب في الوتر الرضفي.

الوتر الرضفي امتداد لعضلات الفخذ، اضطررت بسبب التهابه إلى الغياب عن مباراة سامبدوريا. لم أظن أن الأمر صعب، لا عليّ ولا على الفريق. فسامبدوريا ليس ليفربول. وبالتأكيد الفريق قادر على إنهاء الأمر بدوني. كما أننا نقدم أداءً مذهلًا في الدوري، وكسرنا الرقم القياسي لأكبر عدد من الانتصارات المتتالية في الدوري الإيطالي، ولكن لم يسعفنا هذا.

لم ننجح في مباراة سامبدوريا، وربما كانت هذا إشارة إلى بعض الأشياء الخاطئة التي تجري حاليًا، كنا على وشك الخسارة حتى أنقذنا هيرنان كريسبو في الأمتار الأخيرة برأسية. واستمر الأمر على هذا الوضع، مباراة سيئة تلو الأخرى في ظل غيابي. تعادلنا أيضًا مع روما 1–1 وخسرنا أمام نابولي، سمعت أن مانشيني وبقية الرفاق قلقون. عليّ أن ألعب مجددًا، لا يمكن أن نخسر فارق النقاط الكبير في الدوري. لحسن الحظ تماثلتُ للشفاء بسرعة، وفي الثامن من مارس سألعبُ مباراة ريجينا.

يقبع ريجينا في المركز قبل الأخير، ولذا هل كان وجودي في الملعب ضروريًا حقًّا؟ أشعر بالألم، كما أني أتعاطى مسكنات بجرعات ثقيلة. لا أظن أن ريجينا عقبة بالنسبة لنا، ولكن التوتر يعمُّ الفريق، اختفت ثقة الفريق في غيابي، وأسبوعًا تلو الآخر صار روما

وميلان أقرب إلينا، فأظنُّ أن مانشيني لا يريد المغامرة. تحوّلنا من ماكينة انتصارات إلى فريق يفتقر إلى الثقة حتى في مواجهة فريق من فرق القاع. لا يمكنني الرفض، وخصوصًا بعدما وافق طبيب الفريق، ربما وافق تحت ضغط. ولكن الحق يُقال ركبتي ليست ملكي. شعرت أن للإدارة ملكية عليا على ركبتي، فلاعب كبير مثلي يصبح كالفاكهة اليانعة، يعصرها الفريق حتى لا يبقى منها نقطة عصير واحدة وتُباع بعد ذلك. يبدو كلامًا قاسيًا، ولكن هذه هي الحقيقة.

لعبت أمام ريجينا وأحرزتُ هدفي الخامس عشر وانتصرنا وتنفسنا الصعداء. طلب مني النادي لعب المباراة القادمة أيضًا ووافقت، ماذا بيدي؟ تعاطيتُ المزيد من المسكنات والكثير من الفولتارين، وطوال الوقت أسمع عبارة "يجب أن يبقى إبرا معنا، لا يمكن إراحته." ولكني لا ألومهم، فأنا لستُ مجرد مريض في مستشفى، بل اللاعب الذي يقود الفريق إلى الانتصارات منذ قدومه. اتخذ القرار وسألعب مباراة العودة أمام ليفربول على ملعبنا، وهو أمر مهمٌّ بالنسبة لي وللفريق كذلك.

لطالما أردتُ الفوز بهذه البطولة اللعينة، ونظرًا لخسارتنا في المباراة الأولى مطلوب منا الآن الفوز في العودة. فعلنا كل شيء ولعبنا بجدٍّ ولكن لم يَجِدَّ جديدٌ، حتى أنا لم أظهر بصورة طيبة. أضعت بعض الفرص، وحصل بورديسو على بطاقة حمراء في الدقيقة الخمسين.

ساء الوضع وعلينا أن نقاتل أكثر، ولكني أشعر بألم أكبر. أنا أدمر نفسي بهذا الشكل، خرجت من الملعب على الفور ولن أنسى الألم الذي انتاب ركبتي حينها.

سمعت صافرات استهجان جمهور ليفربول، وللعلم فقط فإن اللاعب المصاب يسأل نفسه: ما إذا كان بالإمكان إكمال المباراة أم لا؟ لا أن يقتل نفسه وينتهي الموسم كل شيء بالنسبة له. ولكني بقيتُ فترة أطول في الملعب لأن مانشيني أرادني هناك ولأني ظننتُ أني قد أصنعُ الفارق للفريق. ولكن ما حدث فعلًا هو أن الإصابة ازدادت سوءًا وخسرنا بهدف للاشيء. جازفت بإصابتي ولم أحصل على شيء، كما أن الجماهير

الإنجليزية كانت تصرخ في وجهي. لم أكن على وفاقٍ مع الصحافة والجماهير الإنجليزية قط، كانوا يطلقون عليّ "أكثر لاعب مُبالغ في قيمته في أوروبا" وهذه الأشياء تستفزني.

قالت الصحافة أن الإنتر يعاني شيئًا ما، حتى أن مانشيني قرر أن يغادر النادي، ثم رجع عن قراره. ولكن لم يعد الوضع كام كان، فَقَدَ مانشيني ثقة الجميع، وفقدنا المزيد من النقاط.

كنا متقدمين بفارق كبير في الدوري، وفقدنا هذا الفارق مع الوقت، تعادلنا **1-1** مع جنوا، ثم خسرنا على ملعبنا أمام يوفنتوس. كنتُ في الملعب حينها، شعرت أني غبي فعلًا. المهم أني خرجتُ من الملعب لا تكاد تحملني قدماي، ذهبت مباشرةً إلى غرفة تبديل الملابس، أردتُ تكسير كل شيء وصرختُ في وجه مانشيني. أردتُ بعض الراحة والعلاج، فلا يمكنني فعل كل شيء مهما يكن وضعنا في الدوري. لا يمكنني الاستمرار، ولكن صدقني لم يكن الأمر سهلًا.

تجلس ويذهب الآخرون إلى التدريب، تلجأ إلى الجيم فترى الآخرين يتدربون، وكأنك تشاهد فيلمًا كان من المفترض أن يكون من بطولتك. شعور أسوأ بمراحل من الإصابة نفسها. قررت الاستراحة بعض الشيء من هذ السيرك، فعدتُ إلى السويد في الربيع، كان الجو مذهلًا، ولكني لم أستمتع على الإطلاق.

خضعتُ للفحص الطبي لدى منتخبنا الوطني، انزعج الطبيب وسألني: "كيف يسمحون لك باللعب كل هذه المدة على المسكنات؟" ستنطلق بطولة اليورو في سويسرا والنمسا بعد شهرين، ويبدو أن هناك خطرًا على مشاركتي فيها.

ضغطت على نفسي كثيرًا، وهذا أمرٌ سيئ. عليّ فعل أي شيء كي أتحسّن. اتصلت بريكارد داهان، كان طبيبًا أيام مالمو، ونحن نعرف بعضنا جيدًا، وطلبتُ مساعدته. كان حينها في أوميا بشمال السويد. توجهتُ إليه وحصلت على بعض الأدوية التي قتلت الخلايا السيئة في الوتر المصاب. تحسنت حالتي بالفعل، ولكن لم أعد لسابق عهدي بعد.

كما أني غير مسموح لي باللعب. تضايقتُ أكثر وغضبت أكثر، ولا أحد يريد أن يبقى قريبًا مني في هذه الحالة. أما هناك في إيطاليا كان بالإمكان أن يضمن إنتر الدوري في مباراة سيينا، تقدم باتريك فييرا بالنتيجة، أطلقت الجماهير صافرات الفرح والاحتفال، ثم نزل إلى الملعب لاعب اسمه ماريو بالوتيلي، موهبة شابة، أحرز هدفًا ثانيًا.

لسوء الحظ تعادل سيينا بعد إحرازه هدفين، عشر دقائق فقط تفصلنا على نهاية المباراة. وفي منطقة الجزاء عُرْقِلَ ماتيراتزي وحصل على ضربة جزاء. من المفترض أن ينفّذ الضربة خوليو كروز الأرجنتيني، ولكن ماتيراتزي لديه من السلطة والجبروت أن يطلب تنفيذها، فعمره 34 عامًا ولديه من الخبرة ما يؤهله لذلك، كما أنه شاركَ في نهائي كأس العالم. نفّذ ضربة الجزاء بمنتهى السوء واحتضنها حارس المرمى. زمجر الجمهور من شدة الألم والغضب، الوضع كارثي، وكان من المفترض أن يعالج ماتيراتزي الوضع، فهو مثلي يتغذى على الكراهية والانتقام. ولكن الأمر ليس باليسير بالنسبة له.

غضبت الجماهير جدًّا، وانطلقت الصحف، وساء الوضع في النادي نفسه. الأدهى من ذلك أن روما فاز على أتلانتا وصار الوضع خطيرًا، تبقت مباراة واحدة في الدوري ستحسم الأمر، كلنا قلقون بالفعل.

كان الدوري بحوزتنا، والكل توقُّع أن الدوري انتهى، ولكن بعدها تعرضت للإصابة، وتقلص الفارق من تسع نقاط إلى نقطة واحدة. قال كثيرون إن الظروف تُعاندُنا، وأن السماء نفسها تعاندنا، ماذا حدث لإنتر؟ أين الأداء؟ انتشرت هذه الأسئلة في كل مكان.

يفرض الواقع أننا لو تعادلنا أو خسرنا أمام بارما وفاز روما على كاتانيا – وبالتأكيد سيحدث هذا لأن كاتانيا من فرق القاع – فإننا سنخسر كل شيء ظننا أننا فزنا به. عدتُ إلى ميلان ولم أتحسن بعد، ولكن لا يهم، سمعت هذه الجملة مرارًا وتكرارًا "إبرا سيلعب!" ازداد الضغط عليّ بشكل جنوني، لم أمرّ بهذه التجربة من قبل. كنتُ في راحة

مدة ستة أسابيع ولم أستعد لياقتي، آخر مباراة لعبتها كانت في التاسع والعشرين من مارس، والآن نحن في منتصف مايو، والكل يعلم أني لم أستعد لياقتي بعد.

ولكن مَن يكترث؟ ولا ألومهم بصراحة، فالكل يعتبرني أهم لاعب في إنتر، كما أن كرة القدم في إيطاليا أهم من الحياة نفسها، وخصوصًا في موقفٍ كهذا. لم ينتهِ الدوري بهذه الإثارة منذ سنين طويلة، حينها كان ميلان وروما يتنافسان على الدوري.

أتذكر مانشيني عندما قدم إليّ قبل أيام من المباراة. يحبُّ مانشيني الأناقة وكل تلك الأشياء اللامعة، لستُ على خلاف معه على الإطلاق. ولكن وضعه في النادي صار أصعب عندما تحدث عن ترك وظيفته. سواء كنت تريد الرحيل أم لا فلا تقل إنك تريد لأن هذا يضايق الكثيرين، والنادي يبحث عن الاستقرار. والآن يبحث مانشيني عن استعادة وضعه من جديد، واقترب أهم يوم في حياته التدريبية، لا يمكن أن تفسد الأمور. المهم أنه قدم إليّ وعلى وجهه يرتسم طلبٌ ما:

– أعلم أنك لم تُشفَ من إصابتك بالكامل.

– فعلًا.

– ولكن لا يهمني.

– تصرف ذكي!

– حسنًا، ستلعب أمام بارما، ولا يهمني ماذا ستقول، سواء دخلتَ أساسيًّا أو بديلًا، أريدك بجانبي، نريد الفوز.

– أعلم .. سألعب!

أردتُ هذا أكثر من أي شيء آخر، فلا أريد أن أكون بعيدًا عندما نحصل على الدوري. أفضّل أن أصاب أسابيع ولا أشعر بالحرمان من هذه اللحظة. ولكني لا أعلم شيئًا عن لياقتي ومدى استعدادي، ولا أعلم كيف ستكون ركبتي حينها.

أرسل مانشيني ميهالوفيتش إليّ، هل تذكره؟ إنه اللاعب الذي نطحته عندما كنتُ في يوفنتوس، ولكن كل هذا من الماضي. ميهالوفيتش مقاتل يبحث عن الفوز دائمًا، والآن وقد اعتزل فصار مساعدًا لمانشيني. يقول البعض إني الوحيد القادر على ركل ضربة كرة مثل ميهالوفيتش، كان متخصصًا في هذا، أحرز حوالي 30 هدفًا من ضربات حرة في الدوري الإيطالي. قال مباشرةً:

– إبرا ..

– أعلم ماذا تريد.

– حسنًا، ولكن اعلم شيئًا، لا يهمني إذا تدربت وتجهزت، كل ما يهمني أن تلعب أمام بارما وتساعدنا على الحصول على الدوري.

– سأحاول.

– لن تحاول، بل ستفعل.

***

(19)

تعاني بعض الفرق ذكرياتٍ مؤلمة، وبالنسبة لإنتر ميلان، تلك كانت التسعينيات. وبرغم وجود رونالدو بين صفوف إنتر لم يفز النادي بالدوري، كان يخسر في الأمتار الأخيرة، مثل موسم 1997-1998 مثلًا.

كنت في السادسة عشرة أو السابعة عشرة تقريبًا، لا أذكر، المهم أني لم أعرف شيئًا عن رافيلا ورفاقه ولا حتى عن السويد بشكل عام. ولكني عرفت إنتر ميلان وعرفت رونالدو، درست مهاراته وسرعته. الكثير منّا فعل هذا، حكيتُ لك سابقًا. ولكن لم يرتبط أحد به مثلما فعلتُ، لم أفوّت تفصيلة، ولولاه لكنت لاعبًا من نوعٍ آخر، وأنا من النوع الذي لا ينبهر بأي شيء بسهولة. قابلتُ أنماطًا كثيرة من الناس، جلستُ مع ملك السويد على العشاء في برشلونة، وحينها سألت نفسي: "هل أمسك بالشوكة بالطريقة الخاطئة؟" وكذلك "هل أخطئ عندما أقول له (أنت) بدلًا من (جلالتك)؟" ولكن لا يهم. فأنا أنا، أفعل ما أريده. ولكن الوضع مختلف مع رونالدو، عندما كنت في إنتر كان هو في ميلان، وهناك فيلم على اليوتيوب وأنا أمضغ لبانة في أثناء مشاهدته، وكأني لا أعرف أني في الملعب نفسه معه.

كان له ثقله في الملعب، يقدم قيمة كبيرة في كل حركة، وهذا الموسم عام 1997-1998 كان مبدعًا مع إنتر، فاز بكأس الاتحاد الأوروبي وأحرز خمسة وعشرين هدفًا وحصل على جائزة أحسن لاعب في العالم للمرة الثانية على التوالي. سيطروا على

الدوري الإيطالي، لكن سرعان ما خسروه في ربيع ذلك العام، مثلما هو وضعنا الآن قبل مباراة بارما.

عانى إنتر مباراةً تراجيديةً خسرها أمام اليوفنتوس في الدلي ألبي ربيع عام 1998. نقطة واحدة أو اثنتان كانتا تفصلانه عن الفوز بالدوري، وتلك المباراة كانت كنهائي الدوري، راوغ رونالدو ناحية اليسار حتى عرقله أحدهم بمنتهى العنف. صرخ الجمهور وانتفض الملعب بأكمله، لكن الحكم لم يحرك ساكنًا. استُكملت المباراة وفاز يوفنتوس بهدف للاشيء وبالدوري كله كذلك. يقول الجميع إن تلك اللحظة حرمت إنتر الدوري، كانت ضربة جزاء واضحة، ولكن لم تُحتسب. خرجت مظاهرات ومسيرات غاضبة في عموم إيطاليا، حتى قيل إن الحكم قد أخذ رشوةً، بدا حينها أن كل الحكام مرتشون وفاسدون وأغبياء أيضًا. لطالما اعتاد إنتر هذا، ففي العام الذي سبق هذا كان إنتر على وشك الفوز بالدوري وخسره في مباراة لاتسيو، وأصيب رونالدو في العام التالي. تصبح الأمور كالجحيم حينها، وكأن الفريق خسر دفته، هبط إنتر إلى المركز الثامن في هبوطٍ قياسٍ.

ولكن لا أحد يتحدث عن نظرية النحس بصوتٍ مرتفع، ولكن الكل يتكلم عنها الآن قُبيل مباراة بارما. هناك مشاعر سلبية، فالناس يتذكرون ويشعرون بالخوف غير المبرر، بالإضافة إلى ضربة الجزاء التي أضاعها ماتيراتزي. حصل الشباب على أكثر من فرصة لإنهاء الدوري، لكن فشلوا في كل مرة. في كل مرة تحدث أمور صغيرة، حظ سيئ، أخطاء. ولذا فالناس كلها متحفزة قبيل مباراة بارما، يستعدون لفعل أي شيء. ولكن قد يكون هذا منبع مشكلة هو الآخر، فقد تزايد الضغط كثيرًا، فمنعتنا الإدارة من التحدث إلى الصحافة. يجب أن نركز بالكامل، كما أن مانشيني نفسه الذي اعتاد المؤتمرات الصحفية قبل المباريات كان هادئًا، والوحيد الذي تكلم هو موراتي.

ظهر في الفندق ليلة المباراة ولم يقل شيئًا غير "تمنّوا لنا حظًا سعيدًا"، الأدهى من ذلك أن بارما يحتاج إلى الفوز علينا لو أراد البقاء في الدوري العام المقبل. ولذا فبارما

كان متأهبًا هو الآخر. لن نحصل على شيء مجانًا، وقبل نزولنا الملعب علمنا أن مشجعينا ممنوعون من دخول الملعب ومؤازرتنا.

مُنع جمهور روما دخولَ الملعب كذلك لأسبابٍ أمنية، ولذا فلا بد من أن يُمنع جمهور إنتر كذلك. وبغض النظر فقد تمكن بعض مؤازرينا من الدخول. أتذكر مدى غضب مانشيني عندما علم أن جيانلوكا روكي هو حكم المباراة. قال "هذا اللعين يكرهنا."

يبدو أن السماء ستمطر، سألعب المباراة بديلًا، لم ألعب منذ فترة طويلة. بدأ مانشيني ببالوتيلي وكروز في الهجوم. قال لي: "كن جاهزًا للنزول في أي وقت." سمعت بشائر السماء تهبط علينا النقطة تلو الأخرى ثم ازدادت. بدأت المباراة بصافرات الجمهور، الكثير من الضغط، سيطرنا على المباراة. حصل كروز ومايكون على فرص لا تُعوض، ولكن لم تسفر عن شيء. كلنا متوترون في مقاعد البدلاء.

تابعنا مباراة روما كذلك التي كانت نتيجتها سلبية حتى اللحظة، وفي هذه الحالة يتصدر إنتر الدوري. ومضت اللوحة الكبيرة داخل الملعب فجأة، أرجو ألا يكون هدفًا لروما، سيكون أمرًا قاسيًا أن تتصدر الدوري طوال الموسم وتخسره في الأمتار الأخيرة، ولكنه بالفعل هدف لروما، صار إنتر في المركز الثاني. نظرت إلى كل من يجلس في مقاعد البدلاء يتذكرون ما حدث في التسعينيات، كُلٌّ يقول: يعيد التاريخ نفسه؟ هل تعود اللعنة القديمة؟

لم أرَ مشهدًا كهذا من قبل، اصفرّت وجوههم، كما ظهر الخوف علينا جميعًا، الخوف ولا شيء غيره. لا يمكن أن يحدث هذا، إنها كارثة. السماء تمطر .. تمطر بشدة، وجمهور بارما يصرخ لأن النتيجة تكفيهم للبقاء في الدوري في ظل خسارة كاتانيا، ولكن هذه النتيجة تعني لنا الموت بكل تأكيد. الجميع يدعون ويرسمون الصلبان على صدورهم، وربما لأني فزت بالدوري ثلاث مرات لا أشعر مثلهم، ولكن جسمي يغلي فعلًا.

وفي الشوط الثاني والنتيجة سلبية تكفي روما ليفوز بالدوري أمرني مانشيني بالإحماء. الكل ينظر إليّ .. مانشيني، وميهالوفيتش، والأطباء .. جميعهم. كلهم يضعون الآمال على عاتقي، يبدو هذا في عيونهم ونظراتهم، قالوا:

– افعلها من أجلنا.

– سأفعل، سأفعل.

ولكني لم أدخل الملعب على الفور في الشوط الثاني، بل بعد ست دقائق. العشب مبتل وثقيل، صعب الركض فوقه وأنا لستُ في كامل لياقتي، كما أن الضغط عليّ هائل. لم أشعر بإثارة مثل هذه في حياتي، ضربتُ كرة نحو منتصف المرمى، أخطأت الصندوق.

حاولت من جديد بعد دقيقتين، ثم مرارًا وتكرارًا دون فائدة. ثم في الدقيقة الستين حصلت على الكرة في المكان نفسه بتمريرة من ديان ستانكوفيتش، راوغت لاعبًا أسقطته على الأرض وانطلقتُ نحو المرمى، وكلما جريت تتقاذف على وجهي قطرات المياه من الأرض، ضربت الكرة، ولكن ضربة غير جيدة إطلاقًا.

جرت الكرة على الأرض ناحية اليسار داخل المرمى. وبدلًا من احتفالٍ أسطوري وقفت مكاني أنتظر، قفز الجميع من مقعده يركضون نحوي ينظرون إليّ في خشوع، وكذلك نظرت إليهم. ذهب الرعب، رمى ستانكوفتش نفسه فوقي فسقطنا على العشب المبتل. سمعته يدعو ويشكر الرب. الوضع هيستيري، وماسيمو موراتي هناك في المقصورة يحتفل، بل يكاد يرقص في مقعده الشرفي.

عادت ألوان وجوه الناس إلى حالتها الطبيعية، كان هذا أكثر من مجرد هدف، وكأنهم نجوا من الغرق. نظرت إلى الجمهور.. جمهورنا القليل يصيح، وضعت يدي خلف أذني وكأني أقول لهم: "أسمعوني المزيد".

لم تنتهِ المباراة، تعادل بارما وعُدنا إلى نقطة الصفر، انهارت الأعصاب، لم يعد الخوف كما كان، ولكن يكاد الناس لا يتنفسون. وفي الدقيقة السبعين راوغ مايكون ناحية

اليمين ومَرَّ من لاعب، والثاني، ثم الثالث، انطلقتُ أمامه في اتجاه المدافع نفسه، أخذت الكرة وضربتها ككرة طائرة. كنتُ غائبًا لشهرين كاملين، والصحف تقول عني وعن الفريق أسوأ كلام.

قيل إن إنتر سيخسر الدوري وعقلية الفوز، وأن كل شيء يخرج من تحت أيدينا، وأني لستُ بطلًا حقيقيًّا، لست كتوتي وديل بييرو. أما الآن، دعهم يشاهدوني! نزلت على ركبتي منتظرًا الجميع يقفز فوقي، شعرت بهذا .. انتهت المباراة وحصلنا على الدوري.

تحدثتُ إلى الصحفيين الذين سألوني:

- لمن تُهدي بطولة الدوري؟

- لكم .. للإعلام ولكل الناس الذين شككّوا في إبراهيموفيتش وفي إنتر ميلان.

لن أنسى موراتي حينما قال للصحافة:

- إيطاليا كلها كانت ضدنا، ولكن زلاتان إبراهيموفيتش كان رمزًا لكفاحنا.

تُوّجت كأفضل لاعبٍ في الدوري الإيطالي .. والآن وقد تورمت ركبتي مرة أخرى وبطولة أوروبا تقترب، لا أعلم ما قد يحدث، ولكني سأدفع ثمن الضغط الذي وضعتُ نفسي فيه.

***

(20)

لم أعد أخرج كثيرًا، بقيتُ في البيت أغلب الوقت، صرتُ أبًا لطفلين. رُزقت بطفل سميّته فينسنت، طفل لطيف جئت باسمه من كلمة إيطالية بمعنى (فائز)، أحب هذا. وُلد فينسنت في وسط فوضى عارمة. ونظرًا لأنه الابن الثاني فإن الصحافة لم تمارس عاداتها كما فعلت مع ماكسي.

والآن رُزقت بطفلين، وهذه ليست لعبة. فهمتُ الآن فقط كيف كانت أمي تتعامل معنا في طفولتنا مع وظيفتها. جهّزنا الأوضاع في البيت أنا وهيلينا، ولكن أفهم أن الوضع أصعب بالنسبة للأم، وبعد الدراما التي سبّبها ماكسي صرتُ أكثر حرصًا، أطرح أسئلة مثل "ما هذا الطفح الجلدي؟" و"لماذا يتنفس بصعوبة؟" و"لماذا يبدو بطنه متعبًا؟" وأشياء من هذا القبيل.

كما استعنّا بجليسة أطفال جديد بخلاف الأولى التي قابلت رجلًا في مالمو هذا الصيف وتركتنا من أجله. ارتعبنا فأردنا المساعدة، وخصوصًا لو كانت من فتاة سويدية من أجل الطفل الجديد، اتصلت هيلينا بمركز الرعاية بالطفل، ماذا نفعل؟ لا يمكن أن ننشر إعلان "زلاتان وهيلينا يريدان جليسة أطفال" فسيجلب هذا الكثير من المشكلات.

ادّعت هيلينا أننا دبلوماسيان أو سفيران أو شيء من هذا القبيل. أسرة سويدية دبلوماسة تطلب جليسة أطفال، كتبت هذا في إعلان فحصلنا على ردودٍ كثيرة. وضعت هيلينا شروطًا كثيرة، أظن أن هذا الأمر سيكون صعبًا جدًّا. ولكنها تمسّكت بفتاة من دالارنا شمال السويد، ربما لأنها من منطقة ريفية، كما أنها عملت من قبل

مدرسةً بإحدى الحضانات، وتعرف لغات، وتحب التمرين، مثل هيلينا تمامًا، وبدت طيبة وقادرة.

لم أتدخل في الأمر، ولكن اتصلت هيلينا بالفتاة دون أن تخبرها بهويتنا الحقيقية. أرسلت لها برسالة: "نرحب بكِ في اختبار العمل لدينا الأسبوع المقبل."

سافرت الفتاة إلى ليندسبرج وقبل أن تسافر أرسلت لها هيلينا بيانات العمل؛ اسم الطفلين: ماكسي وفينسنت إبراهيموفيتش، وهو أمر غريب حقًّا. ولكن قد يكون اسم دبلوماسي فعلًا، أليس كذلك؟ ربما هناك الكثير من اسم إبراهيموفيتش في السويد. سألتْ أباها عن ذلك.

- أبي، انظر هذا!

- يبدو أنكِ ستكونين جليسة طفليّ زلاتان إبراهيموفيتش!

أرادت الهروب، وكأنها تقول: "ساعدوني!" شعرت بالخوف، ولكنه شعور جميل. كما أنه لم يعد متاحًا أن تهرب، فقد اشترت التذاكر وكل شيء، ولذا سافرت إلى هيلينا مع أبيها وكانت قلقة جدًّا. ولكن هيلينا .. ماذا أقول عن هيلينا؟ تصبح امرأة حديدية عندما ترتدي أفضل حُللها، ومن الصعب أن تتقرب من امرأة بهذا الشكل. ولكن هيلينا أيضًا لديها خبرة طويلة في التعامل مع الناس وطمأنتهم.

بدأت المشكلات في أرلاندا، حيث من المفترض أن يسافروا على خط طيران إيزي جيت المتجه إلى ميلان مباشرةً. ولكن هناك مشكلة في الطائرة. تأخرت ساعة، ساعتين، ثلاثًا، ستًّا، ثماني عشرة ساعة. كانت فضيحة مدوية والكل متعب ومنهك. فقدت أعصابي فاتصلت بطيّار أعرفه يقود طائرة خاصة، قلت له: "أحضرهما إليّ الآن!" وقد فعل.

سحبت هيلينا والفتاة حقائبهما وتوجهتا إلى الطائرة الخاصة، ركبتا الطائرة وتناولتا بعض الفراولة بالشيكولاتة، أتمنى أن تقضيا وقتًا ممتعًا. تستحقان هذا بعد كل تلك الفوضى، وأخيرًا سأقابل هذه الفتاة. كانت منهارة عصبيًّا تمامًا، ولكنها عادت إلى طبيعتها وساعدتنا وعاشت معنا. بإمكانك أن تقول إنها صارت جزءًا من أسرتنا، ولا نقضي يومًا دونها. ارتبط الطفلان بها كثيرًا، وأصبحت أختًا لهيلينا، كما أنهما عملا معًا ودرسا معًا. تذهبان إلى الجيم يوميًّا في التاسعة صباحًا، وبمرور الوقت اكتسبنا جميعًا عادات جديدة.

وفي يوم ذهبنا إلى سانت موريتز، ليس لأني أشعر وكأني في بلدي هناك، لم أتزحلق على الجليد من قبل. لو كنت ذهبت إلى جبال الألب مع أبي وأمي من قبل لكان هذا مثل الصعود إلى القمر. سانت موريتز مكان مخصص للأثرياء، تحتسي هناك الشامبانيا على الإفطار، شامبانيا؟ جلست في مقعدي وطلبت بعض الكورن فليكس. كان معنا ألوف ميلبرج الذي علّمني كيف أتزلج. لم أتعلم شيئًا وسقطت على الجليد كالمجنون بينما كان الآخرون يرقصون. بدوت سخيفًا، كنت أرتدي نظارة واقية كبيرة، لذا لا أحد يعرف أني زلاتان. ولكن في يوم وجدتُ طفلًا إيطاليًّا مع أبيه يحملق إليّ بشدة، قلت لنفسي: "لا تقلق، لن يعرفك أحد في هذا الزي." ولكن يبدو أن الطفل عرفني من أنفي الغبي، فقال:

– إبرا؟

– إبرا؟ إبرا من؟

ضحكت هيلينا، كان موقفًا هزليًّا. أخذ الطفل يقول: "إبرا، إبرا" فقلت له: "حسنًا، أنا إبرا" وحينها صمت الطفل وانبهر بشدة. ولكن هذا الانبهار انتهى تمامًا حينما شاهدني وأنا أتزلج كالفاشل، هل من المعقول أن يكون رياضي كبير مثلي فاشلًا هكذا؟ والأدهى من ذلك أن الناس بدؤوا يتحدثون، جاؤوا في جماعات ليشاهدوني أمارس مهاراتي في التزلج .. كما أن لدي مشكلة مع هذه القفازات.

ضبطت بدلتي جيدًا، ربما أكون متزلجًا ماهرًا.. المهم أني نزلت بأدواتي من أعلى الجبل، وكلما هبطت أكثر توقّع الناس مهارات أجمل، يقول الناس: "هل سيمارس مهاراته هنا أيضًا؟" و"هل سيضرب الجبل كالمدفع مثلما يفعل مع الكرة؟"

ضبطتُ قبعتي وشعري وأكملت، ولكن الناس ملّوا ورحلوا فلن ينتظروا إلى الأبد حتى لو كنتُ إبرا. أكملت التزلج كمبتدئ عادي، فسألني ميلبرج: "أين كنت؟ وماذا فعلتَ؟" قلتُ له: "كنتُ أعتني ببعض الأمور."

كانت أيامًا صعبة، فبعد مباراة بارما والفوز بالدوري الإيطالي للمرة الثانية على التوالي سأتوجه إلى بطولة اليورو المُقامة في سويسرا والنمسا، كنت قلقًا على ركبتي. تتحدث الصحافة كثيرًا عن ركبتي وتحدثتُ مع لاجرباك في هذا الشأن، ولكن لا أحد فينا يعلم ما إذا كنتُ جاهزًا للبطولة أم لا؟ سنلعب أمام روسيا وإسبانيا واليونان في مجموعتنا، الأمر ليس سهلًا. لديّ عقد مع شركة نايك، كان رايولا ضد هذا الأمر، ولكني كنتُ مُصرًّا. كان أمرًا ممتعًا، صوّرنا بعض الأفلام الممتعة، منها فيلم أركُلُ فيه لبانة نحو فمي وأبي يجلس قلقًا من أن تقف اللبانة في حلقي.

ولكن في اليورو اشترطت نايك أن أرتدي حذاءً بلون محدد، ولكني لم أهتم منذ أن وجدت لاعبًا آخر يرتدي اللون الذي يحبه، أخبرت نايك بهذا، لماذا يضعون شرطًا غبيًّا كهذا؟ اتفقنا في البداية على لون محدد ولكن بعد ذلك الكل ارتدى اللون الذي يحبه، وأنا منهم.

لعبنا أول مباراة أمام اليونان، كان هناك مدافع اسمه سوتيريوس كيرجياكوس يُحاصرني، وهو مدافع جيد يتمتع بشعرٍ طويل وذيل حصان. كلما قفزتُ في الهواء ضربني بشعره على وجهي، حتى أن شعره كان يدخل في فمي أيضًا. حاصرني كثيرًا وأدّى أداءً جميلًا. ولكن عندما أفلتني ثانيتين أو ثلاثًا لم أحتج أكثر من هذا، تلقّيتُ تمريرة حريرية وراوغت مدافعًا فحصلت على مساحة كافية، وضعت الكرة في المرمى أسفل العارضة مباشرةً.

يا لها من بداية مثالية في اليورو! فزنا بهدفين مقابل لا شيء. كانت أسرتي هناك أيضًا، ولكنهم اعتنوا بأنفسهم هذه المرة. تعلمنا الدرس من كأس العالم في ألمانيا. إسبانيا هو المنتخب المرشح للفوز باليورو، هزموا روسيا بأربعة أهدافٍ لهدف في المباراة الأولى، سيكون من الصعب مواجهتهم أعرف هذا، خصوصًا أن الجميع يتحدث عن إصابتي، ولكن لا يهمني سألعب حتى لو كان هناك سكين في ركبتي.

ولكن لا بد أن يكون لك بُعد نظر في كرة القدم، هناك مباراة غدًا، ثم مباراة بعد غد، يمكنك أن تضحي بنفسك في مباراة وتؤدي أداءً هائلًا ثم يسوء حالك في المباراة التالية. سنلعب أمام إسبانيا ثم روسيا ثم دور ربع النهائي إذا تأهلنا، كل ذلك في ظل أحاديث عن أني أتناول المسكنات. فعلت هذا الأمر كثيرًا في إيطاليا، ولكن طبيب المنتخب مانعَ، قال إن الألم تحذير من الجسم، يمكنك تجاهل الألم ولكن لا يمكن تجاهل ما خلفه من إصابة. المعروف عن أطباء منتخب السويد أنهم أكثر حرصًا من أي أطباء آخرين في القارة كلها، سألوا أنفسهم أسئلة كثيرة، نظروا إليّ كمريض لا كلاعب كرة قدم. ولكن هناك مباريات تقول فيها: "فليذهب المستقبل إلى الجحيم! لا تهمني العواقب" ولكن الأمر لا يتوقف عن المنتخب فقط، فهناك نادٍ ألعب فيه.

يدفع النادي مبالغ ضخمة لأني استثمار ضخم، يمكنني أن أضحي بنفسي من أجل المنتخب، ولكن طبيب إنتر ميلان اتصل بطبيب المنتخب، كلاهما له وجهة نظر مختلفة، احتدم الخلاف؛ إنتر يريدني للدوري والمنتخب يريدني لليورو.

كما أن هناك شهرًا واحدًا فقط قبل المباريات التجهيزية للدوري في ظل أني أفضل لاعبي الإنتر. اتخذ الأطباء القرار، لا مزيد من المسكنات، سأحصل على علاج آخر يدوم ساعاتٍ، وقرروا أني جاهز لمباراة إسبانيا.

سألعبُ إلى جوار هانك في الهجوم. يبدو المنتخب في حالةٍ جيدة، ولكن إسبانيا قوية جدًا. حصلت إسبانيا على ركنية في وقت مبكر، لعبها تشافي قصيرة إلى دافيد بيا الذي

لعبها إلى سيلفا فمررها إلى فيرناندو توريس، قفز بيتر هانسون مع توريس، ولكن الأخير تفوق عليه وأحرز هدف التقدُّم. حاولت إسبانيا بعد هذا تأكيد الفوز والتأهُّل لدور الثمانية، ولكني حصلتُ على فرصة في الدقيقة الرابعة والثلاثين بتمريرة جيدة من فريدريك ستور القادم من الخلف، صار إيكر كاسياس أمامي، قررتُ ركلَ الكرة. كان موقفًا شبيهًا لما حكاه لي ودرّبني عليه فان باستن وكابيلو وجالبياتي، ركلت الكرة بضعف فأضعتُ الفرصة. وجدتُ سيرخيو راموس أمامي، مدافع ريال مدريد الشاب. لن أستسلمَ، وَضَعَ جسمي قبالته، عادت الكرة إليّ من جديد فضربتُها بينه وبين مدافع آخر واحتضنت الشباك، صارت النتيجة **1-1**. كنت في البداية في أحسن حالاتي، ولكن عندما انتهى الشوط الأول انتهى معه الأدرينالين في جسمي، وظهر الألم مجددًا. ماذا أفعل؟ لم يكن قرارًا سهلًا، أنا لاعب حاسم ولا يمكنني الخروج. لدينا مباراة أخيرة، حصلنا على ثلاث نقاط من اليونان، وحتى لو خسرنا اليوم فلدينا مباراة أخيرة أمام روسيا. ولذا توجهت إلى لاجرباك وقلت له:

- أشعر بألم شديد.

- اللعنة!

- علينا أن نتخذ قرارًا.

- حسنًا.

- ما الأهم بالنسبة لك، الشوط الثاني الآن أم مباراة روسيا؟

- روسيا .. لدينا فرصة أفضل أمامهم.

- خرجت في الشوط الثاني ودخل ماركوس روزنبرج مكاني. حصلت إسبانيا على فرص كثيرة في الشوط الثاني، ولكننا قاومنا، ولكن المنتخب خسر الكثير من قيمته بعد خروجي. وصلنا إلى الدقيقة التسعين والنتيجة **1-1**، وعلى بُعد دقيقتين من صافرة الحكم خسر ماركوس روزنبرج الكرة في نصف ملعبنا بطريقة سيئة، قفز لاجرباك من مقعده، الحكم اللعين لم يحتسب خطئًا.

وقعت الكارثة عندما حصل جوان كابدفيا على الكرة من روزنبرج، خرج ستور لمحاصرته، ولكنه كان متعبًا. جرى دافيد فيا أمامه بسرعة وأحرز هدفًا. أطلق الحكم صافرته معلنًا خسارتنا بصورة مؤلمة.

سُحقنا في المباراة الأخيرة أمام روسيا التي بدت أفضل منا من كل النواحي. ولكن كلما ذهب شيء جاء مكانه شيء آخر، أقيل روبرتو مانشيني من تدريب إنتر ميلان قبل اليورو.. سيخلفه رجل اسمه جوزيه مورينيو، لم أقابله قط، ولكنه فاجئني فعلًا، جعلني مقربًا منه حتى قبل أن أقابله .. صار رجلًا أموت من أجله.

***

(21)

لا أعرف الكثير عنه، ولكن جوزيه مورينيو هو السبيشال وان، سمعتُ الكثير عنه. من المفترض أن يكون مغرورًا، كما أن مؤتمراته الصحفية تكون كاستعراض، يعبر الرجل عن مكنوناته بصراحة. ولكني فعلًا لا أعرف الكثير، قد يكون مثل كابيلو، قائدًا عتيدًا، وأكون المُفضَّل لديه. أحببتُ هذا الأسلوب، ولكن جانبني الصواب بعض الشيء. فمورينيو برتغالي ويحب أن تُسلّط عليه الأضواء، يتلاعب باللاعبين أفضل من أي شخص آخر، ولكن لا يعني هذا الكثير بالنسبة لي.

تعلّم الرجل الكثير من بوبي روبسون، مدرب منتخل إنجلترا التليد. درّب روبسون فريق سبورتينج كلوب البرتغالي واحتاج مترجمًا، فظهر أمامه مورينيو البارع في اللغات، والذي علم روبسون فيما بعد أنه يعلم أمورًا أخرى كذلك. يفكّر بسرعة ويبدّل أفكاره أسرع، وفي مرة طلب منه روبسون كتابة تقرير عن الفريق المنافس. لا أعلم ماذا توقّع حينها، فما دخل المترجم بهذه المهمة؟ ولكن تقرير مورينيو كان مبهرًا.

انبهر روبسون بالفعل، أمامه رجل لم يلعب كرة القدم ببراعة من قبل، ولكنه يحصل منه على أفضل تقرير ممكن. لا بد أنه لم يقدر هذا المترجم حقّ قدره. عندما انتقل روبسون من النادي أخذه معه، وأخذ مورينيو يتعلم كل شيء، ليس فقط الخطط والوقائع، ولكن أيضًا الأمور النفسية. اعتاد أن يقول: "عندما يكون فريقك فائزًا تكون جزءًا منه، ولكن عندما تخسر تصبح مجرد كيس قمامة." صار مورينيو مدربًا فيما بعد

لبورتو عام 2002. لم يعرفه أحدٌ حينها، لطالما عُرف باسم (المترجم) وبورتو نادٍ جيد في البرتغال.

ولكن بورتو ليس بالنادي الكبير، انتهى به المطاف في منتصف ترتيب الدوري العام الماضي، لا توجد مقارنة أصلًا بوضعه الحالي. لا يُعتد به في البطولات الأوروبية، وخصوصًا دوري أبطال أوروبا. ولكن عندما وصل مورينيو إلى بورتو صار النادي شيئًا جديدًا، صار يعلم كل صغيرة وكبيرة عن المنافس، وبالطبع لم أفهم شيئًا حينها. ولكني على وشك ذلك، صدقني. حينها كان يتكلم عن انتقالات وتغييرات كثيرة في كرة القدم، كان يقول عندما يتعرض فريق لهجمة فعلى اللاعبين أن يجتمعوا معًا وينتقلون من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع. في مثل تلك الحالات تصبح الثواني المعدودات مهمة للغاية، مناورة واحدة وخطأ تكتيكي واحد قد يقضي على الفريق. درس مورينيو هذا الأمر أكثر من أي شخص آخر في عالم كرة القدم، وجعل لاعبيه يفكرون بصورةٍ تحليلية وبسرعة. صار لاعبو بورتو أساتذة في اتباع هذا الأسلوب، وعلى عكس كل التوقعات فازوا بالدوري البرتغالي ولعبوا جيدًا في دوري أبطال أوروبا في مواجهة أندية مثل مانشستر يونايتد وريال مدريد، وهما ناديان اللاعب الواحد في أيٍ منهما أغلى ثمنًا من لاعبي بورتو مجتمعين. ولكن مورينيو ورفاقه في بورتو حازوا دوري أبطال أوروبا.

كانت مفاجأة مدوية، صار مورينيو أشهر مدرب في العالم. كان هذا في 2004، اشترى رومان أبراموفيتش، الميليارديرالروسي، نادي تشيلسي، وملأ خزائن النادي بالمال أولًا وأخيرًا للحصول على مورينيو. ولكن ما ظنك؟ هل يُقبل مورينيو في إنجلترا؟ فهو أجنبي على كل حال، رجل برتغالي. سأله الكثيرون من الصحفيون، وفي مؤتمرٍ صحفي قال:

- أنا لست بالمجهول غير المعروف، فأنا مدرب حاز دوري أبطال أوروبا.. أنا السبيشال وان.

التصق هذا الاسم به، فصار الاسبيشال وان في الصحافة الإنجليزية، وأظنُّ أنهم كانوا يقولونها بالكثير من الاستهزاء لا الاحترام، في البداية على الأقل. ضايق هذا الرجل الكثيرين، ليس فقط لأنه يبدو كنجوم السينما، ولكن لأنه كان يطلق تصريحات مغرورة. كان يعرف قيمته، كان ينافس بشدة. عندما علم بشأن مباراة أرسنال وتشيلسي، تحدث عن أرسِن فينجر كأحد الرجال الذين يمتلكون مناظير يتجسسون بها على جيرانهم. لطالما كان الأمر فوضويًا حول مورينيو.

ولكنه لا يتكلم فقط، فعندما تولى زمام الأمور في تشيلسي لم يكن النادي قد فاز بالدوري منذ خمسين عامًا.ومع مورينيو فاز بالدوري مرتين متتاليتين. مورينيو السبيشال وان الآن في طريقه إلى إنتر، وبموجب سمعته هذه فإني أتوقَّع منه أوامر صارمة. ولكن إبّان اليورو قيل لي أن أتوقع اتصالًا منه، قلت لنفسي: "هل حصل شيء؟"

أراد التحدث فقط، أن يخبرني أن الأمور ستكون على ما يرام، وأنه ينتظر مقابلتي، لم أفهم شيئًا كبيرًا مما قاله، كان يتحدث بالإيطالية. لم يدرب مورينيو ناديًا إيطاليًّا من قبل، ولكن الرجل يتحدث الإيطالية أفضل مني. تعلم اللغة في وقت قياسي؛ ثلاثة أسابيع، لا أفهم كيف حصل هذا.

بدأنا نتحدث الإنجليزية بدلًا من الإيطالية، حينها عرفت أنه يهتم. يسأل أسئلة كثيرة، وبعد مباراة إسبانيا وصلتني رسالة نصية منه.

لطالما حصلت على رسائل نصية، ولكن هذه من مورينيو، قال فيها: "مباراة جيدة!" وأعطاني نصيحته. قفزت من مكاني، حصلت على رسالة نصية من مدرب لم يدربني بعد، وأنا ما زلتُ مع المنتخب. ولكن الرجل مهتمٌّ، أرسلت له رسالة، فأرسل إليَّ رسائل. مورينيو يراقبني! يبدو أن الرجل ليس قاسيًا ولا صارمًا.

ولكني علمت أن له غرضًا من رسائله تلك، يريد أن يستفزني. يريد خلق روحٍ من الولاء، ولكني أحببته على الفور. تبادلنا الرسائل وتفاهمنا، فهمت أن الرجل يعمل بجدٍّ .. يعمل ضعف ما يعمل أي شخص آخر. يشاهد كرة الكرة ليلًا ونهارًا ويمارس تحليلاته. لم أقابل مدربًا بهذه الدرجة من المعرفة بالفريق المنافس. يقول: "إنهم يلعبون هكذا، وخطتهم هكذا، وعليك أن تحترس من هذا اللاعب." الرجل يعرف كل تفصيلة حتى مقاس حذاء الحارس الثالث. يعرف كل شيء، حينها فقط علمتُ أن هذا الرجل يعي ما يفعله.

فات وقتٌ طويل قبل أن أقابله، انتهت البطولة الأوروبية وحصلت على إجازتي، ولا أعلم ماذا أتوقع. رأيت صورًا كثيرة له، رجل أنيق واثق بنفسه، ولكن عندما رأيته تفاجأت.. وجدتُ رجلًا قصير القامة ذا كتفين صغيرتين، يبدو أقصر من بقية اللاعبين.

ولكني ما زلتُ أشعر بهذه الهالة التي تحيط به، يضع الحدود بينه وبين اللاعبين، ويري عينه الحمراء للاعبين الذين يظنون أنهم مقدسون. وقف أمامنا وقال: "ستطيعون أوامري شئتم أم أبيتم، هل تفهمون؟" وقف الجميع ينصتون له، ليس لأنهم يخشونه، فالرجل ليس كابيلو، ولكن لأنه خلق صلة بينه وبين كل اللاعبين من خلال رسائله النصية وحرصه الشديد ومعرفته الكاملة بظروفنا مع زوجاتنا وأطفالنا .. لم أسمعه يصيح قط. فهمه اللاعبون على الفور، هذا نوع من الرجال الذين يعرفون مقصدهم. يعمل بجدٍّ لإعدادنا، كان وكأنه يبنينا من جديد قبل كل مباراة. بدا الأمر وكأنه مسرح، لعبة نفسية. كان يعرض الأفلام عندما نؤدي مباراة سيئة ويقول: "انظروا! حركة سيئة! أمر ميئوس منه! أنتم أفضل من هذا! هذا ليس إنتر، بل صورة قبيحة له!" فنومئ ونطأطئ ونشعر بالخجل.

يقول: "لا أريد أن أراكم هكذا اليوم .. انطلقوا كالأسود الجائعة، كالمحاربين الأشاوس!"

يقول أيضًا: "في الشوط الأول يجب أن تتحدوا، وفي الشوط الثاني يجب أن .." فضرب اللوحة، ارتفع منسوب الأدرينالين لدينا جميعًا، نهبط إلى الملعب فنقدم أفضل ما لدينا. كان الوضع معه هكذا طوال الوقت، أمور غير متوقعة، ويقدم كل شيء من أجل الفريق، وعليه أرد أن أقدم كل شيء لدي كذلك." لديه تلك الميزة فعلًا، تريد أن تقتل نفسك من أجله، ولكن ليس الوضع هكذا طوال الوقت. بإمكان مورينيو أن يشعرك بالحقارة بكلمتين منه، قدم إليّ في مرة في غرفة تبديل الملابس وقال بمنتهى البرود: "لم تفعل شيئًا اليوم يا زلاتان! لا شيء على الإطلاق! أداء مخزٍ للغاية!" ولا يمكنني الصياح في وجهه، لا يمكنني الدفاع عن نفسي، ليس لأنه أخشاه أو لأني أحترمه بصورة زائدة، ولكن لأني أعلم أن الحق معه. لم أقدّم شيئًا بالفعل.

أذكر مباراة أتلانتا قبل يوم من حصولي على جائزة أفضل لاعب أجنبي في الدوري الإيطالي وكذلك أفضل لاعب في الدوري الإيطالي عامةً، ولكن مع انتهاء الشوط الأول في ظل خسارتنا بهدفين للاشيء، قال لي في غرفة تبديل الملابس:

– هل ستحصل على الجائزتين غدًا؟

– أمممم .. نعم.

– هل تعرف ماذا ستقول بعد الجائزتين؟

– لا.

– يجب أن تخجل، أن تشعر بالعار، أن تعلم أنك لم تفز بشيء .. كيف تحصل على الجوائز وأنت لا تستحق شيئًا؟ أرسل الجائزتين إلى أمك أو شخص آخر يستحقهما."

قلت في قرارة نفسي "سأريه ماذا سأفعل، وسأريه أني أستحقُّ، لا يهمني لو نزفت دمًا، ولكن سأريه أني أستحقُّ."

كان يفعل هذا طوال الوقت، يقتلني ثم يحييني، كان أستاذًا في التلاعب باللاعبين. لطالما ضايقني شيء بخصوصه، تعبيرات وجهه، مهما ألعب ومهما أحرز من أهداف يبقى وجهه جامدًا متجمدًا. لا ابتسامات ولا إيماءات ولا شيء على الإطلاق. على سبيل المثال، كنا نلعب أمام بولونيا، وفي الدقيقة الرابعة والعشرين راوغ أدريانو البرازيلي ناحية اليسار، ثم رفع الكرة فانقلبت في الهواء كلاعبي الكاراتيه وضربت الكرة بكعب قدمي في المرمى مباشرةً. اختير هذا الهدفُ هدفَ الموسم في الدوري الإيطالي .. قفز الجميع وجُنَّ جُنونهم، حتى موراتي في المقصورة.

ولكن ماذا فعل مورينيو؟ وقف مكانه مرتديًا بدلته واضعًا يديه في جيبيه والجمود يُخيِّم على وجهه. ما لهذا الرجل بحق الجحيم؟ لو لم يبهره هدف كهذا، فماذا يبهره إذًا؟

***

(22)

لطالما تعلّقت بدوري أبطال أوروبا. بدأ الدوري وتحسّنت ركبتي، أحرزتُ أهدافًا رائعة. نما بداخلي شعور بأننا سنفوز بالدوري الإيطالي هذا العام أيضًا. ولكن لم يعد الفوز بالدوري أمرًا جللًا، فقد فزتُ به أربع مرات حتى الآن، كما حصلت على جائزة أفضل لاعبٍ في الدوري الإيطالي. أما دوري أبطال أوروبا فهي البطولة المهمة الآن، لم أصل إلى أدوارٍ متقدمة في هذه البطولة، والآن حانت مواجهة مانشستر يونايتد في دور الستة عشر.

اليونايتد أحد أقوى أندية أوروبا، كما أنه فاز بدوري أبطال أوروبا العام الماضي، وبين صفوفه نجوم مثل كريستيانو رونالدو، وواين روني، وبول سكولز، وريان جيجز، ونيمانيا فيديتش، ولكن لا أحد يتميَّز على الآخر، بل تشعر أنهم فريقٌ واحد. لا يوجد لاعب أكبر من الآخر في اليونايتد، ولا أحد يمتلك فلسفة السير أليكس فيرجسون، وهو رجلٌ يعظّمه الناس في إنجلترا، ولم يبلِ لاعبيه قط، بل يمارس سياسة التدوير بينهم.

جاء فيرجسون من إسكتلندا، بدأ تدريب اليونايتد عام 1986، ولم يبدُ مناسبًا في البداية. فاليونايتد فريق يقوم على تاريخ طويل. ولكن لم يجدّ جديدٌ، اللاعبون يحتسون البيرة في الحانات، بدا أمرًا حسنًا بالنسبة لهم. أوقف فيرجسون هذا الأمر، ماذا تفعلون بحق الجحيم؟ تحتسون البيرة؟ فرض الانضباط بين اللاعبين. فاز فيرجسون بإحدى وعشرين بطولة، وحصل على لقب السير عام 1999 عندما فاز اليونايتد بالدوري

الإنجليزي، وكأس الاتحاد الإنجليزي، ودوري أبطال أوروبا. ولذا، فإن هناك تنافس شديد بين فيرجسون ومورينيو. الكل يتحدث.

قيل إنها مباراة تضع مورينيو في مواجهة السير، كما تضع كريستيانو رونالدو في مواجهة زلاتان إبراهيموفيتش. صحف كثيرة تتحدث في هذا الشأن. نحن اسمان كبيران بالنسبة لشركة نايك، حتى أننا قدّمنا إعلانًا لها معًا، كان في صورة تحدٍّ حيث يصوّب كلٌّ منا كرة نحو المرمى بعد فاصل من المهارات، وبعض المرح مع إيريك كانتونا ضيف شرف الإعلان. ولكني لا أعرفه، لم أقابله في أثناء التصوير الذي تم في مكانين مختلفين، ولكني لا أهتمُّ بما تقوله الصحافة. شعرت بالحماسة، لدينا فرصة، وطبعًا أعدّنا مورينيو جيدًا. ولكن المباراة الأولى في السان سيرو كانت محبطة، تعادلنا سلبيًّا. لم أقدم أداءً مذهلًا، وقالت الصحافة الإنجليزية عني كلامًا سيئًا بالطبع. أردت الفوز بشدة في مباراة العودة في الأولد ترافورد لنصل إلى أدوارٍ متقدمة في البطولة. أتذكر عندما كنتُ خارج الملعب وأسمع صافرات استهجان الجماهير.

يخيّم التوتر على الأجواء، ارتدى مورينيو بدلة سوداء ومعطفًا أسود. بدا جادًّا وظلّ واقفًا طوال الوقت بالقرب من خط التماس يشاهد المباراة كجنرال يشاهد حربًا، صرخ الجمهور قائلًا: "اجلس يا مورينيو!" ظل يلوّح ويشيح بيده قائلًا: "ساعدوا إبرا!" كنت وحدي في الهجوم محاصرًا، يقع الكثير على عاتقي، ولطالما كنتُ كذلك منذ بداية الموسم، فمورينيو يلعب بخطة 4-5-1 وأنا وحدي في الهجوم. شعرت بالضغط عليّ كي أسجل هدفًا .. أحببتُ هذا، أردتُ تحمُّل المسؤولية.

ولكن اليونايتد كان أفضل، انعزلت تمامًا وحوصرت من كل مكان. ولكن الأسوأ من هذا جاء بعد ثلاث دقائق حينما حصل ريان جيجز على ركنية وأحرزها فيديتش برأسه معلنًا تقدم اليونايتد. شعرت أن حمّام ثلجٍ سقطَ فوق رأسي، هبّ جمهور اليونايتد في الأولد ترافورد يقول: "لم تعد السبيشال وان يا مورينيو!"

تقاسمت مع مورينيو أغلب صافرات الاستهجان، ولكن استمرت المباراة، وطبيعة الحال تفرض أن هدفًا واحدًا يكفينا للتأهل للدور القادم. بدأت ألعبُ بجدٍّ، تحسن الوضع ثم حصلت على تمريرة سريعة بعد ثلاثين دقيقة داخل الصندوق، ضربت الكرة القائم بعدما قفزت في الهواء ثم خرجت. من الصعب أن تقترب بهذا الشكل ويضيع الهدف. زادت حماستي وإيماني بأن الهدف قريب، حصلنا على الفرصة تلو الأخرى. ضرب أدريانو الكرة بطريقة بهلوانية فصدّها القائم. وبعدها راوغ روني خارج الصندوق ومرر الكرة إلى رونالدو الذي وضعها برأسه معلنًا الهدف الثاني، شعرت بسوء شديد. صعبت المهمة ومرت الدقائق دون أهداف من ناحيتنا، بقيَ الجمهور يغني "وداعًا مورينيو، انتهى الدرس!" حتى صافرة النهاية.

أتذكر عندما عُدنا إلى غرفة تبديل الملابس، أراد مورينيو رفع الضغط عنّا، وكأنه يقول: "ما زال الدوري أمامنا." يكون مورينيو قاسيًا قبل المباراة وبعدها، وحتى بعد مرور أيام على خسارتنا يأتي ليهاجمنا من جديد كيلا نكرر أخطاءنا، ولكن لا يجب أن نُذبح في موقفٍ كهذا، لن يؤتي ثماره، كما أننا محبطون وبائسون.

بدا الأمر وكأن جريمة قتل قد تقع، وبدأ الجميع ينظر إليّ وكأنه ينتظر مني الخطوة القادمة. أنا لاعب كثير الحركة والتنقل، تنقّلت بين المدارس والنوادي في طفولتي. يُتعبُني أن أجلس مكاني دون حراك، من الواضح أني لن أفوز بدوري أبطال أوروبا مع إنتر. وفي أول لقاءٍ بعد مباراة مانشستر يونايتد بدأت شكوكي تظهر، أو ربما كنتُ أجيب عن الأسئلة بصدق، لن أقول مثلًا: "سنفوز بالبطولة العام المقبل.".

– هل يمكنك الفوز بدوري أبطال أوروبا مع إنتر؟

– لا أعلم.

بدأ الجمهور يستشعر شيئًا ما. بدأ التوتر، قلت لرايولا: "أريد الرحيل.. أريد الذهاب إلى إسبانيا" وهو يعلم تمامًا أن إسبانيا تعني ريال مدريد أو برشلونة، أكبر فريقين.. الريال يبدو ممتعًا. يتميز الريال بتقاليد عريقة، وبين صفوفه لاعبين مثل رونالدو، وزيدان، وفيجو، وروبرتو كارلوس، وراؤول. ولكني أكثر ميلًا إلى برشلونة الذي يقدم كرة قدم مذهلة وبين صفوفه لاعبين مثل ليونيل ميسي، وتشافي، وإنيستا.

ولكن كيف سنتصرف، الأمر صعب. لن أقول: "سأذهب إلى برشلونة" فقط، ليس لأن الموضوع سيدمر سمعتي في إنتر فقط، ولكن سيبدو الأمر أنني أُقدّم نفسي مجانًا، سألعب مقابل لا شيء. لا يمكنك أن تعرّض نفسك لوضعٍ كهذا. يعرف المدربون أن بإمكانهم الحصول على اللاعبين بثمنٍ بخس، ولكن على النادي أن يتودّد إليك، يجب أن تشعر الإدارة أنها تريدك بأي ثمن، ولكن ليست هذه المشكلة.

المشكلة في حالتي ووضعي في إيطاليا، الناس ينظرون إليّ كوني لاعبًا باهظ الثمن، اللاعب الذي لا يمكن أن يرحل. لطالما سمعتُ هذا، كنتُ أنا في إنتر، وكاكا في ميلان، وميسي في البرسا، ورونالدو في اليونايتد. لا يتوقع أحد رحيل أيٍّ منا عن ناديه، فأثماننا باهظة. حتى مورينيو نفسه قال: "إبرا باقٍ معنا.. لا يقدر أي نادٍ آخر على الإتيان بثمنه.. لا يقدر نادٍ على دفع مائة مليون يورو." بدا الأمر سخيفًا.

هل فعلًا ثمني باهظٌ لهذه الدرجة في السوق؟ هل أصبحت كلوحة الموناليزا؟ لا أعلم. صار الوضع ضبابيًا، ربما كان من الغباء أن أتعامل بهذا الانفتاح مع الصحافة، ربما كان يجب عليّ أن أقول: "أنا باقٍ مع إنتر" وكل هذا الهراء.

ولكني ما زلتُ أتحسّس المستقبل، وهو ما أثار حنق الكثيرين، وخصوصًا الجمهور الذي رأى المسألة كخيانة مني، ازداد التوتر. هل سأخسر حافزي في الفريق؟ خصوصًا عندما أقول جملة مثل: "أريد تجربة جديدة بعد أن بقيت في إيطاليا خمسة أعوام، أحبُّ فنّيات كرة القدم كالتي يلعبونها في إسبانيا." الكل يتربّص الآن.

ولم يكن الأمر أشبه بمناورة من جانبي، بل طلبًا صريحًا فعلًا. ولكن الأمر ليس بهذه السهولة، خصوصًا مع لاعب بوزني. فأنا أهمُّ لاعب في إنتر، ولا يريد أحد التفريط بلاعبٍ مثلي.

في مباراة ريجينا حصلت على الكرة وراوغت من منتصف الملعب، مررتُ من بين ثلاثة لاعبين، صرخ الجمهور منتظرًا مني قذيفة نحو المرمى، ولكني لاحظتُ الحارس خارج مرماه في توقيتٍ مبكر، رأيت أنه من الأفضل أن أرفع الكرة فوق الحارس كي تدخل المرمى، الكل صرخ وهاج وماج، الكل إلا مورينيو الذي ثبت مكانه مرتديًا بدلته الرمادية يمضغ لبانته. وبهذا الهدف تصدّرت قائمة هدّافي الدوري مع لاعب بولونيا ماركو دي فايو. أمر كبير جدًّا أن تصبح هدّافًا في إيطاليا، أردتُ التركيز على هذا الهدف أكثر وأكثر.

ولكن الأوضاع ازدادت توترًا، الكل ربط بيني وبين كريستيانو رونالدو، واضح أن الريال سيتعاقد مع أحدنا، ولكن من؟ ومن يتحمل تلك التكلفة؟ انتشرت الشائعات، حتى قيل إن هناك صفقة تبادلية بيني وبين جونزالو هيجاوين.

وبهذا الشكل لن يضطر النادي لدفع مبلغ كبير، سيكون هيجواين ضمن الصفقة. ولكن كل هذا مجرد كلام، المهم أني أكملتُ مشواري وفي مباراة فيورنتينا ضربت كرة بقوة هائلة، قدّرها البعض بسرعة 109كم/ساعة، مزّقت الشباك، يبدو أننا سنحصل على الدوري الإيطالي مبكرًا هذا العام. ولكن لكل فعل ردٌّ فعل، وكلما قدمت مستويات أعلى كلما ضاق الجمهور ذرعًا بتصريحاتي بشأن الرحيل، واقترب الوضع من الانفجار خصوصًا قبل مباراة لاتسيو في مايو 2009. رفع الجمهور لافتة "مرحبًا ماكسي" وأشياء كهذه، أعربوا عن حبهم لي، ولكنهم أعربوا عن كُرههم في الوقت نفسه، حدث هذا أكثر من مرة مع أكثر من لاعب، وفور دخولي إلى السان سيرو فهمت الأمر، الوضع يغلي.

ظلّت الصحف تكتب عني طوال الأسبوع فيما يخص الرحيل. وعندما وصلت الكرة إليّ في منطقة الجزاء حوصرت ولم أستطع التصرف، وفي موقفٍ كهذا من المفترض أن يصيح الجمهور، ولكني أسمع الآن صيحات استهجان من جانب الألتراس. ما الذي يحدث؟ نحن نقاتل في الملعب ونتصدر الدوري وفي النهاية أسمع صافرات استهجان؟ مَن أنتم؟ وضعت أصبعي على فمي طالبًا منهم السكوت، ولكن لم ينفع. انتهى الشوط الأول بتعادلٍ سلبي. أردتُ الانتقام في الشوط الثاني، حصلت على تمريرة على بُعد **15** مترًا من الصندوق، جريتُ بالكرة سريعًا ثم ضربتها بقوة بين مدافعين، ضربة مليئة بالغضب احتضنت الكرة المرمى على إثرها. هدف جميل، ولكن لم يتحدث الناس عنه.

كل ما تذكّره الناس هو إصبعي وأنا أضعها على شفتيّ طالبًا من الألتراس السكوت، وكأني أقول لهم: "هذا أنا أسجل الأهداف وأنتم تقابلونني بصافرات الاستهجان."

بدأ الخلاف بين الجمهور وأفضل لاعبي الفريق، وبرغم عدم وجود رد فعل واضح من مورينيو، ولكنه كان في صفي. اللعنة! من يصفّر ضد ناديه؟ المهم أني أكملتُ المباراة وصنعتُ الهدف الثاني لتصبح النتيجة **2-0**. خرجتُ سعيدًا من المباراة، ولكن في أثناء خروجي من السان سيرو قيل لي إن كبار الألتراس ينتظرونني في غرفة تبديل الملابس، لا أعلم كيف دخلوا هناك أصلًا.

وجدتهم يقفون في الطرقات بالأسفل، سبعة رجالٍ أو ثمانية يملؤهم الغضب، قلت لنفسي: "لا ينفع الخوف الآن."

- هل لديكم مشكلة؟

- نعم، الجمهور غاضب ..

- إذًا أخبروا الجمهور أن ينزل الملعب لنتفاهم رجلًا لرجل.

رحلت عنهم وقلبي يدق، دافعت عن نفسي فعلًا، ولكن المزيد من الهراء قادم في الطريق. طلب بعض الداعمين عقد اجتماع، ولكن لماذا؟ ماذا سأفعل في اجتماعٍ كهذا وأنا لاعب كرة قدم؟ ربما يكون الجمهور مخلصًا لناديه، وهو أمرٌ حسن، ولكن لاعب كرة القدم عمره قصير في الملاعب، يجب أن يبحث عن مصلحته أولًا، أن ينتقل من فريقٍ لآخر. قلت للجمهور: "اعتذروا عن صافرات الاستهجان وسأرضى عنكم." ولكن لم يحدث شيء، والآن لن يصفروا ولن يصيحوا، ولن يتفاعلوا معي أبدًا .. لا يهمني!

اشتعل فتيل الحرب، هل سأرحل؟ هل سأبقى في النادي العام المقبل مهزومًا؟ الواضح أنها لعبة أعصاب. اتصلت برايولا: "هل هناك عروض؟ هل من جديد؟" واتضح الأمر الآن، لا بد من مبلغ خرافي للحصول على زلاتان. اتصلت برايولا بعد ذلك أسأل عن فرصة في برشلونة الذي حاز دوري أبطال أوروبا هذا العام بعدما هزموا اليونايتد بهدفيّ إيتو وميسي .. قلت لنفسي: "هذا هو النادي!" اتصلت برايولا:

– اللعنة! ماذا تفعل؟ أأنت نائم؟

– اذهب إلى الجحيم .. أنت فاشل ولا أحد يريدك، ارجع إلى مالمو.

– فلتذهب أنت إلى الجحيم!

ولكن الحق يُقال فرايولا كان يقاتل لإنهاء الصفقة، ليس فقط لأنه يقاتل من أجلي، ولكن لأن هذا حلم لطالما حلمنا به. ربما ينتهي بنا الأمر ولم نفعل شيئًا إلا إغضاب الألتراس منا. المهم أني أكملتُ اللعب، حصلنا على الدوري الإيطالي، ولكني أريد أن أكون الهدّاف، ولم يحصل لاعب سويدي على هذا اللقب منذ أيام جونار نوردال عام 1955. ولكن أمامي فرصة الآن، ينافسني دي فايو في بولونيا ودييجو ميليتو في جنوا، وصحيح أن هذه ليست مهمة مورينيو ولكني وجدته في مرة ينزل إلى غرفة تبديل الملابس ويقول لزملائي:

- علينا أن نساعد إبرا في الحصول على لقب الهداف.

وعليه، صار الجميع يساعدني. ولكن بالوتيلي اللعين! في إحدى المباريات الأخيرة في الدوري حصل على كرة داخل الصندوق وجئت إليه أركضُ بسرعة، كنتُ وحيدًا والمرمى أمامي، ولكنه أكمل مراوغاته، نظرت إليه وقلت: "ماذا تفعل بحق الجحيم؟ ألن تساعدني؟" ولكنه شابٌّ صغير، ثم إنه أحرز هدفًا، لم أصرخ في وجهه حينها. لكني تضايقت منه كثيرًا مثلما تضايق زملائي كلهم، كيف يركض ويراوغ بينما أنا أمام المرمى مباشرةً؟

أحرزتُ هدفًا في المباراة التالية، وقبل الجولة الأخيرة ازدادت الإثارة، أتصدر قائمة الهدافين بالتساوي مع دي فايو بثلاثة وعشرين هدفًا ويلينا دييجو ميليتو بفارق هدف واحد. ستُلعب المباراة يوم **31** مايو، والكل يتحدث عن الصراع، تُرى من سيفوز؟ كان يومًا حارًّا، انتهى الدوري وضمنّا البطولة منذ وقت طويل، ولكن ستكون هذه طريقة جيدة لتوديع الدوري الإيطالي. لعبنا نحن الثلاثة في الوقت نفسه، دي فايو أمام كاتانيا وميليتو أمام ليتشي، ولا شك لدي أنهما سيسجلان. عليّ أن أسجل أكثر، وبعد دقائق من انطلاق المباراة صارت النتيجة **1-1**.

أطلق كامبياسو كرة طويلة من خارج صندوقنا مباشرةً بينما كنتُ أقف على الخط نفسه مع المدافعين، جريت كالمجنون، ضربت الكرة بركبتي برعونة، اصطدمت مع الحارس، ولكني كنتُ قد ركلتُ الكرة ناحية اليمين، صارت النتيجة **2-1**. صرخ الجمهور وبدأ الأمل يدبُّ في قلبي، ولكن لم يمر وقت طويل قبل الإعلان عن هدف أحرزه كلٌّ من ميليتو ودي فايو، ظننتُ أن الأمر سينتهي بإحراز هدف واحد، ولكن الوضع درامي جدًّا.

سمعت بعدها أن مليتو أحرز هدفًا، تساوينا نحن الثلاثة في عدد الأهداف. لا أحبّذ المشاركة، فهذا لقب يجب أن أفوز به وحدي. مرت الدقائق دون جديد، النتيجة **3-3**

ويبدو أن النتيجة ستكون التعادل. أدخل مورينيو هيرنان كريسبو، أراد دماءً جديدة في الملعب. نزل كريسبو إلى الملعب ملوحًا بيده يطالبني بالدفع إلى الأمام، هل خسرت لقب الهداف؟ خفت كثيرًا وحاربت أكثر. صرخت للحصول على الكرة، ولكن الكل متعب. راوغ كريسبو النشيط ناحية اليمين فجريت ناحية المرمى، حصلت على تمريرة طويلة وسط معركة على الكرة، دفعتُ لاعبًا حتى صار ظهري مواجهًا للمرمى، وجدهّا فرصة سانحة. لم تكن وضعيتي مناسبة، الحل الوحيد هو ضرب الكرة بكعبي، لطالما أحرزتُ أهدافًا كثيرة بهذا الشكل مثل هدفي في إيطاليا في اليورو، وبالفعل دخلت الكرة المرمى.

مزّقت قميصي ووقفت عند راية خط ركن الملعب، قفز اللاعبون فوقي وصرخوا:

"أنت الهداف!" تغيّر وجه مورينيو المتحجّر، جُنّ جُنونه وظلّ يصرخ ويحتفل كطفلٍ صغير.. أصبحتُ هداف الدوري الإيطالي بهدفٍ بالكعب.

***

(23)

الثالث من يونيو .. انتقل كاكا إلى ريال مدريد في مقابل خمسة وستين مليون يورو، ثم تبعه كريستيانو رونالدو في مقابل مائة مليون يورو. ذهبت إلى موراتي الذي بدا عليه الهدوء، قلت له:

- اسمع، كانت فترة عظيمة، وأحببت البقاء معكم فعلًا، ولا يهمني إذا ما أرادني أرسنال أو اليونايتد، ولكن إذا جاء عرض من البرسا ..

- حسنًا ..

- أريدك حينها أن تتحدث معهم على الأقل، لا أن تقول سأبيعه بمبلغ كذا أو كذا، الأمر عائدٌ إليك، فقط تحدث معهم.

نظر إليّ من خلف نظارته وشعره الأشعث، يفهم ما يحدث بالفعل، سيحصل على مبلغٍ كبير، رغم عدم ميله لإطلاق سراحي.

- حسنًا .. أعدُك.

ذهبنا إلى لوس أنجلوس في معسكر تدريبي، شاركت ماكسويل غرفته كالأيام الخوالي، لكننا كنا مُتعبين ومرهقين من السفر. حام الصحفيون حول الفندق، أهم ما قالوه هو أن البرسا لن يتحمل تكلفة زلاتان. يميلون إلى تعاقد برشلونة مع دافيد بيا، ليس لأنهم يعرفون معلومات أكثر، ولكن لديّ شكوك أيضًا. كان لديّ أمل في أن ينتهي الأمر، ولكن ساء الوضع، ولم يتحسن مع وجود اللعين ماكسويل.

ماكسويل أطيب قلب في الكون، ولكنه يصيبني بالجنون. لطالما تبعَ أحدُنا خطوات الآخر منذ أيامنا في أمستردام، وها نحن في الموقف نفسه معًا من جديد. ارتبطنا ببرشلونة، ولكنه يسبقني بخطوة، أصبح على وشك الانتقال بينما كاد الباب يُغلق في وجهي. علاوة على ذلك فماكسويل لا ينام، يظل يتحدث في الهاتف: "هل انتهى الأمر؟ هل تمت الصفقة؟" أصابني بالجنون، كانت يتكلم عن الانتقال طوال الوقت: "برشلونة فعل وبرشلونة سوّى" ظّل يتحدث عن الأمور ليل نهار في ظل أني لا أسمع شيئًا عن انتقالي أنا. فقدتُ أعصابي مع رايولا اللعين الذي أنْجَحَ صفقة ماكسويل ولم يُنجِح صفقتي، اتصلت به:

- هل تعمل لحسابه فقط؟

- اذهب إلى الجحيم!

نجح رايولا في أن يبقي صفقة ماكسويل طي الكتمان على عكس انتقالي أنا، لم يصدق أحد أنه سينتقل إلى البرسا. دخل غرفة تبديل الملابس والكل موجود وقال: "سأرحل إلى برشلونة." انتفضوا جميعًا وقالوا: "حقًا؟" بدؤوا يتكلمون، فإنتر ليس بأياكس، ولكن برشلونة فاز بدوري أبطال أوروبا وهو أفضل فريق في العالم. شعر البعض بالغيرة، ثم بدأ ماكسويل بجمع أغراضه للرحيل. قلت له:

- خذ حذائي أيضًا .. سأتبعك إلى برشلونة.

ضحك الجميع وكأنها نكتة. يعرفون أن ثمني باهظ ولا يمكن بيعي، أو ربما ظنوا أن أموري مستقرة في إنتر. علمت أن رايولا عمل بجدّ من أجلي، وفي يوم واجهنا تشيلسي في مباراة ودية وعرقلني جون تيري. شعرت بألم في يدي، لكن لم أهتمّ لأني لا ألعب بيدي بل بقدمي. اتصلت برايولا مرارًا وتكرارًا وبدلًا من أن أحصل على فرصة حصلت على مشكلة.

تولّى خوان لابورتا زِمامَ الأمور في برشلونة، وهو رجل ذو بأسٍ شديد، وفي عهده سيطر البرسا على أوروبا. علمتُ أنه سافر في طائرة خاصّةٍ إلى ميلانو لتناول العشاء مع موراتي وماركو برانكا، المدير الرياضي. كبرت آمالي، ولكن لم يجِدَّ جديد، والأدهى من ذلك أن موراتيّ لَحِقَ بلابورتا عند الباب وقال له: "إذا كنتَ هنا للحصول على إبرا فالأفضل أن تعود أدراجك، إبرا ليس للبيع!"

استشطتُ غضبًا عندما سمعتُ بهذا، لقد وعدني الرجل بحقِّ الجحيم! اتصلت ببرانكا:

– ما الذي يفعله موراتي؟

– ولكن الاجتماع لم يكن يخصُّك.

علمتُ من رايولا أن برانكا يكذب، والآن فهمت، هذه مجرد لعبة. مشيت على الأشواك والصحافة تلاحقني في كل مكان في لوس أنجلوس، وفي الموسم القادم من المفترض أن أحصل على القميص رقم 9 .. قميص رونالدو.

علمتُ بعدها أن خوان لابورتا ومدير برشلونة الرياضي سافرا في طائرة خاصة إلى أوكرانيا للتوقيع مع ديميترو تايهرنسكي، أحد أفضل لاعبي شاختار دونتسك الحاصل على بطولة كأس الاتحاد الأوروبي هذا العام. ولكن يبقى رايولا ثعلبًا ماكرًا، عقد اجتماعًا مع موراتي وشعر بانفراجة، ولذا اتصل رايولا بمدير برشلونة الرياضي في طائرته العائدة إلى برشلونة وقال له:

– اهبط بطائرتك في ميلانو.

– لماذا؟

– لأني علمتُ أن موراتي في بيته الآن، ولو ذهبت إليه سينهي معك صفقة إبراهيموفيتش.

- حسنًا، سأنقل هذا الكلام إلى لابورتا.

طالت الدقائق وصعبت اللعبة، لم يعد موراتي بأي شيء، ولم يعلم بأن لديه زوّارًا. اتصل مدير برشلونة الرياضي وقال:

- حسنًا .. سنتوجه إلى ميلانو الآن.

اتصل رايولي بي على الفور وأخبرني، ثم أرسل رسالة نصية إلى موراتي: "إدارة برشلونة في طريقها إليك الآن." أرسلت رسالة بدوري إلى ماركو برانكا: "علمت أن إدارة برشلونة في طريقها إلى موراتي الآن، ولقد وعدتني بأن تتكلم معهم، وأنت تعلم أني أريد الانتقال إلى البرسا، فلا تفسد الأمور عليّ وإلا أفسدّت عليك أمورًا أكثر." انتظرت رده لكن بلا فائدة. نظرت إلى الساعة، توقعت أن يستغرق الأمر ساعات، ولكن بعد خمس وعشرين دقيقة اتصل رايولا، قفزتُ من مقعدي، ماذا حدث؟ هل طردهم موراتي مجددًا؟

- نعم؟

- تم الأمر!

- ما الذي تم؟

- ستذهب إلى برشلونة .. حضّر حقائبك.

- لا تهزأ بي!

- لا أهزأ بك.

- كيف تم الأمر بهذه السرعة؟

- لا يوجد وقت للكلام الآن.

أنهى المكالمة ولا أصدق ما قاله. كنتُ في الفندق، ماذا أفعل؟ ذهبت إلى رواق الفندق ووجدت باتريك فييرا، يمكنك الثقة بهذا الرجل.

– سأذهب إلى برشلونة.

– مستحيل!

– أعدُك.

– بكم الصفقة؟

لم أعلم، ولم أخبره بشيء فزادت شكوكه، وانتقلت شكوكه إليّ، هل تم الأمر فعلًا؟ اتصل رايولا والآن فهمت..موراتي جهّز لي مفاجأة. لديه مطلب واحد فقط، وهو مطلب كبير. يريد أن يتفوق على ميلان ويبيعني بسعر أعلى من كاكا، ولم يكن سعر انتقال كاكا يسيرًا، سيكون هذا الانتقالُ هو الثاني الأغلى في العالم.. يبدو أن خوان لابورتا ليس لديه مشكلة في هذا.

سيحصل إنتر ميلان على ستة وأربعين مليون يورو بالإضافة إلى صامويل إيتو، وإيتو ليس أي لاعب، فالرجل أحرز ثلاثين هدفًا الموسم الماضي، وهو أحد هدافي برشلونة التاريخيين، قيمته السوقية عشرين مليون يورو تقريبًا. ومن ثم تصبح القيمة الإجمالية للصفقة ستة وستين مليون يورو، أعلى من صفقة كاكا بمليون يورو .. لم أرَ شيئًا كهذا في حياتي.

سنلعب مباراة تجهيزية أمام فريق مكسيكي، سأرتدي القميص رقم 10 لأول مرة في إنتر، ولآخر مرة أيضًا. انتهت فترتي في إنتر. قدمت إلى إنتر ولم يكن قد فاز بالدوري منذ سبعة عشر عامًا، والآن قد فاز بالدوري ثلاث مرات على التوالي في وجودي، كما أني صرتُ هداف الدوري. غضب وحزن مورينيو، لا يريد أن يخسرني، صحيح أني أريد الذهاب إلى برشلونة، ولكن فراق مورينيو صعب، الرجل متميز فعلًا. ذهب مورينيو لتدريب ريال مدريد بعد عام، فودّع ماتيراتزي، وهو أقسى اللاعبين، ولكن عندما

احتضنه مورينيو انخرط في البكاء، أشعر بما يشعر به. يحرّك مورينيو مشاعرك، وأذكر هذا اليوم الذي قابلني فيه خارج الفندق.

- لا ترحل.

- اعذرني، ولكن هذه فرصة لا تضيع.

- لو رحلتَ سأرحلُ أيضًا.

كيف لي أن أردّ على ردٍّ كهذا؟

- شكرًا لك، لقد تعلمتُ منك الكثير.

- شكرًا لك أيضًا.

تحدثنا قليلًا، ولكن هذا الرجل يشبهني، يريد الفوز بأي ثمن.

- إبرا ..

- نعم؟

- ستذهب إلى برشلونة للحصول على دوري أبطال أوروبا، أليس كذلك؟

- ربما.

- لكن اعلم أن إنتر سيحصل على البطولة العام المقبل .. لا تنسَ هذا، سنفعلها!

ثم ودّعنا بعضنا بعضًا.

ذهبتُ إلى كوبنهاجن ومنها إلى ليمهامسفاجن لمقابلة هيلينا والولدين. أردتُ إخبارهم بما حدث، ولكن كان البيت يحاصره الصحفيون والجماهير التي ظلّت تطوف حول البيت. كانوا يطرقون الباب ويغنون ويحملون رايات برشلونة. جُنَّ جنون الجميع وازداد الضغط على أمي وأبي وكيكي، لم يجرؤ أحد على الخروج.

هناك حرب دائمة بين برشلونة وريال مدريد، والموضوع لا يتوقف عند الكرة فقط، بل يمتدُّ إلى السياسة. فمنطقة كتالونيا تقع في مركزٍ قوي، ولكلا الفريقين سياسة مختلفة. قيل لي: "في برشلونة الكل متواضع، لسنا ريال مدريد، نحصل على تذاكر طيران عادية." المهم أني وصلتُ مطار برشلونة في الخامسة عصرًا، لم أكن أتوقّع ما سيحدث.

عمّت الفوضى، مئات الجماهير والصحفيين كانوا في انتظاري، كما أن الصحف كتبت عن الصفقة طوال الوقت. تحدثوا عن "جنون إبرا" فالصفقة ليست أكبر واحدة في تاريخ برشلونة فحسب، ولكن لم يلفت أي لاعبٍ في برشلونة الأنظار بهذا الشكل. من المتوقع الآن أن يتم تقديمي للجمهور في الكامب نو، فهذا تقليدٌ لدى النادي. عندما تم تقديم رونالدينيو عام 2003 حضر ثلاثون ألف مشجع، والعدد نفسه تقريبًا جاء للترحيب بهنري، ولكن الآن ينتظرني ضعف هذا العدد، اقشعرَّ جسمي.

من المفترض أن نعقد مؤتمرًا صحفيًّا أولًا، حضر المؤتمر مئات الصحفيين، وفي اللحظة نفسها كان إيتو ينهي صفقته مع إنتر ميلان، انتظرنا حتى إتمام الأمور. جلست أنا ورايولا ولابورتا منتظرين نتساءل:

– ما الذي يحدث؟ هل سنظل هنا كثيرًا؟

– يكفي هذا .. يجب أن نحصل على تأكيد .. اللعنة!

خرجنا على الفور، لم أرَ في حياتي هذا العدد من المراسلين، أجبتُ عن جميع استفساراتهم، وفي الخارج كنت أسمع زئير الجمهور. الأمر جنوني، ذهبتُ إلى الغرفة لارتداء قميص برشلونة، أعطوني رقم 9، رقم رونالدو نفسه، صار الأمر شاعريًّا. الجمهور يغلي بالخارج، نحو ستين ألفًا أو سبعين. حاولت التقاط أنفاسي وخرجت لهم.. لن أصف لك هذه اللحظة.

أمسكتُ بالكرة في يدي وتوجهت إلى المنصة والجمهور يصرخ باسمي. أخبرني صحفي أن أقول: "هيا يا برسا!" وكذلك فعلتُ، كما مارستُ بعض المهارات واستعرضتُ بعض الحركات بكعبي وأشياء من هذا القبيل، فصرخ الجمهور أكثر وأكثر، ثم قبلت شعار النادي على قميصي.

أصابتني انتقادات كثيرة لهذا الفعل، كيف لي أن أقبل شعار برشلونة وأنا بالأمس كنت لاعبًا في إنتر؟ ألا أراعي مشاعر جماهيري السابقة؟ تكلّم الجميع عن هذا الأمر، ولكن الصحفي قال لي: افعل هذا .. انتفض جسمي من الجمهور، أردتُ الذهاب إلى غرفة تبديل الملابس على الفور كي أهدأ قليلًا.

امتلأ جسمي بالأدرينالين، كنتُ أرتعشُ. وعندما انتهى الأمر نظرتُ إلى رايولا، هذا الرجل لا يبعد عني لأكثر من عشرة أمتار، وفي لحظاتٍ كهذه يصبح رايولا أهم شخص في حياتي. ذهبنا معًا إلى غرفة تبديل الملابس لنشاهد الأسماء المكتوبة على الجدران؛ ميسيُ، وتشافي، وإنيستا، وهنري، وماكسويل.. ثم إبراهيموفيتش. نظرتُ إلى رايولا، وجدته منبهرًا وكأنه رُزق بطفل لتوه. لم يَعِ أحدُنا الأمر، كان أكبر مما نتوقع. وفي تلك الأثناء وصلتني رسالة على هاتفي: "استمتع! لا يحدث هذا الأمر لكثيرٍ من اللاعبين" تُرى مَن هذا؟ إنه باتريك فييرا. عندما يرسل باترتيك فييرا رسالة كهذه تعلم أنك قد فعلتَ أمرًا مهولًا .. جلستُ لألتقط أنفاسي.

قلتُ بعدها للصحفيين "أنا أسعد إنسان في العالم! هذا أهم شيء حصل في حياتي منذ أن رُزقت بطفلين." وأشياء من هذا القبيل قالها رياضيون آخرون في مناسبات عديدة. ولكني أعني ما قلتُه حقًّا. توجّهت إلى فندق الأميرة صوفيا مُحاصرًا من الجماهير الذين تحمّسوا لرؤيتي أحتسي القهوة في الرواق.

أصابني الأرق ليلًا، لا عجب. جسمي كله ساخن، ويدي تؤلمني بعض الشيء، لا أظنُّ أن هناك مشكلة مع الطبيب يوم غد. عندما تذهب إلى نادٍ جديد يخضع لكشف طبي روتيني.. كم وزنك؟ كم طولك؟ كم نسبة الدهون في جسمك؟ هل صحتك جيدة؟ قلت: "يدي تؤلمني" ثم خضعتُ يدي لفحص بالأشعة السينية. أصبت بشرخٍ في يدي سأغيب على إثره مدة ثلاثة أسابيع.

***

(24)

نوفمبر 2009 .. سنواجه ريال مدريد في معقلنا بالكامب نو بعد خمسة عشر يومًا. أشعر بتعبٍ في فخذي، لن ألعب هذه المباراة أساسيًّا، ليس بالخبر السعيد. لا شيء أكبر من كلاسيكو الأرض، الضغط هائل، إنها الحرب. طبعت الصحف أكثر من 60 صفحة في الحديث عن المباراة. لا يشغل بال أحد أي شيء غير المباراة، فالعدوُّان يتواجهان.

حصلت على بداية جيدة هذا الموسم رغم إصابة يدي واعتياد بلدٍ جديد. أحرزتُ خمسة أهداف في أول خمس مباريات، قوبلت بالثناء في كل مكان. شعرت أن الدوري الإسباني هو المكان الذي يجب أن أُوجَد فيه فعلًا. أنفق ريال مدريد وبرشلونة حوالي 250 مليون يورو لتأمين خدمات كاكا وورونالدو وخدماتي، في حين فقد الدوري الإنجليزي والإيطالي بريقهما بعض الشيء. صارت الليجا الإسبانية محط الأنظار الآن، كل شيء استثنائي .. هكذا ظننتُ.

أصبحت جزءًا من الفريق، كنت أجري وأتدرَّب معهم قبل الموسم بضمادة ومسامير في يدي. عانيت من مشكلة في اللغة طبعًا، صادقت اللاعبين الذين يتحدثون الإنجليزية مثل هنري وماكسويل. ولكن الأمر جرى على ما يُرام مع بقية اللاعبين كميسي، وتشافي، وإنييستا الذين أبدوا تواضعًا لم أتوقعه، كما أنهم يقاتلون في الملعب، لا يقولون: "هأنا أعظم لاعب في العالم!" ولا شيء من هذا القبيل، ولا يستعرضون أنفسهم داخل غرفة الملابس مثل اللاعبين الإيطاليين. ميسي والرفاق يتواضعون لغيرهم .. وهناك أيضًا جوارديولا.

بدا لا بأس به، كان يأتي إليّ بعد كل تمرين ويتحدث معي، يريدني أن أندمج مع الفريق فعلًا، ولكن الأجواء مختلفة في النادي حقًّا. شعرت بهذا على الفور، المكان أشبه بالمدرسة .. وكأنني في أياكس. ولكن هذا برشلونة، أفضل أندية العالم. توقعتُ مشهدًا أكثر غرورًا من هذا، ولكن كل اللاعبين هادئون متواضعون، قلت لنفسي: "هؤلاء نجوم كبار، ولكنهم يتصرفون كطلاب مدرسة" ولربما أكون أنا المخطئ: "تُرى كيف سيُعامل هؤلاء اللاعبين لو كانوا في إيطاليا؟ لكانوا آلهة بالنسبة للبقية."

يقفون صفًّا أمام جوارديولا، لاعب خط الوسط التليد في برشلونة، فاز بالليجا الإسبانية خمس مرات أو ستًّا مع البرسا، ثم صار كابتن الفريق عام **1997**. عُيّن مدربًا لبرشلونة منذ عامين، حقق نجاحًا باهرًا. أظنُّ أنه يستحق كل الاحترام، أدركت أنه من الضروري أن أندمج مع الفريق. وهذا ليس بالجديد عليّ، فقد انتقلتُ من فريقٍ لآخر أكثر من مرة، وعندما أدخل فريق أعرف من القوي ومن الضعيف وعمّ يتكلم اللاعبون وما هي تحالفاتهم.

وفي الوقت نفسه كنتُ أعرف قُدراتي جيدًا، بإمكاني إثبات أحقيتي من خلال عقليتي الساعية دومًا إلى الفوز، كما أني اندمجتُ سريعًا وسط الفريق، وكنتُ أُلقي النكات كثيرًا. قال جوارديولا أكثر من مرة:

– في برشلونة لا يصيبنا الغرور، بل نعمل ونكد.. نحن أناسٌ عاديون.

لا أعلمُ لِمَ يقول لي هذا الكلام؟ شيء غريب حقًّا. هل يظن أني مختلف؟ لم أفهم، ولكني لم أرْتَحْ لكلامه. أحيانًا أشعر أنني في فريق شباب مالمو. هل أعمل تحت مدربٍ يظنني أني أتيتُ من مكانٍ سيئ؟ هل تعيد الأيام نفسها؟ لم أكن جبانًا بهذا الشكل في حياتي، كما أني على نقيض ما تكتبه الصحافة. ذهب زلاتان القديم وذهبت معه الكثير من الأمور .. أصبحتُ أعيش في ظله لا أكثر ولا أقل.

لم يحدث لي هذا من قبل، وبرغم سوء الوضع سأتدرب جيدًا لأعود كما كنتُ قريبًا. وللعلم فإن جوارديولا ليس بالشخص البغيض على الإطلاق، كما أنه يثق بي، شاهدني أحرز الهدف تلو الآخر وعلم أهميتي للفريق، ولكن هذا الشعور لم يذهب، هل يظن أني مختلف فعلًا؟ يقول: "في برشلونة الكل متواضع!" هل يظن أني العكس؟ لم أفهم وحاولت نسيان الأمر. ولكن لم يهدأ تفكيري، هل الكل هنا سواء فعلًا؟ الكل هنا ينجح وبرشلونة يحقق انتصارًا تلو الآخر تحت قيادة جوارديولا .. أرفعُ له قُبعتي.

والآن قد علمت الثمن، يزيح هذا النظام بالشخصيات القوية بعيدًا، ولا شك في أن جوارديولا كانت لديه مشكلات مع لاعبين مثل رونالدينيو، وديكو، وإيتو، وهنري، وأنا. فنحن لسنا "لاعبين عاديين" شعرت أنه رأى فينا تهديدًا فأراد أن يطاردنا. أكره هذا النظام، فإذا كنتَ لاعبًا غير عادي لا يجب أن تكون أقلّ من هذا. ولكن يجب أن أعود لسابق عهدي.

لا يجدي هذا الأمر مع الجميع، ولكن يجدي معي. لم يفهم جوارديولا هذا ظنًا منه بأنه يستطيع تغييري. يريد كل اللاعبين في برشلونة مثل تشافي وإنيستا وميسي. لا أعيب عليهم، بل أشاهدهم وأستمتع بمهاراتهم، هل أتعلم شيئًا؟ هل أبذل مزيدًا من الجهد؟

ولكن انظرْ لخلفية كلٍّ منهم؛ تشافي مثلًا جاء إلى برشلونة في الحادية عشرة من عمره، وإنيستا في الثانية عشرة، وميسي في الثالثة عشرة. تربوا داخل جدران النادي ولا يعرفون شيئًا آخر، وأظنّ أن هذا جيد بالنسبة لهم، ولكن ليس بالنسبة لي، فقد جئتُ من الخارج، جئت بشخصيتي، وغير مسموح لي بذلك، وخصوصًا مع جوارديولا.

ازداد الضغط علينا قبيل الكلاسيكو في الكامب نو، حينها كان التشيلي مانويل بيلجريني مدربًا لريال مدريد. أشيع أنه سيفقد مقعده إن لم يفز الريال. تحدث الناس

عني، وعن كاكا، ورونالدو، وميسي، وبيلجريني، وجوارديولا. كان يضعون هذا أمام هذا. أصبحت المدينة فوق صفيحٍ ساخن لكثرة التوقعات. وصلت إلى النادي بسيارتي الأودي ودخلت غرفة تبديل الملابس. سيبدأ جوارديولا المباراة بهنري في المقدمة وميسي ناحية اليمين وإنيستا ناحية اليسار. عمّ الليل وأُضيئت أنوار الملعب بالكامل.

تشعر أن ريال مدريد يدفعه حافزٌ أكبر، خلقوا فرصًا أكثر، وفي الدقيقة العشرين راوغ كاكا بطريقة جميلة ومرّر كرة رائعة إلى رونالدو الذي حصل على فرصة مذهلة، ولكنه أضاعها بفضل فيكتور فالديز، حارسنا الذي أنقذ المرمى بقدمه. وبعد دقيقة اخترق هيجواين بالكرة وكاد يُحرز هدفًا. خلقوا الكثير من الفرص ونحن في أماكننا، لم نتحرك كثيرًا وعانينا مشكلاتٍ في تمرير الكرة. شاع التوتر بيننا، وبدأ الجمهور يطلق صافرات الاستهجان، خصوصًا في وجه إيكر كاسياس. كان يتعمد إضاعة الوقت .. استمر الريال في السيطرة وانتهى الشوط الأول بتعادل سلبي لحسن حظنا.

طلب مني جوارديولا الإحماء في بداية الشوط الثاني، يا له من شعور عظيم! صرخ الجمهور وصاح، رددتُ لهم التحية، وفي الدقيقة الحادية والخمسين خرج هنري ودخلتُ بدلًا منه. كنتُ متعطشًا، صحيح أني لم أغب كثيرًا، ولكن ربما أفتقدُ اللعب مع الفريق بعد أن غبتُ عن مباراة إنتر ميلان في دوري أبطال أوروبا. حصل دانيل ألفيش على الكرة ناحية اليمين في حين كان دفاع ريال مدريد غير مُنظَّم، وصلتُ إلى الصندوق بأقصى سرعة، دفع ألفيش الكرة بقوة فضربتُها في الهواء بقدمي اليسرى لتمزق الشباك. ثار الملعب كالبركان، شعرتُ بهذا .. لن يوقفني أحد الآن. فُزنا بهدفٍ للاشيء، وحصلتُ على لقب لاعب المباراة، كما تلقّيت ثناء الجميع. حينها لم يشكك أحد في سعري البالغ سبعين مليون يورو .. أصبحت في أوج عطائي.

حلّت علينا أعياد الكريسماس، ذهبت في إجازةٍ إلى آري (منتجع للتزلج على الجليد شمال السويد) وقضيتُ وقتًا ممتعًا. ولكن مع بداية العام الجديد انهار كل شيء، ولم أعد

زلاتان الذي أعرفه، بل شخصًا آخر، شخصًا خائفًا. كلما عقد رايولا اجتماعًا مع إدارة برشلونة كنت أسأله:

– كيف يرونني؟

– يرونك أفضل هدّاف في العالم.

– أعني كوني شخصًا لا لاعبًا.

لم أهتم بمثل هذا الأمر من قبل، لم أكترث قط، أردت فقط اللعب وليقل الناس ما يشاؤون. ولكن الآن صار هذا الأمر مهمًّا بالنسبة لي، كما أني لست في حالتي. ذبلت ثقتي وملأني الإنهاك. لم أعد أحتفل بعد إحراز الأهداف. لم أكن حساسًا قط، ولكن بعدما علمت أن الناس يقولون إني غير مناسب أو إني مختلف شعرت وكأني عدتُ إلى نقطة الصفر. حاولت الاندماج في البداية ولم يكن هذا كافيًا، ثم جاء أمر ميسي هذا، أتذكر؟ ميسي النجم الكبير الذي يضع الفريق كله في جيبه. هو رجلٌ خجول أحبه كثيرًا، ولكن في وجودي بدأت أسيطر على الملعب وخلقت بعض الفوضى.

بدا الأمر وكأني دخلتُ بيته ونمتُ على فراشه، قال ميسي لجوارديولا إنه لا يجيد اللعب على الأطراف وأنه يريد اللعب في المنتصف. انقلب الملعب رأسًا على عقب، صارت الكرات كلها تذهب إلى ميسي .. تكلّمت مع جوارديولا بنصيحة من الآخرين الذين قالوا: "اذهب له وستصير الأمور على ما يُرام."

ولكن بدأت الحرب، لم يعد يكلمني ولا ينظر ناحيتي رغم أنه يقول: "صباح الخير" للجميع. لستُ من النوع الذي يكترث لمثل هذه الأمور، ولكن تذكر أنا لستُ إبرا القديم الآن. أثّر هذا الأمر فيّ كثيرًا، فعندما يرأسك رئيس يتجنبك يؤثر عليك هذا. لم أكن وحدي من لاحظ الأمر، بل آخرون تساءلوا: "ماذا يحدث؟ عليك أن تتكلم معه."

ولكن لا، لقد اكتفيتُ من الحديث مع هذا الرجل، لن أتودَّد إليه أبدًا. بدأت ألعب بجدٍّ أكثر رغم موقعي الجديد في الملعب، أحرزت خمسة أهدافٍ أو ستة في ظل معاملة باردة تمامًا من جوارديولا .. فهمتُ الأمر الآن.

لم يكن الأمر متعلقًا بطريقة لعبي، ولكن بشخصيتي. هل قلتُ له شيئًا؟ هل أبدو غريبًا؟ فكرتُ في كل الاحتمالات، نقّبت في كل اجتماع وكل حديث. لم أجد شيئًا، كنتُ هادئًا مطيعًا.

أفسد جوارديولا أكبر استثمارٍ للنادي في حين أن أهم مباريات دوري أبطال أوروبا في انتظارنا. سنلعب أمام أرسنال، بقيَ الوضع على ما هو عليه .. أعلم أن جوارديولا يريد تركي في برشلونة ولا أسافر إلى أرسنال، ولكنه لا يجرؤ. بدأتُ المباراة إلى جوار ميسي في المقدمة.

ولكن هل أعطاني أي تعليمات؟ لا، لا شيء على الإطلاق؟ كنا في ملعب الإمارات، ملعب ضخم جدًّا والصحافة في كل مكان تصبُّ تركيزها عليّ، كما قالوا: "زلاتان لا يسجّل في الأندية الإنجليزية." عقدتُ مؤتمرًا صحفيًّا وقلت لهم: "انتظروا وشاهدوا .. سأريكم!"

لم يكن الأمر سهلًا، ليس وجوارديولا مدربي، لكنه اختفى تمامًا من عقلي فور نزولي الملعب. أضعت بعض الفرص على المرمى وخارجه. كان من المفترض أن أُسجّل، ولكن لم يحدث شيء حتى انتهى الشوط الأول بتعادل سلبي.

توقعت أن يضعني جوارديولا على مقاعد البدلاء، ولكنه تركني أكمل المباراة. بدأ الشوط الثاني وسرعان ما حصلتُ على تمريرة من بيكيه وأسرعتُ بها، قابلني مدافع قريبٌ مني ثم خرج حارس مرماهم للحصول على الكرة، رفعت الكرة من فوقه فوجدت طريقها نحو الشباك مباشرةً. وبعد عشر دقائق حصلت على كرة أخرى من تشافي جريت نحوها كالسهم، ولكن هذه المرة لم أرفعها بل ضربتُها بمنتهى القوة معلنًا

عن الهدف الثاني، والآن وقد صارت المباراة في أيدينا ماذا يفعل جوارديولا العبقري؟ هل يصفق لي؟ لا طبعًا، أخرجني العبقري.. تعادل أرسنال 2-2.

لم أشعر بشيء طوال المباراة، ولكن داهمني ألم في ساقي بعدها، ساء رويدًا رويدًا. يبدو أني سأغيب عن مباراة العودة والكلاسيكو الثاني، لم أحصل على أي دعم من جوارديولا. كما أنه لعب معي بعض الألاعيب الذهنية، أدخل غرفة فيغادرها، لم يرغب في وجودي بالقرب منه .. الأمر جنوني!

لا أحد يفهم ما يحدث؛ لا الإدارة، ولا اللاعبون، ولا أي أحد على الإطلاق. ولكني في الوقت نفسه لا أقلل من قيمته ولا أقول إنه مدرب غير جيد، ولكن لا بد أنه يعاني مشكلات كبيرة، لا يمكنه التعامل مع لاعبين مثلي، ربما لأنه يخاف أن يفقد سلطته. شيء غريب، أليس كذلك؟ هذا النوع من المدربين الذين يمتلكون السلطة ولا يتعاملون مع الكبار .. مدربون جبناء.

لم يطمئن جوارديولا على إصابتي على أي حال، لم يجرؤ أصلًا. حدّثني عن الأمر قبل نصف نهائي دوري أبطال أوروبا أمام إنتر ميلان. تعامل بطريقة غريبة وأفسد الأمور، وكما قلتُ من قبل كان مورينيو محقًّا، لم يفز برشلونة بدوري الأبطال، بل فعلها إنتر. تعامل معي جوارديولا بعدها وكأني المخطئ، تكاد الأزمة تنفجر.

وقف هنري في صفي، فَهِمَ الوضع وتبادلنا النكات، قلّل بعض الشيء من الضغط الواقع عليّ، ثم بدأت لا أكترث بالأمر. ولأول مرة أشعر بعدم أهمية كرة القدم، قضيتُ وقتي مع ماكسي وفينسنت وهيلينا، أصبحنا جميعنا أقرب لبعضنا البعض، أسرتي أهم شيء في حياتي .. هذه هي الحقيقة.

ولكني لم أتجاهل الأجواء في النادي والانفجار الذي على وشك أن يقع. بعد مباراة فياريال ذهبنا إلى غرفة تبديل الملابس، صرخت في وجه جوارديولا وقلت له إنه أهان

نفسه أمام مورينيو. نشبت حرب بين الفيلسوف الصغير الذي لم يكن يجرؤ على النظر في عيني وأنا الهادئ الحريص فترةً طويلة، ولكني عدتُ لسابق عهدي الآن.

تجاهلني جوارديولا تمامًا، وكنت أبقى مستيقظًا ليلًا أفكّر في كل شيء، تُرى ما الخطوة التالية؟ ماذا عسايَ أن أفعل؟ شعرتُ أن جوارديولا يريد الانتقام، سيكلف هذا النادي عشرات الملايين، ولكنه لا يكترث. سنلعب آخر مباراة في الدوري، وضعني في قائمة البدلاء، ولا عجب. ولكنه فجأة يريد أن يتكلم معي الآن. استدعاني إلى مكتبه صباحًا. كان الوضع باردًا ميتًا بيننا ولم نتكلم منذ انفجاري في وجهه بعد مباراة فياريال. لكنه كان متوترًا وعيناه هائمتان.

– حسنًا .. لا أعلم فيمَ أحتاجك الموسم المقبل.

– حسنًا.

– الأمر عائد إليك وإلى رايولا .. أعني أنك إبراهيموفيتش، لا تحب أن تبقى جليس المقاعد كثيرًا.

أراد الحصول على إجابة مني، ولكني لست غبيًّا. أعلم جيدًا أن من يتحدث بهذا الشكل يخسر، ولذا آثرت السكوت ولم أعقّب. ولكني أعلم أنه يبعث إليّ برسالة، ليست واضحة فعلًا ولكنه يريد الخلاص مني .. وليس هذا هينًا. أنا أكبر استثمار قام به برشلونة. جلست هادئًا فأكمل:

– لا أعلم فيمَ أحتاجك .. اسمعني رأيك.

– هل انتهيت؟

– نعم، لكن ..

– شكرًا.

بدوت قاسيًا وقويًّا، على الأقل هذا ما أردته .. ولكني كنت أشتعلُ من الداخل، اتصلت برايولا فور خروجي.

(25)

أحيانًا أذهب بالأمور إلى أقصاها. لا أعرف، لطالما لازمني هذا الأمر منذ نعومة أظفاري. عندما يهتاج أبي كالثور إثر سكره يخشاه الجميع أو يهربون منه، ولكني أقف في وجهه رجلًا لرجل صائحًا: "توقف عن السكر!" فيستشيط غضبًا ويقول: "هذا بيتي وهذه أفعالي، سأطردك!"

كما يصبح الأمر فوضويًا أكثر فينتفض البيت. لكني لم أصارعه جسديًا قط، فهو صاحب قلب كبير، ولكني جاهز لمصارعته فعلًا.

كنت جاهزًا لكل شيء، وأحيانا أعي أن ما أفعله شيء عقيم سيؤدي إلى المزيد من الصراع والحنق، لا يجب أن نأخذ الأمور إلى هذه الدرجة، إلا أني فعلتُ. لا تظن أني فخور بأني بلطجي البيت، بل أشرح لك كيف كانت الظروف.

بنيتُ شخصيتي هذه مبكرًا، أقف للآخرين ولا أهرب، وليس فقط مع أبي، بل مع الكل. كانت طفولتي مليئة بالمتنمرين الذين يستشيطون غضبًا لأتفه الأسباب كأمي وأخواتي وزملائي. ومنذ ذلك الحين لديّ الرغبة الدائمة في العراك، من يريد أن يتعارك؟ أنا دائمًا جاهز للعراك.

هذه ما اخترته بنفسي، والآخرون في أسرتي اختاروا طرقًا أخرى. سانيلا طريقها المشاعر، وأنا طريقي العراك. لو عبث أحدهم معي أعبث معه بشدة. هذه طريقتي في التعامل، واعتدت ألا أكتم الأمر، بل أعلنه وكأني أقول: "أنت رجل جيد، رجل طيب،

ولكن .." أقول له مباشرةً "عليك أن تستجمع شتات رجولتك." وأتحمل عقبات ما أقوله. تلك كانت طفولتي، ولكني تغيرت كثيرًا منذ أن وطئت قدماي برشلونة. قابلت هيلينا والولدين وهدأ روعي، قالت لي: "اهدأ ودع العاصفة تمر" ولكني قرّرت أن أدافع عن نفسي في النادي وأثبت ما أؤمن به. نحن الآن في مطلع صيف **2010**، سيُلعب كأس العالم في جنوب أفريقيا .. استقال خوان لابورتا من منصبه.

سيُنتخب رئيس جديد، وأمور كتلك تخلق فوضى. يشعر الناس بالقلق، فاز في الانتخابات رجل اسمه ساندرو روسل. كان روسل نائبًا لرئيس برشلونة حتى **2005**، وهو صديق لابورتا. ولكن انقلبت الأمور وصارا عدوين، ولذا قلق الجميع. هل يمحو روسل الفريق القديم؟ لا أحد يعلم. استقال المدير الرياضي قبل أن يفصله لابورتا، حينها سألت نفسي: "هل سأدخل في هذا الصراع؟"

اشتراني لابورتا بمبلغٍ خرافي، لا بد أن روسل سيريد التفوق عليه، وأن يثبت له أن هذا الاستثمار كان فكرة غبية. قالت الصحافة أيضًا إن أول مهمة لروسل هي التخلص مني. لا تعلم الصحافة بما يدور بيني وبين جوارديولا، ولا حتى أنا. ولكن الصحافة تعلم أن خطبًا ما يقع، والحق يُقال فإنك لا يجب أن تكون خبيرًا ببواطن الأمر كي تفهم. لم أكن سعيدًا كما أني لا أتفاعل على أرض الملعب. حطّمني جوارديولا، أتذكر رايولا حينما اتصل برئيس النادي الجديد وقال له ما قاله جوارديولا لي.

– ماذا يعني هذا الرجل بحق الجحيم؟ هل يحاول التخلص من زلاتان؟

– لا، لا .. جوارديولا يحتاجه.

– ولكن لِمَ قال ما قاله؟

لم يجب روسل، فالرجل انتُخب مؤخرًا، ولا أحد يعرف ما يحدث. فزنا بالدوري وجاءت العطلة. احتجتُ لعطلة منذ فترة طويلة، أردتُ الهروب بعيدًا. سافرتُ مع هيلينا إلى لوس أنجلوس وفيجاس وكل مكان. حينها كنت أشاهد كأس العالم محبطًا،

فالسويد لم تتأهل. لا أريد أن أفكر في كرة القدم على الإطلاق. حاولتُ كبت الفوضى التي تركتُها خلفي في البرسا. ولكن لم يدم الأمر طويلًا. الأيام تمر واقترب موعد عودتي، عاودت الأسئلة طرح نفسها. تُرى ماذا سيحدث؟ ماذا أفعل؟ شغل الأمر بالي، وهناك حلٌ واضح. يمكن أن أعرض نفسي للبيع .. ولكني لا أريد التخلي عن حلمي بهذه السهولة. مستحيل! قررت أن أعود للقتال في التدريب وأصبح أفضل.

لن يكسرني أحد، سأريهم جميعًا .. ولكن تُرى ماذا حدث؟ لم أحصل على الوقت الكافي لأريهم، لم أكد أرتدي حذائي حتى استدعاني جوارديولا مجددًا. نحن الآن في التاسع عشر من يوليو، وأغلب لاعبي الفريق لم يعودوا من كأس العالم. الجو هادئ، حاول جوارديولا إجراء مناقشة قصيرة معي. كانت لديه مهمة محددة، كما بدا عليه التوتر وعدم الراحة، إلا أنه حاول أن يكون مهذبًا لأجل هذا الأمر.

– كيف كانت عطلتك؟

– جيدة .. جيدة.

– وكيف تشعر قبل الموسم الجديد؟

– سأقدم كل ما لديّ.

– أنت ..

– نعم ..

– عليك أن تعتاد الجلوس بديلًا.

هذا أول يوم في الإعداد للموسم الجديد، لم يرني ألعب ولو حتى دقيقة. لا يمكن تفسير ما قاله إلا كهجومٍ شخصي.

– حسنًا .. فهمت!

– وأنت تعلم أننا تعاقدنا مع دافيد بيا من فالنسيا.

دافيد بيا لاعب قوي دون شك، وهو أحد نجوم المنتخب الإسباني الحائز على كأس العالم هذا العام، ولكنه يلعب جناحًا، وأنا ألعب في المنتصف، فما دخله بي؟ أردف جوارديولا:

– ما رأيك؟

– تُرى ما رأيي؟

– نعم.

– سأعمل بجدٍ أكبر للحصول على مكان أساسي في الفريق .. سأقنعك بأمكاناتي.

لم أصدقه القول، ولم أتحمل مدربًا كجوارديولا قط، فلسفتي دائمًا تقوم على أن أدع مهاراتي تتحدث عني، ولكني أردت أن أسمع ما لديه. قال لي:

– أعرف هذا، ولكن كيف سيجري هذا؟

كان أمرًا سخيفًا، وأظنُّ أنه أراد استفزازي لأصيح له: "لن أقبل بهذا، سأرحل عن الفريق." كي يقول بعدها "زلاتان يريد الرحيل وليس هذا قراري." صحيح أني عصبي ولكني أعرف أيضًا كيف أتحكم بنفسي، لن أكسب شيئًا لو عرضتُ نفسي للبيع، ولذا شكرته على اللقاء ومشيت.

أما بداخلي فكان بركان ثائر، ولكني فهمت مراده، هذا الرجل لن يدعني ألعب حتى لو كنتُ أحلّقُ في الهواء. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: "كيف سأتعامل مع هذا الوضع؟ وكيف سأذهب إلى التمرين يوميًا وأقابله؟" عليّ أن أغير خطتي، فكرت في الأمر طوال الوقت.

ذهبنا إلى كوريا الجنوبية والصين في معسكرٍ تدريبي، وهناك لعبت بعض المباريات دون أي فائدة تُذكر. لم يعد أغلب اللاعبين المهمين من كأس العالم، وما زلتُ المغضوب عليه.. كما نبذني جوارديولا. لو أراد شيئًا كان يرسل آخرين لينقلوا كلامه، جُن

جنون الصحافة. أصبحت سيرتي مجمل حديث الصحافة، ماذا سيحدث لزلاتان؟ هل سيرحل؟ هل سيبقى؟ جرى الوضع كذلك على جوارديولا. كان يُسأل عني فيجيب "زلاتان هو من يحدد مستقبله."

استفزني كلامه، أردت تفجير الوضع .. تطور الموضوع ووصل إلى وضعٍ جديد، لم تكن حربًا فقط، بل أيضًا ترقبًا لما يحدث في سوق الانتقالات، ولحسن الحظ يعمل لصالحي أفضل وكيل أعمال في العالم .. مينو رايولا. تحدثنا طوال الوقت، قرّرنا أن نلعب بعنف، فجوارديولا لا يستحقُ غير ذلك.

اجتمعت في كوريا الجنوبية مع رجل يُدعى جوزيب ماريا بارتوميو، نائب رئيس النادي. جلسنا في فندق وتحدثنا، على الأقل الرجل كان واضحًا فيما يقوله.

– زلاتان، لو جاءتك عروض أرجو أن تنظر في أمرها.

– لن أرحل .. أنا لاعب في برشلونة، سأبقى في برشلونة.

بدا عليه الاندهاش.

– ولكن كيف سنحل هذه المعضلة؟

– عندي فكرة.

– وما هي؟

– اتصل بريال مدريد.

– لماذا؟

– لأني لو رحلت عن برشلونة أريد أن أذهب إلى الريال، بإمكانك إنجاح هذا الأمر.

بدا خائفًا فقال:

– لا بد أنك تمزح!

– أبدًا، فهناك مشكلة .. لدينا مدرب لا يقوى على أن يقول لي إنه لا يريدني في الفريق، أريد أن أبقى. ولكن إذا أراد المدرب التخلُّص مني عليه أن يقول ذلك بنفسه بوضوح وشفافية. كما أن النادي الوحيد الذي أريد الرحيل إليه هو ريال مدريد.

تركته ورحلت، والآن صارت الأمور واضحة. بدأ السباق، أتيتُ على ذكر ريال مدريد رغم أني لا أقصد هذا، ولكنه مجرد استفزاز .. لعبة استراتيجية. أما في الواقع فالخياران المتاحان أمامي هما مانشستر سيتي وميلان. أعلم بشأن الأمور الرهيبة التي حدثت في السيتي والأموال التي ضختها دولة الإمارات العربية المتحدة في الفريق. قد يصبح السيتي أحد كبار الدوري الإنجليزي في غضون أعوام، ولكني أوشك على إتمام التاسعة والعشرين من عمري. لا وقت لديّ للمشروعات الطموحة على المدى البعيد، كما أن المال ليس همي الأكبر. أريدُ أن أذهب إلى فريقٍ جيد، ولا فريق في أوروبا يمتلك تاريخ ميلان .. سأذهب إلى ميلان.

فكّرت في الأمر ووجدته مذهلًا، فمنذ أن تكلم جوارديولا عن مسألة مقاعد البدلاء ونحن نخوض حربًا، قمت بالضغط على جوارديولا والإدارة. تلك كانت خطتي، سأضغط عليهم حتى يسمحوا لي بالرحيل بثمنٍ متواضع، وهذا سيساعدني على الحصول على عقدٍ جديد. اجتمعنا مع روسل، الرئيس الجديد، لاحظ الآن أنه دخل جحر الثعلب.

لم يفهم الرجل حقيقة المشكلة بيني وبين جوارديولا، فَهِمَ فقط أن الموقف لن يُحل وأنه يجب بيعي، إلا إذا أراد إقالة المدرب. ولكنه لا يقدر على هذا، وخصوصًا بعد النجاح الذي حققه في النادي. لا خيار أمام روسل، لا يهم الآن ما إذا كان يحبني أو يكرهني، عليه الخلاص مني.

– آسف جدًا، ولكني مضطر لهذا.. هل من نادٍ معين تريد الذهاب إليه؟

– نعم، هناك.

– حسنًا جدًّا .. أي نادي؟

– ريال مدريد!

اصفرَّ وجه الرجل لأن بيع لاعب من برشلونة لريال مدريد يُعد خيانة عظمى.

– لا يمكن .. أي شيء ماعدا هذا.

ارتعش الرجل وأصبح جاهزًا للعبتنا، فقلت له:

– أنت سألتَ وأنا أجبتُ. أقولها لك مجددًا.. النادي الوحيد الذي أرغب فيه هو ريال مدريد. أحب مورينيو، ولكن عليك أن تتصل بريال مدريد وتخبرهم بنفسك، أليس كذلك؟

ارتعب روسل، فقد اشتراني النادي بسبعين مليونًا، والآن يقع تحت ضغط الحصول على المبلغ نفسه، ولكن إذا باعني إلى ريال مدريد سيضربه الجمهور بالرصاص.

ليس الأمر باليسير على الإطلاق، أقصد بالنسبة له. لن يبقيني بسبب المدرب، وفي الوقت نفسه لا يستطيع بيعي لجيش العدو، والآن خسر برشلونة زمام المبادرة. أردفنا:

– ولكن انظر كيف ستتم العملية بسهولة.. مورينيو نفسه قال إنه يريدني.

– لا.

– حسنًا، ريال مدريد هو النادي الوحيد الذي أود الذهاب إليه.

خرجت مع رايولا والابتسامة تعلو شفتينا، قلنا ريال مدريد في حين أن المفاوضات تجري مع ميلان. عندما ييأس روسل لن يكون الأمر جيدًا لبرشلونة، ولكن الأمر جيد بالنسبة لميلان. كلما زادت رغبة روسل في بيعي صارت الصفقة أرخص، وهذه ميزة بالنسبة لنا. من المفترض أن تنتهي الانتقالات رسميًّا في الحادي والثلاثين من أغسطس،

وفي السابع والعشرين من أغسطس سنلعب مباراة ودية مع ميلان في الكامب نو. لم يتم الأمر بعد، ولكن بدأت الصحافة تتكلم، هناك توقعات في كل مكان. قال جالياني، نائب رئيس ميلان إنه لن يغادر برشلونة إلا ومعه إبراهيموفتيش.

وفي الملعب رفعت الجماهير لافتة: "ابقَ يا زلاتان!" كما أن هناك تركيزًا كبيرًا ينصبُّ عليّ. ولكنها مباراة رونالدينهو في المقام الأول، اللاعب المُعظّم في برشلونة الآن في ميلان والحاصل على جائزة أحسن لاعبٍ في العالم لعامين متتاليين. من المفترض أن نشاهد أمتع مهاراته على شاشة الملعب، كما أنه سيجول الملعب تكريمًا له .. لكن الرجل يفعل ما يريد.

جلسنا في غرفة تبديل الملابس ننتظر دخول الملعب، نسمع زئير الجمهور بالخارج. لم ينظر جوارديولا ناحيتي بالطبع. سألت نفسي: "تُرى هل هذه آخر مباراة لي مع برشلونة؟ هي سيتم الأمر؟" ما عندي إجابة. قفز الجميع من أماكنهم، أخيرًا ظهر رونالدينيو في أُهبته .. أحد أبرز لاعبي العالم، الكل ينظر إليه. ناداني وقال مبتسمًا:

– إبرا!

– هل أعددتَ حقيبتك؟ أنا هنا لآخذك إلى ميلان.

ضحك الجميع وهم يتوقعون أنها نكتة من رونالدينيو كالعادة. كنتُ أعلم الأمر مسبقًا، ولكن لم يسمع أحد عن الأمر بهذه الصراحة، والآن تكرر الأمر. سألعب أساسيًّا، المباراة لا تعني لي شيئًا على الإطلاق.

كرّر رونالدينيو نكتته، وانتشرت صورنا معًا في أثناء المباراة .. زاد الأمر جنونًا في النفق المؤدي للملعب بين الشوطين، وجدت كبار ميلان كبيرلو، وجاتوسو، ونيستا، وأمبروزيني يصيحون:

– عليك أن تأتيَ يا إبرا .. نحتاجك!

كان ميلان يعاني في تلك الفترة بعد أن سيطر إنتر على الدوري الإيطالي، كما أن كلّ مَن في ميلان يشتاق إلى الأيام الخوالي، كما علمت أيضًا أن عددًا من كبار اللاعبين ضغطوا على الإدارة، ومنهم جاتوسو.

– اشتروا إبرا بحق الجحيم! نحتاج إلى مقاتلٍ معنا.

ولكن الأمر ليس باليسير، لم يعد الميلان غنيًا كما مضى، كما أن روسل برغم يأسه لن يقبل بسعرٍ زهيد. يريد خمسين مليونًا.. أربعين مليونًا كحد أدنى. ولكن رايولا مارس ألاعيبه القوية:

– لن تحصل على شيء، سيذهب إبرا لريال مدريد .. لا نريد ميلان.

– ماذا عن ثلاثين مليون؟

عقارب الساعة تدقُّ، وكلما دقّت هبط السعر الذي يطلبه روسل. زارني جالياني في بيتي في الجبال. جالياني ممتلئ الجسم وصديق قديم وشريك بيرلسكوني. كما أنه صلب جدًا في المفاوضات. تعاملت معه من قبل حينما كنتُ أحاولُ الرحيل عن يوفنتوس، حينها قال: "إما أن تقبل هذا العرض وإما فلا." كان يوفنتوس يعاني حينها وأراد جالياني أن يستغل الوضع.

أما الآن فالوضع مختلف، لن يعود أدراجه بدوني، خصوصًا بعد الوعود التي قطعها والضغط الواقع عليه من اللاعبين والمشجعين. كما أننا ساعدناه وخفضنا السعر كثيرًا، سيحل على خدماتي بثمنٍ بخس. قلت له:

– هذه شروطي .. إما هذا وإما فلا.

فكّر وتصبّب عرقًا .. لم تكن الشروط مجحفة.

– حسنًا.

– حسنًا.

تصافحنا واستمرت المفاوضات بخصوص سعري، وهذه الأمور تتم بين الناديين ولا دخل لي بها. ولكن الوضع صعب، وتدخلت عوامل كثيرة، ومنها الوقت. زاد توتر روسل كلما دقّت عقارب الساعة، انخفض سعري كثيرًا، تمت الصفقة بعشرين مليون يورو.. بسبب شخصٍ واحد انخفض سعري من سبعين مليون إلى عشرين مليون. بسب مشكلات جوارديولا اضطر النادي لعقد صفقة كارثية، نقلت هذا لروسل، لا لأني أريد هذا، ولكن لكي يعلم. لا بد أنه كان محرومًا من النوم؛ أعني أني قد أحرزت اثنين وعشرين هدفًا وصنعتُ خمسة عشر هدفًا في أول مواسمي، ومع ذلك فقدت 70% من قيمتي المادية، تُرى خطأ من هذا؟ يعلم ساندرو روسل الإجابة جيدًا.

– أريدُك أن تعلم ..

– حسنًا.

– أني سأوقع على أسوأ صفقة في حياتي كلها .. سأبيعك مجانًا يا إبرا.

– هذا ما تجنيه علينا العلاقات السيئة.

– أعلم أن الأمر عُومل بشكلٍ سيئ.

هكذا قال ووقع على الأوراق. والآن حان دوري، أمسكت القلم والكل ينظر إليّ، شعرت أني بحاجة لأن أقول شيئًا. لا أعلم ما إذا كان الوقت مناسبًا أم لا، ربما كان يجب عليّ أن أبقى صامتًا، ولكني أريد التعبير عن نفسي.

– لديّ رسالة إلى جوارديولا ..

شاع التوتر بين الناس، تُرى ماذا سيحدث الآن؟ ألم يكفِ ما حصل؟ ألن يوقع الرجل على الورق وينتهي الأمر؟

– أهذا ضروري؟

– نعم .. أريد فقط أن أقول له ..

ثم قلت ما كنت أريد أن أقوله.

عدتُ إلى سابق عهدي مجددًا، وكأني استيقظت لتوي من كابوس مرعب، ولأول مرة منذ فترة طويلة أشتاقُ إلى لعب كرة القدم. ذهبت كل أفكاري عن الاعتزال وبدأت فترة جديدة ألعب فيها من أجل المتعة. تعاملت من قبل مع كابيلو ومورينيو، وهما من أكثر المدربين انضباطًا في العالم، ولم أعانِ معهما .. ثم جاء جوارديولا، رأسي يغلي كلما فكّرت في الأمر. وأتذكر عندما قلت لرايولا:

- لقد أفسد كل شيء.

- زلاتان!

- نعم؟

- الأحلام قد تتحقق وتجعلك سعيدًا.

- نعم.

- وقد تتحقق أيضًا وتجعلك تعيسًا.

***

(26)

ازداد الاهتمام بشكل جنوني، وما زلت أذكر شيئًا أو اثنين قالهما ماكسويل. لم يكن الشيء الأول جيدًا، قال: "لماذا ينظر إليك الجميع؟" قلت له: "ربما لأني ألعب كرة القدم؟ يشاهدني الناس على شاشات التلفاز، ويعرفون أني لاعب ماهر." ثم أردفت: "لستُ بهذا السوء."

سأل ماكسي: "لماذا ينظر الناس إليّ؟" وهو شعور داهمه منذ قدومه إلى ميلان معي. الأدهى من ذلك أنه أضاف "لا أحب أن ينظر إليّ الناس هكذا!" أشعر بحساسية حيال أمورٍ كتلك، هل سيشعر أنه مختلف كذلك؟ أكره عندما يشعر الأطفال أنهم مميزون، من باب أنهم لا ينتمون لهذا المكان أو ربما لأني قضيتُ طفولتي أعاني هذا الأمر "زلاتان لا ينتمي لهذا المكان إنه يشبه كذا وكذا."

حامت تلك الأشياء برأسي، حاولت أن أبقى طوال الوقت برفقة ماكسي وفينسنت. إنهما طفلان رائعان وخشنان أيضًا، ولكن الأمور ليس بهذه السهولة، زادت الفوضى، وعندما تحدثت مع الصحفيين خارج الكامب نو عدتُ إلى هيلينا.

لم تخطط للانتقال سريعًا، ربما أحبت البقاء. ولكنها تفهم أيضًا أني لن أرتاح في الملعب ما دمتُ قد عوملت كمنبوذ، وهذا يؤثر في الأسرة كلها. قلت لجالياني: "أريد أن أذهب إلى ميلاني بأسرتي كلها؛ هيلينا والولدين، والكلب، ورايولا." فوافق على

الفور. من الواضح أنه أعدَّ لي شيئًا مميزًا، ركبنا جميعًا طائرة خاصة وغادرنا برشلونة. أتذكر الهبوط في ميلانو، وكأن أوباما نفسه جاء في زيارة. وجدت ثماني سيارات أودي في انتظارنا وسجادًا أحمر. خرجتُ من الطائرة حاملًا فينسنت.

عَقَدَ معي عددٌ من المراسلين لقاءً صحفيًا لعدة دقائق؛ بعضهم من قناة ميلان وسكاي سبورت. وجدتُ مئات المشجعين يصرخون على الناحية الأخرى من السور. الأمر جلل، يمكن الشعور بهذا. انتظر النادي وقتًا طويلًا كي يتم الأمر. مرّت خمسة أعوام على ذكرى قديمة حجز فيها بيرلسكوني طاولة في مطعم جيانينو للتوقيع معي، قالت الصحافة حينها إن إبراهيموفيتش صار لاعبًا لميلان .. انقلب الأمر.

ولكن التاريخ يعيد نفسه الآن، لم يتوقع أحد ردود الأفعال. أتذكر هؤلاء المشجعين خلف السور يصيحون: "إبرا! إبرا!"

ركبت إحدى سيارات الأودي المصطفة وسرنا في شوارع المدينة. الوضع فوضوي، فقد وصل زلاتان! كانت هناك سيارات ودراجات نارية وكاميرات تلفازية تلاحقنا. يغلي الدم في عروقي الآن، يا له من ثقبٍ أسود كنت حبيسًا بداخله في برشلونة! وكأني كنتُ حبيس زنزانة ثم خرجت وحيّاني الناس. تكرر الشعور نفسه في كل مكان. ميلان كلها تنتظرني، والكل يريدني أن أتحمل مسؤولية النادي. من المتوقع أن أُعيدَ البطولات للنادي، أحببتُ هذا بصراحة.

أغلقت الشرطة الشارع المؤدي إلى فندق بوسكولو الذي سنبقى فيه. كان الناس بالخارج يصرخون ويلوّحون. أما داخل الفندق فاصطفّ العاملون وأطلقوا صيحاتهم. في إيطاليا يُعامل لاعبو كرة القدم كالآلهة. حصلنا على جناح كبير جدًا. كل شيء تحت السيطرة. ميلان نادي قوي وعريق، والحق يُقال إني كنتُ أرقصُ فرحًا بداخلي. أريدُ اللعب، في اليوم نفسه كان ميلان يلعب أمام ليتشي .. أولى مباريات الدوري، قلت لجالياني إني أريد اللعب. ولكن لا يمكن، ما زلتُ لم أنهِ أوراقي. ولكني ذهبت إلى

الملعب، سأُقدَّم إلى الجماهير بين الشوطين، لن أنسى هذا الشعور ما حييت. لم أرد الذهاب إلى غرفة تبديل الملابس.. لا أريد العبث مع ترتيبات النادي. ولكن بالقرب من المكان هناك ردهة جلستُ فيها مع جالياني وبيرلسكوني وأسماء أخرى كبيرة. قال بيرلسكوني:

– أنت تذكرني بلاعبٍ كان بين صفوفنا.

شعرت أني أعلم هذا اللاعب .. ولكني آثرت الأدب.

– من؟

– لاعب ينجز الأمور بنفسه.

كان يتحدث عن ماركو فان باستن. رحَّب بي بيرلسكوني في النادي وقال: "إنه لشرفٌ عظيم" وحيّاني بقية الموظفين، ثم خرجنا معًا إلى المنصة. جلستُ على بعد مقعدين من بيرلسكوني لاعتباراتٍ سياسية. هناك الكثير من الأقاويل حول هذا الرجل، ولكنه يبقى مسالمًا وهادئًا، بحسب حساب ما سيأتي لاحقًا. وبعد شهرين انفجرت قنبلة الشائعات المحيطة ببيرلسكوني فيما يخص الفتيات والمحاكمات. ولكنه يجلس الآن راضيًا، شعرتُ بالأجواء. عاد الجمهور ليصيح باسمي مجددًا، نزلتُ إلى الملعب على سجادٍ أحمر فوقه منصة صغيرة. انتظرت جانبًا مدة طويلة .. هكذا شعرتُ. كان الملعب يغلي بأكمله. امتلأ السان سيرو بالكامل رغم موسم العطلات. دخلت المنصة وسط صيحات الجمهور، ها قد عاد زلاتان. لم أشعر بمثل هذا في كامب نو إلا قليلًا. وقف حولي عددٌ من الأطفال، حييتهم جميعًا في طريقي إلى المنصة.

قلتُ بالإيطالية: "والآن، سنفوز بكل شيء." انفجر الملعب، ارتديت قميصًا عليه اسمي فقط دون رقم، لم أكن قد حصلت على رقم حينها. عُرض عليّ بعض الأرقام كي أختار من بينها، ولكن ليس من بينهم رقم مميز. ربما أحصل على القميص رقم **11** مثل الذي يرتديه كلاس يان هونتلار المعروض للبيع الآن، سأضطر للانتظار لبيعه. على أي

حال بدأت المعركة، لا بد أن أضمن فوز ميلان بأول بطولة دوري منذ سبعة أعوام. سيبدأ عهدٌ ذهبي جديد .. أعدُهم بهذا.

حصلت على حرّاس شخصيين لي ولهيلينا، ولربما ظن البعض وقال: "ما كل هذه الرفاهية؟" ولكنها ليست رفاهية، فهناك فوضى في كل مكان حول اللاعبين في إيطاليا. يعانون ضغطًا هائلًا، كما أن بعض الأمور العجيبة تحدث. عندما كنت في إنتر وحانت مباراة ميلان في سان سيرو كانت سانيلا عندنا، خرجتُ مع هيلينا وأقلتنا سيارة مرسيدس كبيرة في حين كانت الفوضى تعمُّ الملعب من خارجه. اضطرت هيلينا لقيادة السيارة ببطء وكان الناس ينظرون ليعرفوا مَن هي، وفجأت ظهر شابٌّ على دراجة نارية اقترب بشدة منها وكسر المرآة الجانبية.

لم تعلم هيلينا ما إذا كان الحادث متعمدًا أم لا، ثم نظرت في المرآة وهي تصلحها فلاحظت شابًا آخر يضع خوذة يسرع نحوهما.. يبدو أنه فخ! كانت سيارة جديدة لا تعرف هيلينا خباياها، لم تسرع هيلينا ففاجأها الشاب وأصاب وجهها. تحطمت السيارة وحاولَ الشاب جرّها خارج السيارة، ولكن لحُسن الحظ كانت سانيلا برفقتها، جذبتها داخل السيارة مرة أخرى. كان أمرًا جنونيًا، مسألة حياة أو موت.

شعرت بقيمة عراقة ميلان،حيّيت جميع أساطير الفريق؛زامبروتا،ونيستا، وأمبروزيني، وجاتوسو، وبيرلو، وأبياتي، وسيدورف، وإنزاجي، والشاب البرازيلي الصغير باتو، والمدرب أليجري القادم لتوه من كالياري ولا يحمل خبرة كبيرة، لكنه يبدو جيدًا. يشكك فيك البعض عندما تذهب لفريقٍ جديد أحيانًا، البعض يتساءل عن مكانتك. هل تظن أنك النجم الآن؟ ولكن هنا، شعرت بهذا في الحال. لقيت منهم احترامًا كبيرًا، ولكن بعد هذا قال لي الكثيرون: "زادت قيمتنا بنسبة 20%، قدومك انتشلنا من الظلمات إلى النور." لم يكن ميلان يعاني ماديًا فقط منذ سنوات عديدة، ولكنه لم يعد النادي الأفضل في المدينة.

فرض إنتر سيطرته، لطالما فعل منذ قدومي إليه عام 2006 بفضل الشخصية التي بناها كابيلو بداخلي. علمني أن التدريب مهمٌّ بقدر أهمية المباراة، قال لي: "لا تتدرب بلطف وتلعب بعنف، بل حارب وقاتل في كل لحظة، وإلا ستجدني أمامك." مررتُ على اللاعبين أضحك معهم كعادتي في كل مكان أذهب إليه .. ما عدا برشلونة طبعًا. يذكرني هذا الأمر بأيامي في إنتر، حينها كان الرفاق وكأنهم يقولون: "قُدنا! قُدنا!" والآن سيتغير ميزان القوى من جديد. الآن أذهبُ إلى كل تمرين بمنتهى القوة، عدتُ لأصرخ في وجه الناس مثلما فعلتُ قبل أيامي في برشلونة.

كان هناك شابٌّ جديد في النادي اسمه روبسون دي سوزا .. يطلقون عليه اسم (روبينيو)، شاركت في انتقاله للنادي. سألني جالياني عندما كنّا في برشلونة: "ما رأيك في روبينيو؟ هل تعلب معه؟" فقلت: "إنه لاعب رائع، أحضره وستجري الأمور على ما يُرام تلقائيًا."

اشتراه النادي بثمانية عشرة مليون يورو، وهو مبلغ زهيد.. تلقى جالياني ثناءً على هذه الصفقة. اشتراني أنا وروبينيو بسعر البيع. ومنذ فترة كان قد تعاقد مانشستر سيتي مع روبينيو بضعف هذا المبلغ تقريبًا. روبينيو الشاب الأعجوبة الذي ساءت عاقبته. لا أحد أفضل من الأسطورة البرازيلية بيليه، وهو من كان يدير أكاديمية شباب سانتوس في التسعينيات. كما أن سانتوس كان النادي الذي لعب له بيليه، وكتب تاريخًا كبيرًا فترةً من الزمن. حلم الناس أن يجد بيليه جوهرة جديدة، بيليه جديد! رونالدو جديد! ولا يولد لاعب مثلهما في البرازيل كل يوم. ولكن في يوم أطلق بيليه صافرته مشجعًا لاعبًا نحيلًا وقال له: "أكاد أبكي.. أنت تُذكّرني بنفسي!"

كان هذا روبينيو، الشاب الذي كبر وأصبح نجمًا كبيرًا كما توقع الجميع. بيع لريال مدريد ثم إلى مانشستر سيتي، ولكن ساءت عاقبته مؤخرًا. حاصرته الكثير من المشكلات. صرنا صديقين في ميلان، فنحن شابّان كبرنا في ظروفٍ صعبة، كما أن هناك

تشابهًا بين حياتينا. تلقينا اللوم على المراوغة كثيرًا، أحبُّ أسلوب لعبه كثيرًا. لكنه لا يركز في الملعب ويراوغ أكثر من اللازم.

سألعب أولى مبارياتي مع ميلان أمام تشيزينا، امتلأتُ حماسةً ورهبة.

كتبت الصحف: "تُرى هل يثبت نفسه؟"

سألعب في الهجوم بجانب رونالدينيو وباتو. يا له من هجوم مرعب! انتهى الشوط الأول بهدفين للاشيء لصالح تشيزينا! أمر جنوني. لعبت بمنتهى القوة، ولكن بدون فائدة، اللعنة! المهم أني قاتلت مرارًا وتكرارًا حتى حصلنا على ضربة جزاء.. لعبتها وضربت القائم وضاعت. خسرنا المباراة، تُرى كيف كان شعوري؟ سأُجري اختبار منشطات بعد المباراة، كنت غاضبًا جدًا لدرجة أني كسرت الطاولة. قال الطبيب:

– اهدأ!

– اسمع، لا تقل لي ما أفعل وإلا سينتهي بك الأمر مثل هذه الطاولة.

لم يكن تصرفًا حسنًا من جانبي، وما ذنب الطبيب؟ ولكن الأمور ساءت أكثر، لم يتحسن الوضع في المباراة التالية، ولا بعدها. أحرزت هدفي الأمر في مرمى لاتسيو، يبدو أننا سنفوز أخيرًا، ولكن تعادلوا في الدقيقة الأخيرة.

توجهت مباشرةً إلى غرفة تبديل الملابس، وجدت لوحة الخطة فضربتها بعنف حتى أصابت لاعبًا قلت له: "لا تلعب بالنار!"

حصلنا على خمس نقاط بعد أربع جولات بينما تصدر إنتر الدوري. شعرت بحملٍ ثقيل يثقل كاهلي أكثر وأكثر. في كرة القدم قد تصبح كبيرًا يومًا وفي اليوم التالي تصبح تافهًا. اقتربتُ مباراة الديربي أمام إنتر في سان سيرو، سيكرهني الألتراس كثيرًا. كما أن لديَّ مشكلة مع شخص اسمه أوجوتشي أونيو، وهو أمريكي يملك بيتًا كبيرًا. وفي يوم قلت لصديقٍ لي:

– سيحدث شيء خطير .. أستشعر هذا.

***

(27)

قالوا إنه أطيب شخص في العالم. أوجوتشي أونيو يشبه ملاكم وزن الفيل. طوله نحو مترين، ويزن نحو مائة كيلوجرام. وبرغم عدم وجود مكانٍ له في التشكيلة فقد اختير كأفضل لاعبٍ أجنبي في الدوري البلجيكي وأفضل لاعبٍ أمريكي هذا العام. ولكنه لم يتقبلني، أراد استفزازي.

– أنا لستُ مثل المدافعين الآخرين.

– حسنًا، هذا جيد.

– لا يستفزني كلامك ولا فمك الذي لا ينغلق.

– عمَّ تتحدث؟

– أنت، رأيتك في الملعب .. أعرف ألاعيبك الذهنية.

ضايقني كلامه، ليس فقط لأني تعبت من المدافعين الذين يحاولون استفزازي طوال الوقت، فأنا من النوع الذي لا يتحدث كثيرًا، بل أنتقمُ في الملعب، فقد سمعتُ الكثير من الشتائم في الملعب على مدار السنين مثل: "أيها الغجري!" وشتائم تمسُّ أمي وكل هذا. ولكن ماذا يقول هذا الشاب؟ يقول إنه يراني! ماذا يعني؟ هل يقابلني في نزهة أم ماذا؟ مجرد سخافة! أذكر جيورجيو كيليني، قلب دفاع يوفنتوس. لعبنا معًا، وعندما رحلتُ إلى إنتر قابلني في الملعب وحاول استفزازي قائلًا: "لم يعد الأمر مثلما كان، أليس كذلك؟" ثم عرقلني من الخلف. كان تصرفًا جبانًا لأني لم أرَه، سقطتُ على الأرض من

الألم، شعرتُ بألم شديد، لكن لم أرد عليه. لا أرد عليه بشتيمة، بل أردُّ بعرقلة أيضًا، وبشدة. ولكن حينها لم تُتح لي الفرصة، وبعدما انطلقت صافرة النهاية ذهبتُ إليه وجذبته من رأسه كالكلب المجنون، ارتعب كيليني حينها.. قرأتُ الخوف في عينيه.

– هل تريد الشجار؟ إذًا فلم تجبن الآن؟

أردُّ على الإهانة بيدي لا بفمي، وقلتُ هذا لأوجوتشي. ولكنه استمر في استفزازي، وعندما صِحتُ: "هذه ليست ضربة حرة" أشار بإصبعه على فمه وكأنه يقول: "اصمت! كلامك فارغ" غضبتُ وقلتُ: "احذر!"

فعلَ الحركة نفسها ثانيةً فانقلبت الدنيا، لم أقل شيئًا بل عندما وصلت الكرة إليه أسرعت نحوه وقفزت في الهواء وكدتُ أضرب وجهه بقدمي، وهذا أسوأ تدخل ممكن. ولكنه تفادى الضربة وسقطنا معًا على الأرض، قلتُ حينها "أضعت الضربة، اللعنة!" ولكن عندما قمت وجدت ضربة في كتفي.. ليتك ما فعلت هذا يا أوجوتشي!

نطحته وبدأ العراك بيننا. تخيل رجلين يزن كلٌّ منهما أكثر من تسعين كيلو يتعاركان، استخدمنا أكواعنا وضربنا بعضنا البعض. أسرع الآخرون نحونا لفضِّ الخناقة. لم يكن الأمر سهلًا على الإطلاق. أصابنا الجنون والغضب، أعترف بهذا. صحيح أنه يجب أن يكون بداخلي حماسة كبيرة في الملعب، ولكن ما حدث كان فوق الوصف، وكأنها مسألة حياة أو موت. ولكن ما حدث كان أعجب وأغرب.

تضرّع أوجوتشي إلى الرب والدموع تتساقط من عينيه. رسم الصليب على وجهه وصدره، قلت في قرارة نفسي: "ماذا يفعل؟" تضايقت أكثر وشعرت بالمزيد من الاستفزاز. أقبل أليجري وقال: "اهدأ يا إبرا" دفعته جانبًا وانطلقت نحو أوجوتشي ثانيةً، أوقفني زملائي في المنتصف، ونعم ما فعلوه! لكان انتهى الوضع بصورةٍ أسوأ بكثير، وبعدها استدعانا أليجري. تصافحنا واعتذرنا، لكن أوجوتشي كان باردًا. اتصل بي جاليانى وأنا في طريقي للبيت، قلت له:

- اسمع، حدث شيء سيئ جدًا في أثناء التمرين، أنا المخطئ وأتحمل مسؤولية ما فعلته .. أريد أن أعتذر وعاقبني لو أردتَ.

ولكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، كان هناك عدد من المشجعين في الملعب شاهدوا ما حدث ونقلوا التفاصيل للصحافة. لم يعلم أحد ما حدث حقيقةً، ولكن الحادث صار على لسان الجميع. قيل إن عشرة لاعبين فصلوا بيني وبين أوجونتشي، وقيل إن الأجواء سيئة جدًّا داخل الفريق، وقيل إن إبرا مشاغب، وكل الكلام الذي اعتدته. شعرتُ بألم في صدري، علمت فيما بعد أن لديَّ ضلعًا مكسورة .. وضع الأطباء ضمادة عليها.

بدأت الاستعدادات لمباراة القمة أمام إنتر. أما باتو وإنزاجي فكانا من المصابين، كتبت الصحافة كثيرًا عن هذا، كما كتبوا أيضًا عن المواجهة المرتقبة بيني وبين ماتيراتزي. قالوا إنه لقاء انتقامي، ليس فقط لأن ماتيراتزي لاعب عنيف وأننا تشاجرنا ولعبنا معًا من قبل، ولكن لأن ماتيراتزي هزأ بي عندما قبلت شعار برشلونة في الكامب نو. كما قيل إن ماتيراتزي سيلعب بعنف معي، وهذا أكيد لأنها مهمته أصلًا. من الضروري أن يوقفني الدفاع، ولذا فلا بد من اتباع هذا الأسلوب. عليهم أن يكونوا أقوياء، وإلا سيخسرون زمام المبادرة ويتعرضون للإصابة.

لستُ أول لاعبٍ لإنتر ينتقل إلى ميلان، فقد سبقني رونالدو عندما حلّ على ميلان عام 2007، حينها أطلقت جماهير إنتر صافرات الاستهجان ضده. لطالما أثارت مباريات ميلان وإنتر المشاعر، هذا بخلاف النزاعات السياسية وكل هذا الهراء .. عدوّان لدودان!

علاقتهما مثل علاقة برشلونة بريال مدريد. أذكر منظر اللاعبين في أرض الملعب، ترى ذلك في أعينهم، الأمر جلل وكبير. نتصدر الدوري الآن ولو فزنا اليوم سيعني لنا هذا الكثير، لم يفز ميلان مباراة قمة منذ سنين، كما فاز إنتر بدوري أبطال أوروبا. سيطر إنتر على إيطاليا مؤخرًا، ولكن إذا فزنا اليوم سيعدُّ هذا انقلابًا في موازين القوى.

بإمكانك أن تسمع زئير الجمهور والموسيقى الصاخبة من المذياع. بإمكانك أن تشمّ الكراهية والفرقة بين الناديين في الهواء.

حصلتُ على الكرة في الدقيقة الخامسة، راوغتُ ودخلت الصندوق، وجدت ماتيراتزي أمامي. أراد أن يوقفني وكأنه يقول: "لن تذهب إلى أي مكان" ولكنه ارتكبَ خطأً، أسقطني أرضًا، حينها قلت: "ضربة جزاء! ضربة جزاء!" سمعت ضجة كبيرة ورأيت لاعبي إنتر يلوّحون بأيديهم. أسرع حكم المباراة ناحية الصندوق وأشار لنقطة الضربة. من المفترض أن ألعب الضربة، اللاعبون كلهم من خلفي يشجعونني: "لا تُضيّع يا زلاتان! لا تُضيّع بحقّ الرب!"

يقف حارس مرمى إنتر أمامي، ومن ورائه ألتراس إنتر المجانين، صاحوا وهاجوا وفعلوا كل شيء لمضايقتي، والبعض كان يسلط الليزر على وجهي. غطى اللون الأخضر وجهي بالكامل، تضايق زامبروتا فذهب إلى الحكم يقول: "ماذا يحدث؟ إنهم يضايقون إبرا!"

ولكني كنتُ في كامل تركيزي، سأضع الكرة على يمين الحارس، انتظرتُ ثانيتين، قلت لنفسي: "يجب أن تنجح هذه الضربة"، فقد بدأت موسمي بإضاعة ضربة جزاء ولا يمكن أن يحدث هذا مجددًا. ضربتُ الكرة واحتضنت الشباك، رفعت يدي ونظرت إلى ألتراس إنتر وكأني أقول لهم: "ألاعيبكم اللعينة لن تنفع معي."

ولكن المباراة ما زالت في بدايتها رغم تقدمنا بهدف وحيد، وبعد ربع ساعة من بداية الشوط الثاني حصل أباتي على بطاقة حمراء، ومن الصعب أن تلعب منقوصًا أمام فريق مثل إنتر. قاتلنا كالوحوش! التصق بي ماتيراتزي كالقراضة، وبعد دقيقتين انطلقت نحو كرة في اتجاهه حتى اصطدمت به وأسقطته أرضًا، تعمدتُ هذا بالطبع. بقيَ ماتيراتزي على الأرض وأسرع الأطباء لإنقاذه. ازدادت كراهية الألتراس بعدما خرج ماتيراتزي محمولًا على نقّالة.

تضاعف الضغط علينا في الدقائق العشرين الأخيرة بشكل رهيب، في حين كنت أعاني إرهاقًا شديدًا، كدتُ أتقيأ من التعب. ولكن تحملنا الضغط وانتهت المباراة بانتصارنا. وفي اليوم التالي حصلت على جائزة الكرة الذهبية كأفضل لاعبٍ في السويد للمرة الخامسة، كنت أعلم بفوزي بالجائزة قبلها، وبصراحة كنتُ أريدها بشدة. قررنا الخروج للاحتفال في ملهى ليلي اسمه كافالي، كما جاءت هيلينا معنا. جلسنا في هدوءٍ تام في ركن مع جاتوسو في حين كان بيرلو وأمبروزيني والآخرون يحتفلون كالمجانين. كانت فرحة جنونية، احتفلنا حتى الرابعة صباحًا.

تعاقد ميلان مع أنتونيو كاسانو في ديسمبر، وكاسانو لاعب مشاغب مثلي، كما يجب أن يتكلم ويُقال عنه أنه لاعب رائع. مرّ الرجل بمشكلات عديدة ومشاجرات كثيرة مع لاعبين ومدربين، من ضمنهم كابيلو في أثناء تدريب روما. قال كابيلو عنه إنه "مهووس ومجنون" ولكن يبقى كاسانو لاعب رائع، أعجبتُ به كثيرًا، صرنا صديقين.

ولكن هناك مشكلة واحدة وهي أني أشعر بأني مُستهلَك، أحرق نفسي كل مباراة، لم أشعر بضغطٍ كهذا من قبل. لطالما شعرتُ بالضغط في برشلونة ومن قبله إنتر، ولكن في ميلان يجب أن نفوز بالدوري، كما أني قائد هذا القطيع. لعبت كل مباراة وكأنها نهائي كأس العالم، وبالطبع دفعت الثمن وأصابني الإرهاق.

من المفترض أن أريح نفسي مباراة أو اثنتين، ولكن أليجري كان حديث العهد بالنادي، أراد الفوز بأي ثمن. كان بحاجة لي وكأنه يعصرني .. ولا ألومه على الإطلاق. كان يؤدي وظيفته، وأنا أردتُ أن ألعب. لعبت بقوة وبأداء كبير وقدّمتُ كل ما لديّ حتى لو بقدمٍ واحدة، كما أن أليجري كان متميزًا في استفزازي. احترمنا بعض كثيرًا، ولكني دفعت الثمن .. لم أعد صغيرًا.

جسمي ضخم، ولا أعني مثلما كنت في موسمي الثاني بيوفنتوس. فأنا الآن بالعكس لا أتناول الأطعمة الجاهزة، ولا يزداد وزني كثيرًا. كنت خاضعًا لحمية غذائية شديدة،

ولكن أقصد أني صرتُ أكبر عمرًا، كما صرتُ لاعبًا مختلفًا عن بداياتي. لم أعد مراوغًا، لم أعد فتى أياكس. أصبحتُ مهاجمًا قاتلًا وعليّ أن ألعب بذكاء أكثر للحفاظ على أدائي في كل المباريات، ولكن بدأ التعب يداهمني في فبراير.

من المفترض أن يبقى الأمر طي الكتمان داخل أسوار النادي، ولكن خرج الأمر للصحافة وبالطبع تحدثوا عنه. تُرى هل سيكمل زلاتان؟ هل سينجح؟ ساء الوضع ودخل مرمانا أهداف لا معنى لها، كما مَرَّ شهر كامل وأنا صائم عن التهديف. ذهبنا لملاقاة توتنهام في دوري أبطال أوروبا، ونحن الفريق الأفضل طبعًا، ولكن في الدوري فقدنا زمام المبادرة وصار إنتر يلعب أفضل.

تُرى هل سيتفوق علينا إنتر في ترتيب الدوري؟ هل سنخسر قبضتنا التي أحكمناها على الدوري؟ كتبت الصحافة الكثير من الأقاويل. ساء الوضع وثبتت شكوكي. كنا متأخرين أمام باري بهدف وحيد، وقفت في منطقة الجزاء مُحاصرًا من لاعب، وما كان مني إلا أن ضربته بكف يدي في بطنه وسقط على الأرض. أعترف لك بأن هذا تصرُّف غبيّ.

ولكنه كان مجرد رد فعل. كم أتمنى أن يكون هناك تفسير أفضل لما فعلته، ولكن هكذا تسير كرة القدم. حصلتُ على بطاقة حمراء ولن ألعب مباراة باليرمو ولا مباراة إنتر. حاولت إدارة ميلان نقض العقوبة، ولكن دون فائدة. عدتُ في مباراة فيورنتينا والأمور تبدو على ما يُرام. نحن متقدمون في النتيجة وعلى بُعد دقيقتين من الصافرة. احتسب حامل الراية رمية تماس ضدي، فصحت في وجهه وقلت: "اذهب إلى الجحيم!" وهذا تصرف سيئ طبعًا، وخصوصًا بعدما حدث في مباراة باري. تم إيقافي لثلاث مباريات، وفعل النادي كل شيء ممكن لإنقاذ الموقف، ولكن دون فائدة. وصل نابولي إلى المركز الثاني متخطيًا إنتر، أما ميلان فيتصدر الدوري على بُعد ثلاث نقاط من نابولي وعلى بُعد ست مباريات، منها ثلاث مباريات لن ألعبها لإيقافي. استغللتُ فترة الإيقاف وتفكرتُ في حياتي قليلًا، عملت في تلك الأثناء على هذا الكتاب.

(28)

جلس أدريانو جالياني في ملعب الأوليمبيكو في روما مغمضًا عينيه يتضرع "يجب أن نفوز! يجب أن نفوز!" شعرتُ ما يدور في خلده. نحن الآن في السابع من مايو 2011، الساعة العاشرة والنصف مساءً. تسير عقارب الساعة ببطء شديد بينما كان أليجري والرفاق يجلسون في مقاعد البدلاء في قلقٍ شديد. لا يهم إذا ما كنتَ تؤمنُ بالربِّ أم لا، الكل يدعو ويتضرع الآن. نلعب مباراة أمام روما ونحتاج إلى نقطةٍ واحدة للفوز بالدوري للمرة الأولى منذ سبعة أعوام.

انتهت عقوبتي وسأشارك اليوم في تأمين بطولة الدوري لميلان، ليست مهمة سهلة على الإطلاق. الحرب قائمة بين ميلان وروما، ليس فقط لأنهما مدينتان كبيرتان، ولكن لأنهما منافسان كبيران.

ولكن ميلان يقاتل من أجل المركز الأول بينما يحارب روما من أجل الرابع. المركز الرابع شيء كبير أيضًا لأنه سيؤهل ساكنه للعب في دوري أبطال أوروبا، وهذا يجلب الكثير من الأموال وحقوق البث. ولكن هناك حادث وقع عام 1989، ومثل هذا الحادث لا يُنسى في كرة القدم الإيطالية. سافر أحد مشجعي روما الشباب اسمه أنتونيو دي فالكي إلى ميلان لمتابعة مباراة الفريقين. قلقت أمه عليه وقالت: "لا ترتدي لونًا أحمر ولا أصفر ولا تَقُلْ إنك مشجع لروما." فأطاعها الشاب.

ارتدى الشاب ملابسًا لا تُظهِرُ انتماءه، ولكن عندما طلب منه مشجعو ميلان المخضرمين سيجارًا عرفوه من لكنته وقالوا له: " أأنت من مشجعي روما أيها اللقيط؟" حوصر الشاب وضُرب حتى لفظ أنفاسه الأخيرة. كانت حادثة كبيرة، وقبل مباراتنا اليوم خصصت مجموعة من مشجعي روما احتفالًا لإحياء ذكراه. رُفع اسم أنتونيو دي فالكي في الملعب بالأحمر والأصفر، وبالطبع كانت بادرة جيدة، ولكنها أثرت في الأجواء بالتأكيد. كان يومًا كبيرًا وصعبًا. يلعب توتيّ في روما منذ أن كان في الثالثة عشرة من عمره، هو الملك في روما، فاز بكأس العالم، وحصل على لقب هدّاف الدوري الإيطالي، وحصل على الحذاء الذهبي، والكثير من الجوائز الأخرى، ولكنه لم يعد صغيرًا، ولكن يبدي أداءً حسنًا مؤخرًا. رُفعت لافتات توتيّ في كل مكان مع أعلام روما، كما كانت هناك لافتات لميلان وإبرا أيضًا. سافر الكثير من مشجعينا إلى روما آملين في الاحتفال بالدوري اليوم، أطلقوا الشماريخ في كل مكان.

بدأت المباراة في التاسعة إلا ثلث كالعادة، أتقدّمُ الهجوم مع روبينيو، بينما جلس كاسانو وباتو في مقاعد البدلاء. بدأت المباراة على ما يُرام بالنسبة لنا، ولكن في الدقيقة الرابعة عشرة استغل فوجينيتش الانفراد وانطلق نحو المرمى، بدا وكأن هدفًا سيُسجل في مرمانا، ولكن أبياتي حارس مرمانا أنقذها بأعجوبة. بدأت الخطورة تظهر، فقد فاز علينا روما في سان سيرو، فبذلنا جهدًا أكبر. حصلتُ على أكثر من فرصة كما ضربت كرة روبينيو القائم وحصل برينس بواتينج على فرصة هائلة لكن أضاعها. التعادل السلبي يكفينا، مرت الدقائق التسعون كاملةً، ستنتهي المباراة الآن ونحصل على الدوري.. لكن الحكم اللعين احتسب خمس دقائق وقتًا بديلًا.

استمرَّ اللعبُ وأظنُّ أن شخصًا مثل جالياني يجلس الآن يتضرع إلى السماء، فسبع سنواتٍ عجاف دون بطلوة الدوري شيء مخزٍ بالنسبة لفريق كبير مثل ميلان. هل تذكر أني قد وعدتُ بالحصول على الدوري؟ كان هذا أول شيء قلته عندما جرى تقديمي في سان سيرو. مرت الدقائق وبدء العد التنازلي، عشرة، تسعة، ثمانية، سبعة، وهكذا.

أطلق حكم المباراة صافرته معلنًا فوزنا بالدوري. انطلق الجميع إلى الملعب وامتلأت مقاعد الجماهير بالدخان. الكل يصرخ ويغني في أجواء جميلة وفوضوية. قذف اللاعبون أليجري في الهواء وأمسك جاتوسو زجاجة شامبانيا وأغرقنا جميعًا. أجرت الصحافة لقاءً مع كاسانو وكل من حولي أصابه الجنون: "شكرًا إبرا! لقد أوفيتَ بوعدك!" توجهتُ إلى كاسانو لعمل مقلب فألقيتُ الحذاء في وجهه بينما كان يسجل لقاءً مع أحد المراسلين.

– ماذا تفعل؟

– إنه مجنون!

– يبدو كذلك!

– ولكنه الذي ساعدنا على الحصول على الدوري وبإمكانه فعل أي شيء.

ضحك كاسانو وخرج واضعًا كيسًا من الثلج على رأسه المصاب بحذائي. احتفلنا جميًا وبعدها فزنا بكأس السوبر الإيطالية، تلك كانت بطولتي الثامنة عشرة .. امتلأت سعادةً.

ولكن دعني أقلْ لك إن شيئًا ما تغيّر بداخلي، لم تعد كرة القدم كل شيء بالنسبة لي، فهناك أسرتي، كما اعتذرتُ عن المشاركة مع المنتخب القومي. أحب لاجرباك ولكني لم أنسَ ما حصل في جوتنبرج. لا أنسى بسهولة، كما أني أردتُ قضاء وقتٍ أطول مع هيلينا والولدين. أصبح إيريك هامرين مدربًا للمنتخب الوطني، اتصل بي:

– أهلًا، أنا المدرب الجديد.

– دعني أخبرك أني لن أعود للمنتخب.

– ماذا؟

– لا أعرف ماذا قالوا لك، ربما أعطوك وعودًا كاذبة، ولكني لن ألعب.

– اللعنة يا زلاتان! لقد فاجأتني.

ولكنه عنيدٌ لعين، وأنا أحبُّ العنيدين اللُّعناء. وعدني أن كل الأمور ستكون على ما يُرام وكل هذه الأشياء. دعوته إلى منزلي في مالمو. صرنا صديقين، لم يكن مدربًا عاديًا، كان يتعدى الحدود، وأنا أحب هؤلاء الرجال. لا أحب القوانين واللوائح، عليك أن تكسر البعض. وافقت على العودة إلى المنتخب أخيرًا، سأصبح قائدًا للمنتخب، كما أحببتُ فكرة أني سأتلقى كل اللوم من الصحافة لو خسرنا. شاركتُ مع المنتخب في معسكر مالمو، في العادة لا يحضر عددٌ كبير من الجمهور التدريبات، ولكن عندما وصلتُ كان بانتظاري أكثر من ستة آلاف مشجع. قلتُ لهم: "مرحبًا بكم في عالمي!"

قلتُ أشياء سيئة عن مالمو في السابق، لم أنسَ ما فعله هاس بورج وبينجت مادسن، ولكني أحبُّ مالمو أيضًا. احتضنتني المدينة، بدا الأمر وكأنه احتفال. عمّت الفوضى وقفز الناس من أماكنهم فور رؤيتي. الكل بانتظار زلاتان. دخلت الملعب وسط صراخ وصيحات المشجعين. تذكّرت حياتي السابقة وذكرياتي حينما جلست بين اللاعبين وقلت لهم:

– سأحصل على سيارة ديابلو قرمزية .. سيارة لامبورجيني! سأكتب على اللوحة كلمة "ألعاب".

بدا الأمر طفوليًا حينها، كنتُ صغيرًا في الثامنة عشرة من عمري. أي شابٍّ في سني يحلم بسيارة جميلة. تناقل الآخرون كلامي وقالوا: "هل سمعتم الشاب زلاتان؟ هذا الأحمق!" مرت سنون على ذلك اليوم، وما زلتُ أذكرُ صداه. صمّم المشجعون لافتة كبيرة من القماش، نظرت إليها لأقرأها وفهمت..تقول اللافتة":"ألعاب..عُدْ إلينا يا زلاتان وسنحضر لك سيارتك!"

دَقّ قلبي، أو كما قال أحد أصدقائي: "وكأنها قصة خيالية.. رحلة من الضياع إلى الحلم".

أرسل لي أحدهم صورة لجسر أنيلندس على مشارف روزنبرج، وعلى الجسر رجلٌ يرفع لافتة مكتوبًا عليها: "يمكنك إخراج الفتى من روزنبرج، ولكن لا يمكنُك إخراج روزنبرج من الفتى."

هذه قصّتي .. وهذا أنا زلاتان!

***

